١٠٤٣
دار م. النحاس

كبير

1043
HARLEQUIN

لن اعود اليه

ستيفاني هاورد

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

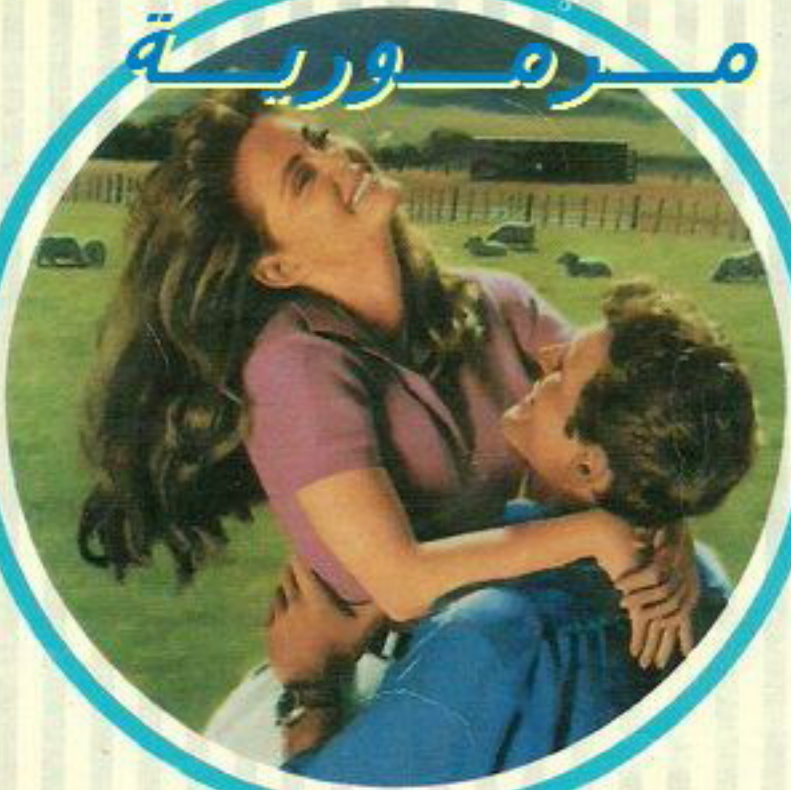

لن اعود اليه

ستيفاني هاورد

ما كان في مقدور لورا أن تعمل جنباً إلى جنب مع فالكو روث، بعد أن تسبب لها بصدمة عاطفية قبل ثلاث سنوات.

كيف استطاع أن يصدق أنها قادرة على أن تضع المال قبل الحب وأن تذهب مباشرة إلى شخص آخر سواه؟

لكنه فعل.

وهذا يعني أنها أرادت أن تتأكد من أنه لم يكتشف أبداً سرها العزيز والمهم.

•

«من هي بيلي؟»

لعله لا يعرف شيئاً، غير أن اسمها بيلي، على رغم من أنها لم تستطع التخيل كيف تمكّن من معرفته. لكن ستكون حمقاء ان شعرت بالقلق. يجب عليها مواجهة الأمر بتحدٍ، كما يجب عليها المحافظة على رباطة جأشها. نهضت من الفراش وسارت بتثاقل نحو الحمام، زجّت بنفسها تحت الدوش ثم أخذت تفرك جسدها بسرعة بالمنشفة. ستتعامل مع هذا الكابوس الجديد بطريقة ما وتتغلب عليه.

ستيفاني هاورد

ولدت ستيفاني هاورد وترعرعت في مدينة دندي في اسكتلندا. تلقت علومها في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية. عملت طوال عشر سنوات كصحافية لعدة مجلات نسائية في لندن، من بينها مجلة «المرأة»، وأصبحت تشغل مؤخراً منصب رئيسة التحرير لمجلة «هاني» المتوقفة حالياً عن الصدور. أمضت سنوات عدة تعمل في الخارج، في إيطاليا، ماليزيا، الفيليبين والشرق الأوسط. وهي تعيش حالياً في مدينة كنت.

عبير ١٠٤٣

Abir 1043

لن اعود اليه

ستيفاني هاورد

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

كانت الغرفة مضاءة بأشعة شمس الصيف الحادة، عندما دخلت لورا إليها. توقفت وطرفت بعينيها للحظة حتى تتعرف إلى ملامح الشخص الذي كان يقف عند النافذة المطلة على الخليج الواسع مديراً لها ظهره.

رأت رجلاً فارع الطول ومفتول العضلات، أسود الشعر ويرتدي سروالاً وقميصاً خفيفين، وقد بدا انه صب كل اهتمامه على اللوحة البحرية للبحر المتوسط الذي تحاكي زرقته زرقة حبيبات الياقوت الأزرق المنثور، وقد امتد إلى ما وراء النافذة حتى حدود الأفق.

«أنا لورا ميسكن. أعتقد أنك تريد التحدث إليّ.»

خاطبت لورا ذا المنكبين العريضين، وتساءلت إن كان قد سمعها وهي تدخل الغرفة، متمنية لو أنها أخبرت باسمه على الأقل عندما اشير إليها أن تدخل الغرفة على عجل، وتساءلت أيضاً حيال ظل تلك القامة المديدة الذي أحدثته أشعة الشمس المشرقة في الغرفة. توجست شراً وكأن سهماً قد أصاب قلبها.

لم يجبها الرجل على الفور. ربما لم يسمعها؟ استغربت لورا، وتقدمت خطوة أخرى إلى الأمام وتنحنحت، لاحظت انه على الرغم من سكونه فقد كانت هناك هالة من الديناميكية والقوة تلف هذا الرجل. كان سكونه مثل سكون القطة المكورة على نفسها وقد استسلمت لنوم عميق.

عندها، تكلم، وقد أثار بذلك دهشتها:

«هذا صحيح. أنا أرغب فعلاً بالتحدث إليك.»

لم يتحرك من مكانه، ومع أنه تحدث برفق، كان هناك شيء ما في نبرة صوته، جعل لورا تحبس أنفاسها. كان ضرباً من الجنون، لكنها تكاد تقسم على أنها تعرف هذا الصوت الغني العميق.

من المستحيل، قالت في سرّها، وقد ضاقت عيناها من نور أشعة الشمس. فالصوت الذي ظنّت انها سمعته يعود إلى الماضي. ماضٍ يرقد في طي النسيان منذ زمن بعيد.

ثم تكلم ثانية، وهو ما يزال مديراً ظهره لها. «مبادرة كريمة منكِ أن تقطعي كل هذه المسافة في مهلة قصيرة. أتساءل إن كانت رحلتك ممتعة وخالية من المتاعب؟»

كانت رحلة شاقة وممتعة في آنٍ معاً. فالرحلة من لندن، مدينة الضباب، إلى نابولي التي تنعم بشمس الصيف، كانت ممتعة ومنتظمة كدقات الساعة، كذلك الانتقال بحراً من نابولي إلى جزيرة آلبا، المحطة الأخيرة.

لكن لورا وجدت نفسها غير قادرة على أن تضفي على صوتها هذا التأكيد. وخامرتها شكوك لذكرى مؤلمة. حدّقت في القامة المديدة وقد تردد صدى صوته في أذنيها. كانت شبه متأكدة في أعماق نفسها، برغم تيقنها من ان هذا الأمر ليس ممكناً؟ لا، لا يمكن للقدر أن يغدر بها بهذه الطريقة؟

عندها، استدار الرجل ببطء شديد، ليصبح بمواجهتها وفي تلك اللحظة، شعرت وكأن الأرض قد انشقت تحت قدميها.

نظر بعينين سوداوين إلى عينيها، عينان باردتان كمياه

البحر في الشتاء. انهما عينا فالكو روث. لقد تأكدت جميع مخاوفها.

انفرجت شفتاه عن ابتسامة ساخرة. «أهلاً بكِ في منزلي.»

لم تتمكن لورا من اجابته. لقد فقدت القدرة على الكلام. فقد شعرت وكأن كل عضلة في جسمها قد تصلبت تماماً.

لم تطرف عينا فالكو أبداً. وأخبرها وهو يبتسم ابتسامة قاسية: «لقد شحب لونك تماماً. آسف إذ سببت لك صدمة. يمكنني القول إنه لم يكن عندك أية فكرة عن مستخدمك الجديد.»

كانت هذه الكلمات صادرة عن شخص تنم نبرته عن مسحة من السادية والعبث والتعجرف وقد خرق هذا الصوت الارتباك الذي أصاب لورا للحظة. وأعادها في الحال إلى رشدها. لقد صدمت طبعاً، تماماً كما خطط للأمر، دون شك! ولأنها تعرف فالكو، أدركت أنه كان يأمل بالإضافة إلى شحوبها، أن تمن عليه بسقوطها على الأرض مغشياً عليها!

استقامت في وقفتها وابتسمت ابتسامة ساخرة، بينما شرعت تصحح له أحد الأمور المهمة:

«أخشى أنك قد أسأت فهمي كما يبدو.» أخبرته بحدة. «إنك لست مستخدمي لا شكلاً ولا مضموناً. أنت لست سوى أحد الزبائن الذين قد أتعامل معهم.»

«زبون. نعم، بالطبع، إنك على حق تماماً.» وتوقف فالكو عن الكلام لينظر نحو عينيها نظرة سريعة. «ومن ثم، تلك كانت مشكلتي دائماً... فهم طبيعة العلاقة بيننا.»

جعلت كلماته قلبها ينقبض داخل صدرها. لقد أدركت

لورا تماماً ما كان يرمي إليه. كانت تعرف تماماً الخطايا التي جعلت فالكو روث يعتقد انها مذنبة. وقد كرهته واحتقرته لتصديقه تلك الأمور.

«كنت أعاني من المشكلة ذاتها، فهم علاقتنا.» كان من الصعب عليها الإجابة ببرودة. لكنها فعلت ذلك بطريقة ما. حتى أنها استطاعت أن تضيف بنبرة حادة ورافضة قائلة: «كم هو مؤسف اننا كلانا لم يكن في إمكاننا إدراك ذلك في وقت أسرع. كان الأمر مضيعة للوقت برمته. ان علاقتنا لم تكن تستحق الفهم أساساً.»

«كم أحسنت إيجازها. مضيعة تامة للوقت. برغم أنك في النهاية حصلت على الأقل على بعض التعويضات.»

«أشكر الله على ذلك.»

بقي صوتها ثابتاً بأعجوبة، برغم تجدد توهج العاطفة في أعماقها. كانت هناك تعويضات قيّمة جداً. لكنه كان يجهل تلك التعويضات. لم تكن تلك التي يشير إليها هو.

ما كان يشير إليه كان أمراً وضيعاً ومخجلاً، خطيئة جشع لطخت وشوهت سمعتها. لكن، ستدعه يعتقد ما يريده عنها. ليس للأمر أية أهمية. كونه صدق ما قيل عنها، كان كافياً ليظهر أي نوع هو من الرجال.

اصطنعت لورا ابتسامة باردة قائلة: «على أي حال ليس هذا المقصود. ما يهم الآن، خاصة على ضوء سوء التفاهم الذي حصل في الماضي، هو أن نوضّح تماماً ومن البداية، الوضع الحالي. والوضع الحالي هو أنك الزبون، الزبون المنظور.» صححت كلماتها بسرعة وأكملت قائلة: «وأنا مهندسة الديكور التي ترغب في أن تستأجر خدماتها.»

ابتعد فالكو عن النافذة، بينما كانت تتكلم، وبما أنه الآن لم يعد يقف في وهج ضياء الشمس فقد استطاعت لورا رؤيته بوضوح أكثر.

شعرت بانقباض في قلبها وهي تنظر إلى وجهه، ذي الخطوط القوية. عيناه السوداوان وفمه الحسي. لقد أغرمت ذات يوم في هذا الوجه الوسيم. وقد بدا ذلك الحب في عينيها وعلى شفتيها. كان ذلك الوجه بمثابة الشمس التي تضيء العالم أمامها. ولأنه أخبرها بذلك، كانت تعتقد انه مغرم بها أيضاً.

انتابها احساس بالمرارة، وشعور بأنها كانت حمقاء. لثلاث سنوات خلت أرغمت على مواجهة الحقيقة المرة. ما كانت تعتقده حباً كان مجرد كذبة جوفاء لا قيمة لها.

كان فالكو يراقبها بدوره، وعيناه تتفحصانها، بدءاً ببدلتها الأنيقة والبسيطة، تنورة ضيقة بيضاء وقميص ذي كمين قصيرين زيتيّ اللون.

قال: «لم تتغيري كثيراً. ما زلت جميلة كما كنت دوماً.» وانتقلت عيناه بسرعة من وجهها البيضاوي بخديّه ببشرتهما الخوخية اللون، إلى عينيها الزرقاوين الواسعتين، إلى فمها وتينك الشفتين الرقيقتين. ثم ضاقت عيناه السوداوان وتابع قائلاً: «لكنك قصصت شعرك. يا للأسف. كنت أفضله أطول.»

«حقاً؟ يا لسوء الحظ. أنا أفضله قصيراً.»

هزت لورا رأسها بتحد وشعور من النصر. قص شعرها الأشقر الطويل، ذلك الشعر الذهبي الجميل الذي كان ينسدل حتى منتصف ظهرها والذي كان فالكو يمرر أصابعه من

خلاله بسرور، كان تصرفاً متعمداً يرمز إلى تحررها. منذ ثلاث سنوات خلت، وبعد آخر صدام عنيف بينهما، توجهت في اليوم التالي إلى صالون مزين شعرها واختارت قصة قصيرة جداً لشعرها. وبينما كانت تراقب شعرها وهو يتساقط كخصلات الحرير على الأرض، قررت حينها أن تسلخ فالكو من قلبها إلى الأبد.

لم يكن الأمر سهلاً. كاد الحزن أن يقضي عليها، بالطبع. لكن في النهاية، مع الإرادة القوية والشجاعة، استطاعت أن تتخطى الأمر.

الآن، فيما هي واقفة هناك، حذرة جداً من نظراته الغامضة التي كانت تمعن النظر إليها، سيطرت على حواسها نكرى تلك المأساة القديمة. وللحظة فقط. وبينما عصفت بها موجة من الألم، خافت أن تنطلق صرخة ألم من بين شفتيها.

دفعت ذلك الشعور بعيداً عنها. كان شعوراً ضعيفاً وحزيناً. بالإضافة إلى ذلك لم يكن يستحق أن تشعر بهذا الكرب بسببه. فالشعور الوحيد الذي كان يستحقه هو عدم الاكتراث.

نظرت لورا إلى وجهه، وإلى تينك العينين الصلبتين كجوهرتين، ثم وصلت إلى تلك الزاوية الباردة في قلبها حيث كان يقطن فيها دائماً.

قالت: «لكننا لم نتواجد هنا لنبحث في تسريحة شعري، لذا لا أخالك تمانع في أن تخبرني لماذا نحن هنا؟»

«لكن، يا عزيزتي لورا. أنت تعرفين لِمَ نحن هنا؟ نحن هنا لنناقش قيمة أجركِ. أجرك لقاء زخرفة منزلي.»

«عمولتي المتوقعة» لفظت تلك الكلمات في وجهه. ثم أكملت قائلة: «كما وأنني لست عزيزتك لورا، لذا أفضل أن لا تناديني بذلك.»

«ماذا تفضلين أن أناديك؟» وابتسم لها فالكو بسخرية وتابع قائلاً: «آنسة ميسكن؟ إننا بالتأكيد نعرف بعضنا بشكل يخولنا عدم التحدث بطريقة رسمية.»

أعادت الذكرى لورا إلى الماضي. فتذكرت دفء لمساته، وبذلت جهداً لتوقف تورّد وجنتيها. أجل، قديماً، كانا فعلاً يعرفان بعضهما بعضاً.

تحققت من دقات قلبها المتسارعة. «لورا فقط سيكون كافياً. لا أرى حاجة للمشاعر الزائفة.»

«في تلك الحالة، سأفعل جهدي لأكبح نفسي.» توقف فالكو وتأملها للحظة. «لقد كان هناك الكثير من الزيف بيننا.»

نظرت لورا إليه بثبات وقالت: «ذلك ما اعتقدته. برغم ذلك يبدو أنه بالنسبة إليك لا يوجد حدود لذلك.»

«ماذا تعنين؟»

«ما أعنيه هو، بساطة الاسلوب الذي اتبعته لاحضاري إلى هنا. أعتقد «مظاهر زائفة» وصف دقيق ينطبق عليه تماماً.»

لم تطرف عيناه. وقال متظاهراً بالبراءة: «وماذا يعني ذلك؟»

«ما أعنيه هو أني لو عرفت أنك تملك هذا المنزل، لما أعرت، ولا للحظة، هذه المهمة اهتماماً. ولم أكن لأسافر كل هذه المسافة إلى إيطاليا بالتأكيد، وكان في امكانك توفير

أجر تذكرة الطائرة ومصاريف احضاري إلى هنا. لأنه من الواضح، أني أرفض رفضاً قاطعاً هذه المهمة.»

«لا يمكنك ذلك. لقد سبق ووافقت عليها. أنا وأنتِ يا عزيزتي لورا قد سبق وعقدنا اتفاقاً.»

«ليس بعد الآن. اعتبره ملغى.» وأجبرت على إضافة التعبير الكاذب «يا عزيزي فالكو». ترديده الساخر لكلمات «عزيزتي لورا» لم يغب عنها، لكن، عندما أرادت التحدث عنه، علقت الكلمات في حنجرتها. كان لتلك الكلمات معنى آخر ذات يوم، وليس منذ زمن بعيد، لقد كان في أحد الأيام عزيزاً عليها أكثر من الهواء الذي تتنشقه. ولم يكن في استطاعتها، حتى في هذه اللحظات، ان تهزأ من تلك الحماقة القديمة.

قالت له: «أخشى أنك ستضطر إلى البحث عن مصمم ديكور آخر.»

«إن ذلك أمر مناف للأخلاق من قبلك.»

«مناف للأخلاق؟ يا لها من دعابة! إن كان هناك أحد ما تصرف بشكل مناف للأخلاق، يمكنني القول إنه أنت! لقد أخفيت عني معلومات مهمة ولنقلها بصراحة، لقد خدعتني للمجيء إلى هنا!»

نبرة صوتها الغاضبة أخفت توترها. لماذا أراد حضورها إلى هنا؟ لماذا خدعها؟ هل يمكن، أن يكون أسوأ كابوس لها قد تحقق، وانه قد اكتشف سرها؟

عبست في وجهه، وهي تبحث دون جدوى عن جواب. وأضافت: «لكن، هناك أمر يمكنني تأكيده لك. لن تستطيع خداعي بأية طريقة للبقاء هنا!»

لم يقل فالكو شيئاً للحظة، إلى أن ظهر العبث في عينيه فقال: «لِمَ لا تجلسين؟ استريحي؟ أعتقد أنك ستمكثين من الوقت ما يكفي لتناول شراب.»

ابتسمت لورا بتكلف لتلك النكتة الصغيرة الموجهة إليها. كان بارعاً في المزاح. لقد كان كذلك دائماً. ألم تكن علاقتهما الماضية دعابة كبيرة، أضحوكة ابقاها لنفسه حتى ساعة الصفر؟

لكنها قالت في المقابل: «نعم، سأبقى لتناول الشراب. أعتقد أن تناول الشراب هو أقل ما تدين لي به.» ثم جلست على أريكة قريبة، وقد بدت هادئة أكثر مما شعرت به حقاً. وأضافت: «أرغب في كوب عصير من الليمون الطازج، إن كان ذلك لا يزعجك.»

«لا ازعاج على الإطلاق.» قالها فالكو وسار نحو طاولة الطعام وضغط على الجرس المعلق في الحائط فوقها. ثم أضاف: «ستحضر آنا، مدبرة المنزل، لتلبية طلبك في الحال.»

ضحكت لورا وقالت: «كان يجب عليّ ادراك أن لديك خدماً! لقد كنت بارعاً دائماً في جعل الآخرين يهتمون بك.»

«إنهم لا يقومون بذلك من دون مقابل. إني أدفع لهم بسخاء.» ثم نظر في عينيها وقد غابت تعابير الفكاهة عن وجهه للحظة عندما أضاف: «ليس هناك من شخص يدرك أكثر منك ان في امكانك جعل الناس يقومون بما تريدين مقابل أن تدفعي لهم كمية وافرة من المال.»

شعرت لورا بانقباض في قبضتيها عند تلك الإشارة إلى الماضي، لكن، برغم ان الاتهام آلمها، لم تحاول نكرانه.

وبدلاً من ذلك أجابت بوضوح: «هكذا هو العالم. إن بعض الأمور تقيّم حسب المال الذي تملكه في جيبك.»

قطب فالكو حاجبيه الكثيفين الأسودين بينما كان ما يزال واقفاً إلى طاولة الطعام. ثم رمقها بنظرة غامضة طويلة، وقال: «لا بد انك كسبت مبلغاً طائلاً. وقد نلت بالتأكيد كامل حقك دون أن تحفلي بالنتائج.»

«إني مساومة صارمة. فقد كنت أدرك أن والدك يستطيع دفع ما طلبته. كما واني كنت على علم برغبته في رحيلي مهما كلفه الأمر.»

ابتسم فالكو ابتسامة ساخرة، وقال: «أعتقد ان ذلك نوع من التبرير، على الأقل ما من أحد يستطيع القول إنك خدعتني لأجل شيء بخس.»

كانت لورا شاكرة لظهور مدبرة المنزل في تلك اللحظة وقد حررتها من تلك النظرة المتفحصة القاسية. وفجأة أخذ قلبها يقفز هلعاً في صدرها. وشعرت بأنفاسها ثقيلة ومرهقة في حنجرتها.

كان ذلك كل ما يهمه في الأمر. اعتقاده أن تخليها عنه وانهاء علاقتهما منذ ثلاث سنوات قد تتطلب، على الأقل، اغواءها بثروة صغيرة، أمر يساعده على انقاذ كبريائه. لأن كبرياءه كانت الجزء الوحيد الذي ما زال يترك فيه أثراً. بالتأكيد، ان قلبه لم يتأثر بخداعها.

راقبته وهو يتحدث باللغة الإيطالية إلى آنا، امرأة شابة، ذات شعر أسود ووجه مستدير ضحوك.

لقد تغيّر هو أيضاً، خلال السنوات الثلاث الماضية. شعره الأسود أصبح أقصر من ذي قبل، خطوط وجهه أصبحت

ظاهرة أكثر، لكنه ما زال يظهر تلك الثقة الكاملة بالنفس والتي كانت، في الأيام الخوالي، تدهشها وتمنحها البهجة، إلى أن أدركت أنها ناجمة عن لامبالاة قاسية بأي شخص آخر سوى فالكو روث.

دفعت لورا هذه الأفكار عنها، عندما غادرت آنا المكان، وقالت، بعد ان لاحظت براعته في الحديث، في نبرة مجاملة رقيقة: «تبدو وكأنك تتقن اللغة الإيطالية جيداً.»

قالت تلك الكلمات آملة في محاولة يائسة، تغيير مجرى حديثهما أكثر مما قصدت مجاملته. وجدت تلك المحادثة القصيرة عن الماضي مؤلمة جداً وانذاراً خطراً في آن معاً. من يدري إلى أين قد تصل المناقشات حول الماضي؟

شعرت ان فالكو فهم مخططها. وعندما نظر إليها، أدركت انه على أهبة لأن يفسد محاولتها في تحويل حديثهما إلى حديث غير مؤثر.

لكنه لم يرغب في ذلك. عوضاً عن ذلك، قال وهو يبتسم: «لا أقول إني بارع بها حقاً. لكني أنوي ذلك. إنها لغة جميلة جداً.»

شعرت لورا بارتياح طفيف وقالت: «هل بدأت بتعلّمها منذ زمن طويل؟»

«منذ سنتين وحتى الآن، لكن على مراحل. لقد حصلت على عدة فرص في إيطاليا التي أعجبتني كثيراً، فقررت ان الوقت قد حان لأشتري منزلاً هنا.»

نظرت لورا إلى ما حولها بسرعة وقالت: «منزل رائع حقاً.» كانت الدارة جميلة، رغم انها بحاجة إلى إعادة زخرفة.

«لقد اشتريتها كما هي، بكل محتوياتها، والتي أرغب في التخلص من معظمها. سيجد المستأجرون عندي دون شك حاجة بها.»

رفعت حاجبيها بدهشة قائلة: «مستأجرون عندك؟ لديك مستأجرون يقيمون في المنزل؟»

كانت لدى فالكو الفرصة ليبتسم، على الأقل، وهو يقول: «ليس في المنزل». إنهم موزعون على الجزيرة. كما ترين لم أشترِ المنزل فقط. لقد اشتريت الجزيرة بأكملها. هناك حوالي خمسين شخصاً يعيشون على الجزيرة بالإضافة إليّ.»

أبقت لورا حاجبيها مرتفعين وهتفت متعجبة: «لا بد أن صناعة الأدوات الصحية مزدهرة جداً.»

ترك فالكو ذلك التلميح الحاد إلى الشركة الأساسية في ميدلاند والعائدة لوالده، والتي هي مصدر ثراء آل روث الفاحش، يمر عن عمد دون تعليق. توقف عن النظر إليها، وجلس على الأريكة المقابلة لها وقال، وكأنهما لم يستطردا في الموضوع أبداً: «اللغة الإيطالية ليست لغة صعبة. خلال بقائك هنا ستتمكنين بنفسك دون شك من التقاط اللغة بشكل مبدئي.»

ابتسمت لورا ابتسامة باردة وقالت: «إذا بقيت هنا، سأفعل ذلك دون شك، لكن، كما أخبرتك، لن أبقى.»

«وكما أخبرتك، لقد عقدنا اتفاقاً.»

«اتفاق جعلتني أوقع عليه تحت مظاهر خادعة والذي لا أنوي إطلاقاً احترامه.» استقامت لورا في جلستها ونظرت إليه نظرة غاضبة، وقد أخفت بحذر توترها الداخلي، بينما

كانت تتساءل للمرة الثانية إذا كان قد اكتشف سرها.

قالت له: «ما يذهلني هو، لماذا تريدني أنا أن أزخرف منزلك؟ ولماذا بحق السماء تواجه المتاعب في خداعي كي أحضر إلى هنا؟» وتأهبت داخلياً لتسمع جوابه.

«من قال إني خدعتك من أجل احضارك إلى هنا؟» واتكأ فالكو على كرسيه، وقد بدا شعره داكن السواد بالنسبة إلى لون قماش الأريكة الأزرق الفاتح، وضع ساقاً فوق الأخرى، ثم أضاف: «من قال إنني أنا من اختارك لتزخرفي منزلي؟»

«لا أحد.» ففي غمرة توترها، افترضت ذلك ببساطة. وامكانية أن تكون مخطئة كانت مشجعة جداً. برغم ذلك كانت نبرة صوت لورا ميّالة إلى الشك عندما قالت له: «إذاً، هل تحاول اخباري أن صديقتك هي التي اختارتني؟ إني أؤمن بالمصادفة، لكن من المؤكد أن تلك مبالغ فيها قليلاً؟»

«لماذا؟ إني أعرف انك تُعتبرين من أهم مصممي الديكور في لندن هذه الأيام. لذا فأي شخص يأتي إليها في مهمة لايجاد مصمم ديكور، قد يكون أمامه فرصة كبيرة لاختيارك.»

كانت ترغب في تصديقه، أكثر من أي شيء آخر، لكن ذلك بدا تملّقاً واضحاً لا يمكن الاقتناع به. فقالت: «أعتقد ان ذلك ممكن، لكن ما زال الأمر محض مصادفة.»

فأجابها وقد ضاقت عيناه: «غالباً ما تحدث المصادفات. الحياة ملأى بها. وكما قلت بنفسك، لأي سبب يمكن أن أكون قد تعمدت اختيارك؟»

أخذ قلب لورا يرقص في صدرها. هل كان ذلك نكراناً مهذباً، أو انه تحذير هادىء. إن لديه سبباً لذلك دون شك؟ وكان ذلك السبب هو الأمر الذي تخشاه.

تنفست بعمق وحاولت بجهد ضبط أعصابها. يجب عليها تذكر الماضي والتصرف على أساسه، أو انها ستواجه الخطر في خداع نفسها كنتيجة لتوترها.

قالت موافقة: «حسناً، لنفترض ان الأمر مجرد مصادفة، لقد أرسلت صديقتك إلى لندن لتجد لك مصمم ديكور داخلي وقد عادت بي.» انحنت إلى الأمام في مقعدها ونظرت إلى عينيه، وتابعت: «إذاً، لماذا عندما أخبرتك بمن اختارت، لم تطلب منها العودة إلى هناك واختيار شخص آخر؟ من المؤكد ان اختيارها لم يكن ليزعجك أكثر مما أزعجني؟»

«ربما لأني لم أكن موجوداً عندما أعدت الترتيبات؟ أو ربما عندما عرفت ذلك، كنت قد أصبحت في طريقك إلى هنا؟»

تجهمت لورا. فقد كان هناك احتمال ضئيل بأن يكون الأمر صحيحاً. وفوق ذلك كله، لقد أعدت الترتيبات بسرعة شديدة. لم تكن قد مرت أربع وعشرون ساعة بعد على لقائها الأول مع جانين كورتز، ذات الشعر الذهبي الجميل حتى وقعت الاتفاقية. وبعد يومين كانت متوجهة إلى ألبا لتمضية اسبوعين في دراسة معالم الدارة، وهو أمر أصرت جانين عليه بشدة.

شعرت لورا ان توترها قد بدأ يتضاءل، وبرغم ذلك، فقد خامرها شعور ضئيل بالشك حيث قالت: «كيف حدث ان

جانين لم تذكر اسمك اطلاقاً؟ طريقتها في الحديث، جعلتني أعتقد ان الدارة عائدة لها.»

كان ذلك ممكناً، أيضاً، استقامت لورا في جلستها ونظرت إليه، وبرغم أفكارها المشوشة، شعرت فجأة بنوع من الشفقة غير المتوقعة تجاه الفتاة. لقد اعتقدت هي أيضاً، ذات مرة، في غمرة براءتها، ان مستقبلها ومستقبل فالكو قد قدر لهما ان يرتبطا معاً. وتمنت أن يكون الحظ الوافر حليف جانين كورتز. لأنها ستكون بحاجة إليه مع رجل مثل فالكو.

تابعت اصرارها قائلة: «ولم تأتِ على ذكرك، حتى بعدما وصلت إلى هنا. ولا حتى اسمك. كانت تشير إليك بعبارة المالك، واخبرتني انك تريد التحدث إليّ، وبطريقة ما دفعتني إلى الغرفة.»

«كان ذلك إهمالاً من قبلها، إني أعتذر نيابة عنها، لكن لا تكوني قاسية جداً في الحكم عليها. إنها مجرد فتاة عادية.»

راقت تلك الفكرة للورا. لقد كانت جانين كورتز من النوع الساذج من الفتيات، برغم ان مظهرها لا يوحي بذلك. فهي تبدو في منتصف العشرينات من العمر، وانها تقارب لورا في عمرها، وهي مذهلة حقاً مع قليل من الغرور، انها من الفتيات اللواتي تثير رفقتهن البهجة في نفوس عدد لا يستهان به من الرجال. وبرغم شعور لورا انها شخص جدير بأن يحب، إلا انها لاحظت بوضوح فقدانها الثقة بنفسها، وشعورها بعدم الاطمئنان وجهلها التام بما يسمونه الكياسة الاجتماعية.

ابتسمت لورا بسخرية في سرها محدثة نفسها: انظروا

من يتكلم! لقد كانت في ما مضى، تفتقر إلى الكياسة الاجتماعية تماماً مثل جانين! في البداية كانت هي أيضاً مجرد فتاة عادية. الثقافة التي اكتسبتها حصلت عليها تدريجياً، ويعود الفضل في ذلك إلى علاقتها الماضية مع فالكو وإلى الطبقة الراقية التي تعاملت معها ضمن اختصاصها في ما بعد.

جانين أيضاً، ستتعلم. سيعلمها فالكو. إنه من الرجال الذين يفضلون أن تتمتع نساؤهم بقليل من الكياسة.

انتابها عند تلك الفكرة احساس بالمرارة. في الأيام الخوالي كان بالنسبة إليها كالبروفسور هيغنز في مسرحية بيغماليون (سيدتي الجميلة). كان لديه الكثير الكثير ليعلمها، وكانت متشوقة جداً لتتعلم. ولم تشعر الا في وقت متأخر جداً انها كانت مجرد تسلية.

فتح الباب في تلك اللحظة ودخلت آنا، وهي تحمل صينية عليها ابريق كبير من شراب الليمون، وكأسان طويلتان وصحن مليء بالكعك اللذيذ.

وضعت الصينية على المنضدة بين الأريكتين اللتين يجلسان عليهما، ملأت الكأسين بالعصير ونظرت إلى فالكو لتحصل على تقديره حيث قال لها: «شكراً!»

فأجابت: «على الرحب والسعة.» وغادرت المكان.

خطرت فكرة على بال لورا وهي تمد يدها لتتناول الكأس وترشف بعضاً من العصير البارد اللذيذ، فسألته: «أين جانين؟ لِمَ لا تنضم إلينا؟ أليس من المفترض أن تحضر مناقشتنا؟ إنها المسؤولة في ما يبدو عن وجودي هنا، برغم كل شيء.»

«أعتقد انها ذهبت للسباحة. إنها تفعل ذلك في أغلب الأيام في هذا الوقت.» وتناول فالكو قطعة من الحلوى ودفع الصحن نحو لورا. ثم أضاف: «تفضلي. انها لذيذة جداً.»

«أرجو أن تخبر جانين بأني آسفة جداً لأنك لم تحصل على مصمم الديكور المناسب، بعد كل المتاعب التي تكبدتها.» وتناولت قطعة صغيرة من الحلوى ووضعتها في فمها. كانت لذيذة الطعم.

«إذاً أنت جادة حقاً بشأن رحيلك؟»

«كل الجدية.»

«ذلك أمر مؤسف.»

«ربما، لكنه مجرد ازعاج مؤقت. ستجد جانين بسرعة شخصاً آخر.»

بينما كانت لورا تتكلم شعرت بإحساس من الارتياح يغمرها. إنه يترك لها حرية الخيار، وذلك قد يعني أمراً واحداً. ان هذا اللقاء غير المتوقع كان مجرد مصادفة، وبعد كل شيء، لم يكتشف أمر سرها، واحضارها إلى هنا لم يكن بشأن ذلك.

ثم أضافت بلهجة مرحة: «هناك الكثير من مصممي الديكور البارعين.»

فأجاب، وهو يراقبها عن كثب: «إني متأكد من ذلك. وإني أتساءل ماذا سيكون رأيهم بكِ عندما أخبرهم كيف نقضت اتفاقنا؟»

حدّقت لورا به، وقد فغرت فاها. ثم قالت: «هذا ليس عدلاً. إن نقضت اتفاقنا فلسبب يستحق ذلك. إذا أخذنا بعين الاعتبار علاقتنا في ما مضى، وشعورنا العميق بعدم

الاعجاب ببعضنا البعض.» ثم أضافت مؤكدة ذلك: «سيكون من المضحك أن نستمر معاً.»

كان الأمر وكأنها لم تنبس ببنت شفة. تناول جرعة كبيرة من العصير، وأخذ قطعة أخرى من الحلوى ومضغها وهو يفكر. ثم قال: «قد أستطيع، بقليل من الدهاء، أن أتدبّر أمر رحلة إلى لندن الاسبوع المقبل. لن أرسل جانين. سأذهب بنفسي هذه المرة.»

نظر إليها شزراً، ثم أضاف: «وللتعويض عن هذا الازعاج، سأكون سعيداً في أن أعلم زملاءك عن فقدانك المؤسف والتام للأهلية في هذا الاختصاص.» ابتسم ثم تابع قائلاً: «سأكون مندهشاً حقاً، إن شاركك أي منهم نظرتك الرجعية في أن علاقتنا القديمة هي العذر الوجيه. على أي حال، لقد انتهت تلك العلاقة منذ أمدٍ بعيد.»

نظرت لورا إلى وجهه وقالت: «لن تفعل ذلك؟» وشعرت فجأة أن قلبها ينبض بشدة داخل صدرها.

ابتسم لها بقساوة وأجابها: «آه، نعم، سأفعل. لقد ازعجتني وسأزعجك بالمقابل.» ولاحظ أثر الصدمة على وجهها فقال: «لم يعجبك الأمر، أليس كذلك؟»

هزّت لورا برأسها دون أن تنبس ببنت شفة. إنه يجهل تماماً عما يتكلم، وعن عاصفة الخوف التي أثارها داخل قلبها. تهديده بأن يناقش أمر عدم أهليتها مع زملائها، لم يكن السبب وراء نظرتها إليه الآن، تلك النظرة الملأى بالخوف.

الخوف الذي اعتراها فجأة كان أشد إيلاماً من ذلك. فإثارة هذه المناقشة مع زملائها في دائرة اختصاصها في

لندن، ستوصله عاجلاً أم آجلاً إلى اكتشاف السر الذي أقسمت على أن لا يعرفه أبداً.

أخفضت جفنيها للحظة. ليس لديها خيار آخر. ثم نظرت إليه بوجه شاحب وشفتين غاب اللون عنهما وقالت: «حسناً، لقد انتصرت. سوف أبقى وأقوم بالعمل.»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

أعقبت ذلك فترة صمت قصيرة بينما جلس فالكو يراقبها. ثم استرخى إلى الوراء على مقعده، وقال: «قرار حكيم. بهذه الطريقة، لن يكون أي منا منزعجاً. إني سعيد لأنك تصرفت بحكمة أخيراً.»

لم تجبه لورا. فقد شعرت بالجمود من شدة الانفعال. فها هي تهرب من بين ألسنة النيران الملتهبة لتجد نفسها وقد غرقت في الرمال المتحركة. كيف، بحق السماء يمكنها احياء هذا التعامل المفروض عليها مع فالكو؟ مجرد التفكير في الأمر جعل الدم يتجمد في عروقها.

لم تكفّ عيناه السوداوان عن التحديق في وجهها أبداً، وببراءة مصطنعة قال: «بصراحة، لقد دهشت في بادىء الأمر عما أزعجك لتحدثي هذه الجلبة. وأي ضرر قد ينتج من جراء استخدامك لتزخرفي منزلي؟»

تنهدت لورا بعمق لتهدىء من روعها، وأجابته بحزم: «ليس هناك أي ضرر. لقد اعتبرت نظراً للظروف، ان الأمر غير مناسب، ولربما يبدو في ذلك نوع من الانطباع السيىء.»

كان اضطرابها يثير في نفسه البهجة، فقال: «انطباع سيىء؟ لا أستطيع أن أدرك لماذا يبدو ذلك. وعلى أي حال، نحن، ولطالما كنا كذلك، شخصان منفصلان ومستقلان، وعلاقتنا الحالية ستكون، بالطبع، محض عملية.»

إنها متأكدة من هذا الأمر تماماً! ورمقته لورا بنظرة باردة ثم قالت: «شخصياً، لم أكن أفضل إقامة أي نوع من العلاقات معك مهما كانت طبيعتها.» وفي لهجة فيها الكثير من الانفعال أكثر مما قصدت اظهاره، تابعت: «بصراحة، كنت أفضل أن لا أراك أبداً!»

«لماذا، ما المشكلة في ذلك؟»

«ليس هناك من مشكلة.»

«ألا تستطيعين مواجهة الأمر؟»

قالت وقد اتقد وجهها احمراراً: «أستطيع مواجهته، بالتأكيد.» وشعرت فجأة ان قلبها قد تحوّل إلى كتلة مؤلمة من المشاعر القاسية. أرغمت نفسها على النظر إليه، ورددت: «أستطيع مواجهته.»

تابع فالكو النظر إليها، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة لهو ساخرة، لوقت شعرت انه طويل جداً. ولم يكن من الضروري أن يقول إنه لم يصدقها.

ثم قال: «أتمنى لو أستطيع الأخذ بكلامك. فإن تبديل رأيك باستمرار لن يجديني نفعاً.»

فأجابته: «لن أبدّل رأيي. لقد قلت إني سأقوم بالعمل، وانا لا أتراجع في كلامي عندما أتعهد بعمل ما.»

حينذاك، ابتسم فالكو ابتسامة هازئة. وقال: «هل أعتبر ان ما تشيرين إليه يتعلق بالأمور العملية؟ لأنه كما يعلم كلانا، يصعب إرضاؤك على الصعيد الشخصي.»

برغم ان لورا كانت شبه متوقعة تلك الكلمات القاسية، إلا انها لم تستطع كبح الألم الذي سببته لها تلك الكلمات في صدرها. لم يكن اتهامه عادلاً، وبرغم ذلك كان مصمماً على

تصديقه. إن تصديقه أمر يناسبه، فقد كان ذلك واضحاً دائماً.

أخذت نفساً عميقاً. ستدعه يعتقد ما يشاء. لأن ذلك لن يغيّر في الأمر شيئاً، صراحة.

أجابته بنبرة صوت مصطنعة: «نعم، كنت أتكلم في ما يختص بشؤون العمل. حيث انك منذ دقيقة خلت، كنت تقوم بما في وسعك، لتؤكد لي أن ما بيننا هو مجرد علاقة عمل.»

تأملها للحظة بنظرات قاسية، وقال: «تماماً. لنأمل أن تظهري احتراماً لكلمتك في هذا المجال، أكثر مما عُرف عنكِ في مجالات أخرى من حياتك.»

ثم نظر إلى ساعته، نهض فجأة وقال: «اعذريني، إن تركتك وحدك لتكملي تناول العصير. فعندي أمور عليّ الاهتمام بها. سأطلب من آنا أن ترشدك إلى غرفتك عندما تريدين.»

قال ذلك ثم استدار وغادر الغرفة.

برغم ان أكثر من أربع ساعات قد مرت على تلك المحادثة العدائية، فما يزال صدى تلك الكلمات يرن في أذنيْ لورا، بينما كانت في الطابق العلوي تستعد حتى يحين موعد العشاء.

دخلت جانين إلى غرفتها، لتقول لها: «نتناول العشاء عند الساعة التاسعة، ذلك ليس أساسياً، لكن فالكو يفضل أن نكون دقيقين.»

كانت الساعة تشير إلى دقائق قليلة بعد الثامنة، وكانت لورا قد استحمت وغسلت شعرها. فجلست أمام طاولة الزينة وقد التفّت في رداء الحمام. انحنت إلى الأمام وأخذت تتأمل إنعكاس صورتها في المرآة.

أخذت تتساءل كيف قبلت بهذه المسألة البغيضة؟ وماذا فعلت بحق السماء لتستحق مصيراً كهذا؟ وكيف ستتدبر الأمر للخروج سالمة من هذه المحنة، دون أن تنهار أو تصاب بالجنون في النهاية؟

تنهدت، وقالت لنفسها بصراحة، لقد تخطيت ما هو أسوأ وسأتخطى هذا الأمر أيضاً، حتى وإن أجهدني ذلك!

تجهمت ملامحها عندما فكرت في السبب الذي أرغمها على قبول هذا العمل البغيض. كان عليها خسارة الكثير، أغلى ما لها في هذا العالم. هذا العمل مع فالكو كان مجرد تضحية صغيرة إذا ما تأكدت من أن سرها سيبقى طي الكتمان بمأمن منه.

ابتسمت ساخرة، فالكو يعتقد انه أوقعها بتهديده في تشويه سمعتها العملية، ويبدو عليه أيضاً انه قد أساء فهم قبولها العمل عنده واعتبره دليلاً على انها ما زالت تكنّ له بعض الودّ.

كان يعتقد انها تواجه مشكلة في عدم القدرة على مواجهته، كما وانها غير قادرة على التأقلم مع الفكرة شبه المؤكدة وهي أن العمل معه سيجبرها بالطبع على فعل ذلك. لقد أدركت من نظرات عينيه الساخرتين، دون الحاجة إلى أن يقول ذلك، فهو يعتقد أنها ما زالت مغرمة به.

كم هو سخيف! قفزت لورا متوترة على قدميها. كيف يجرؤ على افتراض أمر سخيف كهذا؟

برغم انها صرفت تلك الفكرة بغضب، شعرت بأحاسيس قوية غير متوقعة تجيش في صدرها. كانت مزيجاً من الألم والمرارة. كانت تلك الأحاسيس ذاتها التي خالجتها بعيد

الظهر عندما استدار ليواجهها في قاعة الاستقبال التي كانت تغمرها أشعة الشمس.

أغمضت لورا عينيها لدقيقة وتنهدت بعمق. فما شعرت به لم يكن ما توقعته في حال شاء سوء طالعها أن تلتقيه ثانية. ما توقعت أن تشعر به، ما تمنت أن تشعر به، كان عدم الاكتراث وليس الألم والمرارة. ولكن في اللحظة الحاسمة اختفى ذلك الشعور.

ماذا كنت تتوقعين؟ تهجمت على نفسها بضيق، وعيناها الزرقاوان تحدقان بانعكاس صورتها في المرآة. لقد أُخذت على حين غرة ووجدت انها تغوص في الماضي. فما شعرت به هذا المساء كان مجرد صدى الأحاسيس التي انتابتها خلال لقائهما الأخير. ذلك الإحساس بالمرارة الذي كاد يخنقها، وذلك الألم الفظيع الذي كان أقوى من أن تحتمله.

لكن تلك الأحاسيس كانت من الماضي، وفي الحقيقة لا أهمية لها. فما هو حقيقي كان ذلك الشعور باللامبالاة الذي عملت على رعايته في قلبها خلال السنوات الثلاث الماضية.

تجهمت وقطعت وعداً على نفسها مع انتهاء هذا التعهد مع فالكو ستجعله يتأكد تماماً، كما هي متأكدة، من عدم اكتراثها له.

تنهدت لورا وجلست ثانية على الكرسي وأخذت تتأمل انعكاس صورتها بقليل من الارتياح. كونها لم تعد تهتم، كان أمراً لا يحتمل الشك. لكنه من الظلم أن تؤنب نفسها لأنها أحبته في يوم من الأيام. ذاك الحب الذي كانت تكنّه له، كان صادقاً، مخلصاً، نقياً، وحباً بريئاً. الحب الأعمى للشباب.

كان ذلك منذ نحو أربع سنوات عندما التقيا، هي وفالكو، للمرة الأولى. كان ذلك مجرد مصادفة كما هو الأمر عادة في الأحداث التي توجّه مجرى حياتنا.

كانت لورا في الحادية والعشرين من العمر عندما بدأت عملها كسكرتيرة مبتدئة في مصنع سوليهول روث، حيث عمل والدها، كهربائياً، لمدة خمس وعشرين سنة. وفالكو الابن الوحيد لرب العمل. كان يكبرها بخمس سنوات وكان حينها المسؤول عن قسم المبيعات ومحط أنظار جميع الفتيات اللواتي يعملن في المصنع. كل الفتيات ما عدا لورا التي شاء سوء حظها أن تلحظه يوماً. فالكو روث، الذي كرّس حياته ليكون محط أنظار النساء. أعجبت به. فقد كان وسيماً، جذاباً، ومفعماً بالحيوية. لكن لم يخطر في بالها، كما حدث مع بعض الفتيات الأخريات، أن تلاحقه. فملاحقة الرجال لم تكن بالتأكيد اسلوب لورا. بالإضافة إلى أن لديها مطامح أخرى غير ذلك.

بقي الحال مستمراً على هذا النحو، على الأقل حتى شاء قدرها في احد الأيام أن تصطدم به مباشرة وهي تخرج من الباب المتأرجح.

كان يبتسم وهو ينحني ليساعدها في جمع الأوراق التي وقعت منها وتبعثرت على الأرض في الرواق وقال: «عذراً. إنها غلطتي. كان عليّ أن أكون أكثر انتباهاً.»

انحنت لورا على ركبتيها وأخذت تلتقط بسرعة الوثائق المبعثرة وقالت: «إنها غلطتي أيضاً. لم أكن منتبهة. فقد كنت شاردة الذهن.»

«حقاً؟ إذاً، اننا نعاني من ذات البلوى. إني أعاني منذ

زمن طويل من حالة شرود في الذهن بعيداً عن واقعي.»

كانت تلك المرة الأولى التي تنظر فيها لورا إلى عينيه. ولن تنسى أبداً ذلك الشعور الذي خالجها في حينه. وكأنما أحد ما قد أمسك بها فجأة. فلم تعد تقوى على التنفس. وشعرت للحظة انها غير قادرة على الكلام.

«هل أنت بخير؟» وباهتمام اتسعت قليلاً تانك العينان السوداوان الساحرتان، واللتان لم تنظر لورا إلى مثلهما أبداً، وهو يضيف متسائلاً: «هل آذيتك، عندما اصطدمت بك؟»

أبعدت لورا عينيها عنه، وأجابت: «لا، لا. بالطبع لا. إني بخير. إني بخير تماماً.» وكان قلبها يخفق بطريقة لم تعهدها به من قبل. ولم تستطع إعادة التوازن إلى نفسها وهي تنهض على قدميها. وقالت له: «شكراً» وهو يعطيها الأوراق التي جمعها وقد بدت الابتسامة على وجهه. ثم هرعت تجري في الرواق وكأنها ملاحقة.

لم يفارق طيفه خيالها بقية النهار. وقد باءت جميع جهودها بالفشل لابعاد صورة تينك العينين السوداوين وروعة الابتسامة التي ظهرت لها فيهما. وأخذت تشعر بانقباض في معدتها في كل مرة فكرت بهما.

لذلك قررت لورا أن لا تستقل الحافلة ذاك المساء وتعود إلى منزلها سيراً على القدمين، في محاولة لإنهاء ذلك الجنون الذي أصابها. إن السير لمسافة ثلاثة أميال سيكون الدواء الشافي. وسيعيد إليها اتزانها.

لسوء حظها، بدأت السماء فجأة تمطر بغزارة عند خروجها.

«تعالي. اصعدي. دعيني أقلك.»

استدارت لورا عندما سمعت صوتاً يتحدث إليها ووجدت نفسها تنظر إلى تينك العينين السوداوين اللتين كانت تحاول جاهدة نسيانهما. وفتح لها فالكو باب سيارته الرياضية الفضية اللون وقد انحنى على المقعد باتجاهها.

قال: «اصعدي. ماذا تنتظرين؟ لقد بلل المطر.»

شعرت مجدداً بانقباض في معدتها وتسارعت دقات قلبها وكأنما هي قطار على أهبة الاستعداد للانطلاق. وأحست بتردد وارتعاش وهي ترغم نفسها لتقول: «لا أريد الصعود. شكراً. إني أفضل السير.»

قال لها بلهجة حادة: «لن تفعلي شيئاً من هذا القبيل!» ثم أضاف وقد قطب جبينه: «اصعدي في الحال أو أخرج وأصعدك رغماً عنك.»

شعرت لورا انه قد عنى ما قاله، برغم ابتسامته. وعلى أي حال لِمَ الجدال؟. فالحقيقة أنها كانت ترغب في قبول دعوته أكثر من أي شيء آخر.

لذا صعدت. وهي تحاول أن توقف ارتعاش أطرافها. وقالت له: «هذا لطف منك.» ورفعت زجاج النافذة. أمسكت بحقيبتها ودون أن تقوى على النظر إليه تابعت قولها: «إني أقطن في الجهة الأخرى من الشارع الشمالي وآمل ألا يكون بعيداً جداً عن طريقك.»

«إنه على طريقي.» قال فالكو ذلك وأدار محرك السيارة، داس على دوّاسة الوقود بقوة وابتعد بسرعة عن الرصيف. ثم ابتسم لها وقال: «إذاً بحق السماء، ما الذي جعلك تسيرين تحت المطر دون أن تكون معك مظلة؟»

هزّت لورا كتفيها، وقد شعرت بإحراج ثم قالت: «لم تكن

السماء قد بدأت بعد بالمطر عندما غادرت. وكيف لي أن أعرف أن المطر سينهمر فجأة؟»

«نظرة سريعة نحو السماء كانت كافية لتنبهك إلى ذلك.»

ثم تابع بقصد مضايقتها: «أظن انك لم تفكري في ذلك؟»

«لم أفعل في الواقع.»

«هل كنت شاردة الذهن كالمعتاد؟»

«شيء من هذا القبيل.» لو أنه يعلم فقطا وشعرت بالذنب. وبينما كانا يمران عبر احد تقاطع الطرق، استدارت نحوه لتقول له: «أعتقد انك شارد الذهن أيضاً! فأنت تسير في الاتجاه المغاير!»

فقال: «حقاً؟ هذا حسن. هذا يعني ان رحلتنا ستستغرق وقتاً أطول.» واستدار لتلتقي عيناه بعينيها، وتبعثا الانكماش في جميع أنحاء جسمها. ثم تابع كلامه قائلاً: «في الواقع أنا أعرف طريقاً قد يستغرق نصف ساعة، على الأقل.» وتوقف للحظة، ثم أضاف: «إلا إذا كنت على عجلة من أمرك، بالطبع؟»

لم تكن لورا متأكدة. فقالت: «لا، ليس تماماً، لكن...»

نظر إليها نظرة خاطفة، وعيناه السوداوان تتراقصان وقال: «لكن لا شيء. لا تقلقي، يا لورا ميسكن، إني لا أنوي اختطافك. كل ما أريده هو فرصة لنتحدث سوية.»

إذاً، لقد عرف اسمها. وغمرت البهجة قلبها. لا بد انه عرف ذلك بعد الظهر. بعد اصطدامهما ببعضهما في الرواق.

نظر إليها مرة ثانية، وسألها: «هل أنت موافقة؟»

أجابته وقد تسارعت نبضاتها من شدة التأثر: «ان نتحدث معاً؟ أجل، أعتقد ذلك. وعمء تريد أن نتحدث بالضبط؟»

«عنك، يا لورا ميسكن. أريدك أن تخبريني كل شيء عنك، وعن أحلامك التي تتسبب في اصطدامك بالناس وتجعلك تخرجين في العاصفة من دون مظلة.»

بينما كانت تنظر إلى البعيد، وقد أصابها ارتباك مفاجيء، مد يده وأمسك ذراعها بخفة ورفق مما جعل جسمها يقشعر وقلبها يكاد يتوقف. وتابع قائلاً: «لكنك تستطيعين البدء بما هو سهل، مثل: من أين أتيت، أين تعلمت. كم لديك من الاشقاء والشقيقات، ومنذ متى وأنت تعملين عند والدي... وهل توافقين على تناول العشاء معي مساء الغد؟»

ضحكت لورا وقد شعرت ان توترها قد زال. فقد كان اسلوبه السهل والخالي من التعقيدات ممتعاً. فقالت ممازحة: «عن أي سؤال تريدني أن أجيبك أولاً؟»

«الأخير، طبعاً.»

التقت عيونهما مرة ثانية. وشعرت لورا بموجة من السعادة تغمرها.

فقالت، وقد انقادت لمصيرها: «حسناً، موافقة!»

هكذا بدأ الحب بينهما، الحب الأول والوحيد في حياة لورا. وقد أدركت حينها، وهو يوصلها إلى المنزل تحت وابل المطر، ان ذلك كان بداية أمر مميز.

أزهر حبهما بسرعة. إنما بسرعة بدت طبيعية. حيث انهما لم يشعرا كغريبين أبداً حتى في بادىء الأمر. شيء ما قد ربط بينهما على الفور.

لقد فهم كل منهما الآخر. دون أي جهد وبشكل بديهي. إنها كمن يعيش في النعيم. رددت لورا لنفسها.

أشركته لورا في أحلامها الخاصة التي لم تشرك فيها أحداً من قبل. وقد تفهمها وشجعها تماماً كما توقعت منه.

فقد قال لها: «سيحدث ذلك يوماً، ففي أحد الأيام ستصبحين مهندسة ديكور من الدرجة الأولى. فأنت تملكين الموهبة. إنها في داخلك. إني متأكد جداً من أنها موجودة في داخلك.»

«هل تعتقد ذلك حقاً؟»

«إني لا أعتقد ذلك فقط. بل أنا متأكد من ذلك.»

لقد فعل أكثر من مجرد تشجيعها بالكلام. فقد أحضر لها في ذكرى ميلادها، بعد مضي نحو شهرين على بدء علاقتهما، أجمل هدية يمكن تخيلها، مجموعة كاملة من الدروس والمحاضرات من الدرجة الأولى في التزيين الداخلي، يمكن دراستها بالمراسلة. شيء تمنت أن تحصل عليه لكنها كانت تعرف أنه لا يمكنها دفع تكاليفه.

تبع ذلك رحلات إلى مراكز بيع المزاد العلني في لندن، حيث اكتسبت معرفة غنية عن مختلف الأنواع، من الأثاث إلى البورسلان، من الأشياء القديمة إلى تلك التي تعود للعصر الفيكتوري، وحيث اكتشفت أيضاً ان جمع القطع الفنية، كان إحدى هوايات فالكو المحببة. وفجأة، فتحت في وجهها أبواب كانت لا تجرؤ حتى على طرقها.

لكن كل ذلك كان مجرد جزءٍ صغيرٍ من السحر الذي كان سائداً بينهما. لأن الحب الذي كان يجمعهما هو الذي ألهب قلب لورا.

ستذكر طوال حياتها أول مرة قبلها فيها. كيف بدا لها

العالم برمته يدور على محوره عندما انحنى فالكو نحوها. ذراعاه حول خصرها، وعيناه تنظران بشوق في عينيها، وهي قد أمسكت أنفاسها، تنتظر أن يقبلها. وما زال مجرد التفكير في ذلك، برغم مرور زمن عليه، يثير في رأسها ذبذبات خفيفة.

كانت تلك المرة الأولى التي يتعانقان فيها.

كانا في ذلك الوقت قد أصبحا متيمين جداً ببعضهما البعض. كانا يدركان ان ذلك سيحصل عاجلاً أم آجلاً، لكن لورا أدركت، برغم توقها لمعانقته، ان تلك الخطوة كبيرة جداً لتقدم عليها. فالكو هو حبها الأول. ولم يكن الإقدام على معانقته خطوة يمكن تخطيها بسهولة. في حال حدوث ذلك، سيكون أجمل تجربة تقدم عليها في حياتها.

ذات يوم كانا في منزل فالكو. وقد أعد هو بنفسه العشاء لهما، حيث اكتشفت لورا عندها ان الطهو، هو احدى المهارات العديدة التي يتقنها. كانا جالسين على الأريكة كلٌ إلى جانب الآخر، وأيديهما متشابكة بحرارة، يتحدثان، ويضحكان. عندما نظرت لورا إلى الساعة، وتمتمت قائلة: «من الأفضل أن أذهب.»

كانت نبرة صوتها مترددة، فآخر شيء كانت تتمناه هو الذهاب إلى المنزل، إلى الغرفة الباردة التي تتقاسمها مع احدى صديقاتها. عندما تبتعد عن فالكو كانت تشعر في تلك الأيام وكأنها فقدت احد أعضائها. وكان شعوره مماثلاً. ذلك ما قاله لها.

أمسك ذقنها. وقبلها بلطف، على وجنتها، وناشدها قائلاً: «لا تذهبي يا لورا، ابقي هنا الليلة.»

التقطت لورا أنفاسها، وتساءلت هل تجرؤ على ذلك؟ فهي تعرف ما قد يحدث إن بقيت هناك.

فهم فالكو على الفور سبب ترددها. فقبلها مرة أخرى وقال لها: «أريدك، أريدك أكثر مما أستطيع القول. لكن صدقيني يا حلوتي لورا، ما كنت لأقترح ذلك لو اني لم أكن متأكداً من أنك الفتاة التي أرغب في الزواج منها.»

كاد قلب لورا أن يتوقف من فرط السعادة التي غمرتها.

أضاف قائلاً: «إني أحبك.» وأضاءت ابتسامة عينيه لصمتها التام ولتعبير عينيها المستديرتين وتابع: «لا أريدك أن تقولي نعم أو لا الآن، لكن ما يهمني هو أن تدركي حقيقة شعوري نحوك.»

لم تعطه لورا جوابها في تلك الليلة التي لا تنسى، ليس لأنها غير متأكدة مما ستجيبه وليس لأنها لم تستطع استيعاب ما قاله لها للتو. لقد حلمت بذلك عدة مرات، لكنها لم تجرؤ أبداً على أن تتصور ان ذلك قد يحدث فعلاً.

برغم ذلك استطاعت أن تقول له: «إني أحبك، أيضاً. وسأبقى. إني أرغب في البقاء.»

كان قراراً لم تندم على اتخاذه أبداً. ومهما حدث بعد ذلك، فما من شيء استطاع أن يُفسد ذكرى تلك الليلة الرائعة التي أمضياها معاً للمرة الأولى.

كفارس أتى على حصانه الأبيض ليحمل حبيبته إلى قلعته، رفعها فالكو عن الأريكة وعانقها، وعلى الفور أزال كل توترها. حيث أنها أحست فعلاً بما كانت تتخيّله، وهو أن معانقة فالكو لها، ستكون تجربة متعددة الوجوه، فقد كانت مسلية، وممتعة، في آن معاً.

لقد كانت تلك الأمور، بالإضافة إلى أمور أخرى تزيد في تحقيق وترسيخ الحب الذي يتشاركانه معاً.

أدركت لورا تلك الليلة ان هذه التجربة الجديدة قد قربتهما من بعضهما أكثر. وشعرت انها قد ارتبطت به إلى الأبد وكأن سلاسل حديدية تكبلهما.

خُطبا لبعضهما بعد مضي شهرين على ذكرى الميلاد. وقال لها بعض الأصدقاء إن الأمر قد تم على عجل. أما بالنسبة لوالدتها، فقد حدث ذلك بسرعة كبيرة. وكان الأشخاص الذين انتقدوهما على حق. فقد كان ذلك بداية النهاية.

كان على لورا أن تدرك ان علاقتهما الرومانسية كانت ستنتهي على أي حال. لم يكن فالكو ذلك الخطيب الملتزم كما حاول أن يبدو. لكن والده كان السبب في الاسراع في فسخ خطوبتهما.

كان أوسكار روث رجلاً اشتهر بفظاظته. ولسوء الحظ لم يوافق أوسكار على لورا خطيبة لابنه. لذا استدعاها في احد الأيام إلى مكتبه وقال لها: «أعتقد ان عليّ أن أخبرك اني لا أنوي السماح لك بالزواج من ابني. أفضل أن يحقق فالكو شيئاً أفضل من الزواج من سكرتيرة صغيرة فقيرة لا تملك شيئاً تقدمه له سوى بعض الأحلام الخيالية في العمل على تزيين بيوت الآخرين.»

غضب فالكو عندما أخبرته بما حدث. قال لها: «لا تعيري اهتماماً لما يقوله والدي. فالأيام التي كان يملي عليّ خلالها كيفية إدارة حياتي قد مضت منذ زمن.»

رضيت لورا بذلك ولم تطلب أية ضمانات أكثر. فقد كانت

تعرف ان فالكو يملك إرادة صلبة ورجل له كيانه الخاص. برغم انها لم تستطع أن تفهم العلاقة المعقدة بينه وبين والده.

لقد بدت علاقتهما في توتر دائم، ومليئة بالتناقضات. برغم ذلك فقد كانت تربطهما رابطة عميقة. ومع العلم أن فالكو وأوسكار كثيراً ما كانا يتشاجران، فقد كانت تعرف أيضاً ان فالكو شديد الولاء لوالده.

لقد أدركت فيما بعد، طبعاً، طبيعة الرابطة التي تربطهما سوية. فقد أصاب فيهما بكل بساطة المثل القائل «إن الطيور على أشكالها تقع.»

لكن قبل ثلاث سنوات كانت لا تزال بريئة. قبل ثلاث سنوات، عندما استدعاها أوسكار روث، للمرة الثانية إلى مكتبه، وقد كان فالكو في حينها مسافراً في رحلة عمل إلى بروكسل، ليعرض عليها المال مقابل أن تفسخ خطوبتها من ولده. وعندما لم يلق عرضه اذناً صاغية، أخذ يهددها. ولم تترك تهديداته لها أي خيار سوى تنفيذ ما يطلبه. لكن لورا حتى ذلك الحين، كانت ما تزال تعتقد انه سيخسر في النهاية، وان ما من شيء يمكنه التفريق بينها وبين فالكو.

كانت مقتنعة بذلك تماماً وهي تنفذ أوامر أوسكار. حزمت حقائبها في أقل من أربع وعشرين ساعة وتركت عملها وغادرت سوليهول إلى الأبد. هذا ما كانت تعتقده حينها. وقد تركت على الطاولة في مكتب فالكو مغلفاً أصفر اللون يحوي خاتم الخطوبة والذي تزينه فصوص من الماس والياقوت الأزرق وكذلك رسالة موجزة، أملاها عليها والده، تقول له فيها إنها لم تعد تحبه.

لكنها رددت بحزم لنفسها من خلال تنهداتها الحزينة طوال تلك الرحلة الكئيبة التي استغرقتها الطريق إلى لندن. إنه لن يصدق تلك الكلمات، وسيعرف انها مجرد كذبة، أرغمها والده على كتابتها. وسيأتي للبحث عنها، ولا بد أنه سيجدها.

هكذا انتظرت في غرفتها في منتجع سان جونز وود في لندن حيث كانت تعاني من عذاب حقيقي كل يوم، راجية من أعماق نفسها أن يكون اليوم موعد قدومه. ولم تفقد الأمل في انه سيجدها برغم انها كادت تصاب بالجنون من شدة الحزن في بعض الأحيان.

بعد ستة أسابيع طويلة من العذاب قدم فالكو.

ذات يوم عند خروجها من شقتها في منتجع سان جونز وود، رأت فالكو يعبر الشارع متوجهاً نحوها. لكن ما حدث عقب ذلك كاد يحطمها.

تُهمّ. تُهمّ شنيعة وباطلة.

فقد ناداها: «أيتها اللعينة.» ثم صرخ في وجهها: «إنك تثيرين اشمئزازي.» وتابع يقول: «كنت أعرف دائماً ان هناك بعضاً من الناس قد يفعلون أي شيء من أجل الحصول على المال، لكني لم أعرف انك واحدة منهم حتى هذه الساعة.»

لم تستطع الكلام في البداية ولم تستطع إدراك ما يعنيه. فقالت له بصوت متهدج: «عمَ تتحدث؟»

فأشار إلى المنتجع الفخم وقال: «المال الذي حصلت عليه! المال الذي أخذته من والدي لتحصلي على كل هذا!»

كادت أن تنكر ذلك، فالفكرة كانت شنيعة بحد ذاتها. لكنه

بدأ يصرخ في وجهها من جديد، وقسمات وجهه تنم عن غضب مريع.

«إنك لست سوى غانية! لقد رأيتك برفقة صديقك الجديد. رأيتك هذا الصباح تصعدين إلى سيارته الجاغوار. لم تضيعي وقتاً حتى استبدلتني، أليس كذلك؟ من رجل إلى آخر مباشرة على الفور!»

شعرت في تلك اللحظة وكأنها تنظر إلى شخص غريب. إن كان في استطاعته تصديق أكاذيب كهذه عنها فإنه غريب فعلاً. إنها تعرف إلى أي رجل كان يشير فالكو. رجل لا يمكن وصفه بأية طريقة على انه صديقها.

بينما كانت مترددة في الإجابة، انفجر صارخاً بها: «هيا قولي إنها ليست الحقيقة.»

لكن لورا هزّت رأسها، وقد تجمد الدم في عروقها، وحدّقت بعينين باردتين في الغريب الذي يقف أمامها. لن تلجأ إلى إنكار ما لا يحتاج إلى إنكار. وإن كان هذا هو ما يظنه فيها فليعتقد ما يريد.

سمعت نفسها تقول له وقد هزتها الصدمة: «إني مسرورة لأني أخذت المال وانتهيت منك! وان صديقي الجديد أفضل منك كثيراً.» ووقفت تراقبه وقد تحوّلت إلى صنمٍ وهو يتوعد غاضباً وقد استدار ليغادر المكان.

كانت تلك المرة الأخيرة التي رأته فيها حتى دخولها قبل بضع ساعات فقط إلى غرفة الجلوس هذه التي ملأتها أشعة الشمس ورأته يقف عند النافذة. لكنهما اتصلا ببعضهما مرة قبل ذلك. فقد كانت بينهما رسائل متبادلة.

تنهدت لورا ونهضت ببطء عن الكرسي أمام طاولة الزينة.

قد تكون تلك الرسالة، التي أرسلتها إليه منذ حوالي سنة ونصف، السبب في اعتقاده أنها ما زالت تحبه. ولعل ذلك يفسّر التوبيخ السافر حول «المشكلة» المزعومة التي تعاني منها.

افترت شفتاها عن ابتسامة صغيرة. لا بد أنه مجنون! فهي لم تعد تحبه منذ ذلك النهار الذي التقته فيه بالقرب من منتجع سان جونز وود حيث كانت تقيم! ولقد أرسلت إليه تلك الرسالة في لحظة طيش، كانت تعتزم خلالها اشراكه في سرّها. فقد كان يخامرها شعور في تلك اللحظة أن له الحق في معرفته.

فقد كتبت له: «هناك بعض الأمور التي أرغب في مناقشتها معك. هل يمكننا أن نحدد موعداً لنلتقي؟»

وصلها جوابه بعد اسبوعين. جواب فظ ومختصر. «ليس بيننا ما نناقشه.»

أدركت انها كانت مخطئة في اعتقادها. إنه لا يملك أي حق في مشاركتها سرها. واعتقادها ذلك انما كان وليد جنون عاطفتها.

إنها عاطفية جداً ومتهوّرة، أيضاً. هكذا فكرت والرعشة تخالج جسمها. لو انها باحت له بسرها لكان الأمر قد انتهى بخسارة أغلى شيء لها في العالم. ابنتها. ابنتهما. هي وفالكو. بيلي الصغيرة التي أنارت حياتها.

ارتعشت من جديد، فمعرفتها بفالكو، جعلتها تدرك انه لو عرف بأمر ابنته، فقد يحاول أخذها لمجرد إثارة غضبها فقط وليس لأي سبب آخر. كانت تدرك أن ذلك قد يدمرها. فكان الأمر وكأنه كابوس ينتابها.

لهذا لم تستطع تجاهل تهديده بالذهاب إلى لندن ومناقشة ما فعلته مع زملائها. فجميعهم على علم بأمر ابنتها. حتى ان أكثر من واحدٍ يعلم ان والد بيلي هو رجل احبته لورا، منذ زمن، في سوليهول. مجرد لفظ كلمة واحدة من دون انتباه قد تفضح سرّها.

لا يمكنها المخاطرة بذلك. لذا وافقت على البقاء. لتبقي على سرّها طي الكتمان.

دفعت خوفها بعيداً، وفي غمرة عزمها، سارت نحو خزانة الثياب وبتحدٍ ظاهر تناولت أزهى ثوب أحضرته معها.

يجب أن تبدو قوية. لأنها متأكدة من انه لا يعرف شيئاً عن سرّها. والخطر الوحيد يكمن في أن يفضح قلقها سرّها.

سحبت الثوب عن المشجب وهي تتنهد بعمق. ستكون قوية وستكتم سرّها. لن يعرف فالكو، حتى يوم مماته، شيئاً عن ابنته.

الفصل الثالث

«هل ترغبين في تناول شراب لفتح الشهية؟ شراب النعناع - شرابك المعتاد؟»

«هل كان ذلك شرابي المعتاد؟ ما كنت لأقول لك ذلك. لكن، إن كنت لا تمانع، فإني أفضل بعض المرطبات.»

هل كان ذلك الجواب فظاً؟ هل كان ذلك بعيداً جداً عما تريده؟ اعتقدت لورا أنه كذلك، فقد كان على حق، شراب النعناع كان شرابها المعتاد في الأيام الخوالي. شراب ما زالت تحبه وربما كانت ستطلبه لو ان فالكو لم يرتكب الخطأ في افتراضه أنه ما زال يعرف ما تفضّله.

إنه لا يعرف شيئاً عنها. فقد كانا غريبين تماماً. لأن لورا التي تقف أمامه الآن مختلفة جداً عن لورا التي خدعته ووجّه إليها التهم منذ ثلاث سنوات.

لكنه لم يلحظ على ما يبدو لهجة العنف في اجابتها، فقال: «فكرة حسنة، اعتقد أني سأتناول بعض المرطبات أنا أيضاً.» الأمر الذي زاد من غضبها.

استدارت لورا لتبتعد عنه نحو النوافذ المفتوحة، الفرنسية التصميم، مما جعل الستائر الباهتة تتحرك بلطف من جراء مداعبة نسمة رقيقة انبعثت من البحر أمامها.

كانا يجلسان في غرفة الجلوس الرئيسية، التي تطل على الحدائق الممتدة برائحتها العطرة نحو الشاطىء المغروس بأشجار النخيل. لقد كان فالكو ينتظرها هنا، وقد ارتدى

بدلة سوداء وربطة عنق حريرية، عندما نزلت لتناول العشاء قبل دقائق قليلة فقط، وقد بدت متألقة وواثقة في ثوبها الزاهي. لم يكن هناك أحد سواها. فلم تكن جانين قد حضرت بعد.

نظرت لورا نحو القمر وتمنت أن تحضر الفتاة بسرعة. فالبقاء وحيدة مع فالكو لم يكن أمراً تحبذه.

«هلا خرجنا إلى الفناء لتنشق الهواء المنعش؟ إنه لطيف في هذا الوقت من المساء.»

فوجئت بوقوفه على مقربة منها على الفور، ليقدّم لها كأس المرطب.

«إن كنت ترغب في ذلك.» أجابته وهي تنتزع الكأس من يده وتخطو بسرعة نحو الفناء المرصوف الذي يحد الحديقة. فقد وجدت قربه منها أمراً بغيضاً، لأنه يجعلها مضطربة.

كان هناك طاولات ومقاعد حديدية مطليّة باللون الأبيض موضوعة في الفناء تحت شجرة تين وارفة الظل. أشار فالكو نحوها وقال مقترحاً: «هل نجلس هناك؟»

أومأت لورا برأسها، وقالت: «نعم، لِمَ لا؟»

سحب لها فالكو مقعداً لتجلس.

بدت لورا متصلّبة في جلستها. كانا يتصرفان كغريبين ووجدت أن ذلك يرضيها تماماً. تلك هي بالضبط الطريقة التي يجب أن تجري الأمور فيها!

«اذاً، ما هو قرارك الأخير؟» قال ذلك ورشف قليلاً من شرابه، ثم جلس على أحد المقاعد قبالتها. وشعرت بارتياح شديد لوجود الطاولة الحديدية بينهما.

تأملته قائلة: «القرار الأخير عن ماذا؟»

«إن كنتِ ستحترمين العقد الذي بيننا لتزيين دارتي.»

«لقد سبق واخبرتك أنني قررت القيام بذلك.»

فنظر إليها عبر الطاولة باستهزاء، وقال: «آه، نعم، لكن ذلك حدث منذ ساعتين. وعند التعامل مع شخص مثلكِ، يكون عرضة لتغيّر رأيه فجأة وعلى نحو غير متوقع، فمن المستحسن أن لا نثق بكلامه كلياً.»

«أنا لست عرضة لأمر كهذا.»

«هذا ليس ما خبرته عنك.»

رمى ذلك الاتهام في وجهها كالسوط. وقد اختفت نظرة اللهو الساخرة من عينيه.

حبست لورا أنفاسها للحظة. فعلى حين بغتة لم يعودا غريبين. فغضب ماضيهما، كأسلاك شائكة، أوقعهما في الشرك. وبرغم ذلك أجابت ببرودة:

«التجربة التي تتحدث عنها لا دخل لها في الوضع الراهن، وكما اخبرتك سابقاً يمكنك الاعتماد عليّ تماماً في شؤون العمل.»

أجابها بقساوة: «ذلك مطمئن دون شك. كما وأني قد تنبهت إلى ذلك الجانب من شخصيتك منذ وقت طويل، فأنت تنفذين العمل الذي يدفع لك ثمنه، مهما كان نوعه.»

جفلت لورا. لكنها نجحت في إخفاء ذلك. لو انه أحبها بصدق يوماً، لو انه فهمها ما كان ليصدق هذه الكذبة عنها.

نظرت إليه ثانية، نظرة هادئة فيما هو يتابع كلامه قائلاً: «لكنني أتساءل في هذه اللحظة، إن كان في استطاعة أي

شخص الاعتماد على مصداقيتك هذه، قبل حصولك على المال... أو بعد ذلك فقط؟»

جفلت للمرة الثانية، ولكنها أخفت ذلك. واجابته: «ما عليك ان تتعب نفسك في ما يختص بالعمل. وكما اخبرتك لتوي، كلمتي تعهد.»

«يمكنني اعطاءك شيكاً بالمبلغ حالاً، إن كنتِ ترغبين في ذلك.»

«أؤكد لك أن هذا ليس ضرورياً.» وتابعت، كما لو انه لم يسمعها: «سأقدم لك فاتورتي عند انتهاء العمل.»

«هل أنتِ متأكدة قطعاً؟»

«قطعاً. شكراً لك.»

نظرت إلى وجهه وعينيه السوداوين العابستين، انه مصمم على تعذيبها. ألهذا السبب احضرها إلى هنا؟ لينتقم من الخطأ الذي زعم أنها ارتكبته بحقه؟

قررت أن الأمر قد يكون كذلك. فقد كان ذلك تفسيراً مقنعاً أكثر من زعمه أن وجودها على جزيرته هو محض مصادفة.

«ماذا عن مصاريفك خلال الاسبوعين الأولين؟ ليس هناك من مشكلة عندي في اعطائكِ بعض المال مقدماً.»

«لن تكون مصاريفي كثيرة، كما أتصوّر. على أي حال، فاني سأتناول الطعام وسأنام هنا.» صمتت برهة ونظرت إليه، ثم تابعت: «وبما اننا نتحدث في هذا الموضوع... كما أعرف ان الاتفاق الذي عقدته مع جانين ينص على أن أمضي اسبوعين هنا، للاطلاع على المنزل، ثم العودة إلى لندن لأتمم عملاً صغيراً هناك قبل العودة إلى هنا والبدء بالعمل...

أعتقد ان اسبوعين فترة طويلة جداً. اسبوع واحد كافٍ.»

«لست موافقاً.»

كانت تتوقع ذلك. ومع هذا فقد أعادت طرح الفكرة بقولها: «أتمنى أن تقبل رأيي. اسبوع واحد سيكون كافياً.»

فأجابها: «كما قلت لك. إني لست موافقاً.» وتناول جرعة كبيرة من المرطب ورمقها بنظرة طويلة من عينيه السوداوين البراقتين وتابع: «لقد أخذت عطلة لاسبوعين خصيصاً لأمضيها مع مزينة منزلي، لأتأكد من انها ستتعرف إلى المنزل بمختلف أوجهه ولأناقش معها مختلف الأفكار التي تحملها.»

تجمد قلب لورا. وشعرت انها ترتعش.

قالت: «لا تعني انك تنوي التدخل عملياً بهذا المشروع؟»

«بالطبع.»

«لم أكن أعرف ذلك. ظننت ان جانين مسؤولة عن ذلك.»

«المنزل منزلي.»

«لكنها هي من استخدمتني.»

«لكن أنا من سيدفع أجركِ.»

«أدركت ذلك، لكن...»

قاطعها فالكو قائلاً: «وأنا من ستتعاملين معه.» وأخذ يتفحصها بعينيه السوداوين، وكأنه يرى ما كانت تشعر به. ثم تابع: «ما الأمر؟ هل ان مصداقيتك الصارمة اضطربت فجأة لهذه الإمكانية؟ هل تشعرين بأنك غير قادرة على تحمل رفقتي لاسبوعين؟»

إنه يعتقد حقاً انها تواجه مشكلة في ذلك. إنها فعلاً كذلك، لكن ليس للسبب الذي يعتقده. ليس لأنها ما زالت تحمل له

بعض المشاعر الحميمة. بل لأنها وجدت ان امكانية البقاء برفقته لاسبوعين أمر بغيض.

فقالت: «لماذا بحق السماء سأجد مشكلة في ذلك؟ هل تنوي أن تكون شخصاً يصعب التعامل معه؟»

ابتسم بسخرية وأجابها: «وهل كنت يوماً كذلك؟»

نظرت إليه بثبات وقالت: «لا أعرف. فليس عندي تجربة معك على الصعيد العملي.»

فقال وعيناه تتفحصانها: «إذاً، أنتِ على وشك أن تحظي بواحدة الآن.» وابتسم ابتسامة مثيرة وتابع: «اسبوعان كاملان من العمل.»

«حسناً. أرى أنك غير مهيّىء لتوافق على رأيي كمصممة ديكور مختصة، في أن فترة اسبوعين مدة غير ضرورية.»

«لن أوافق. لقد وافقت في لندن على قضاء اسبوعين هنا.»

لقد وافقت على ذلك، بكل براءة، برغم انها كانت تتألم لفكرة انها ستبتعد عن ابنتها لمدة اسبوعين. لكنها الآن ليست في وضع يمكّنها من الرفض. فقد عُرض عليها مؤخراً عرض مغرٍ، وهي بحاجة إلى المال، فهناك فواتير يجب عليها أن تسددها.

كانت تعرف، بالإضافة إلى ذلك، ان بيلي سيُعنى بها جيداً أثناء غيابها. فلقد سُرّ جداها، اللذان يهيمان حباً بها لهذه الفرصة بزيارة لندن حيث ستتمكن جدتها من العناية بها. وبيلي الصغيرة، البالغة ربيعين من العمر، قد سُرّت جداً لهذه الترتيبات. وكانت بيلي، المخفية عن الأنظار، تحب جديها بقدر ما كانا يحبانها.

هكذا، رغم انها كانت صادقة في اعتقادها أن هذه الفترة طويلة جداً فقد كانت لورا مرغمة على التقيد بعقدها الأصلي. فقالت بلهجة ساخرة: «حسناً إذاً. إن كان في امكانك تحمّل ذلك، أعتقد انه يمكنني ذلك أيضاً.» ورفعت كأسها بسخرية وتناولت جرعة من المرطب ثم تابعت: «يبدو انك ربحت. سأبقى اسبوعين.»

ظهرت جانين في تلك اللحظة عند مدخل الفناء، كانت تبدو متجهمة قليلاً. وكان الثوب الذي يلف جسدها البرونزي ناعماً لدرجة انه يمكنك طيه ووضعه في جيبك، ويبقى هناك متسع لوضع حافظتك ومفاتيحك.

وبصوت خفيض كئيب قالت: «فالكو، حبيبي. هل يمكنني التحدث إليك؟»

ولم تكن بحاجة لتردد كلمة حبيبي فالكو مرتين. قفز على قدميه وأسرع نحوها بخفة ضايقت لورا جداً.

بدا الاهتمام واضحاً في صوته وهو يقول لها: «ما الأمر، يا جانين؟» ثم أمسك بذراعها وقادها إلى غرفة الجلوس. سمعت لورا تمتمة أصوات خافتة بينما كانا يختفيان عن نظرها.

شعرت فجأة بخفقات قوية تتسارع في داخلها، ثم انفجار عواطف عنيف وغير متوقع جعلها للحظة غير قادرة على التنفس.

كان مرد ذلك إلى الطريقة التي تكلم فيها، الرقة التي ظهرت على وجهه والدفء الذي نضح به وهو يسرع نحو جانين. كانت قد نسيت ذلك الجزء منه، الحنان، الاهتمام، واللطافة التي لا حدود لها. رؤيتها لكل ذلك يظهر الآن،

بعفوية، ملأتها بإحساس عارم من الحزن على الذي ضاع وكان مهماً جداً.

تنهدت لورا بعمق وحاولت جاهدة أن تسيطر على نفسها. هل فقدت صوابها؟ ماذا هناك لتحزن عليه؟ إضافة إلى انها، قد حزنت لذلك منذ زمن بعيد.

كانت لورا قد استعادت رباطة جأشها، عندما ظهر فالكو ثانية عند مدخل الفناء. كانت تشعر بالهدوء والاتزان من جديد. ولم تشعر بأي نوع من العاطفة وهو يقف صامتاً للحظة، وعيناه السوداوان تتفحصانها، قبل أن يقول وهو يبتسم بسخرية: «جانين تشعر بالتعب. ولقد ذهبت إلى غرفتها. يبدو انه لن يكون هناك سوانا على العشاء.»

«يا للبهجة.» قالت لورا ذلك ونظرت إليه وتصنّعت ابتسامة ثم أضافت بلهجة صادقة: «أرجو ألا يكون الأمر خطيراً، أقصد، في ما يتعلق بجانين.»

بقي واقفاً عند المدخل عندما أجابها: «لا، لا شيء خطيراً. إنه صداع شديد في الرأس. ستكون بخير غداً دون شك.» ثم استقام قليلاً، وأضاف: «بالمناسبة. العشاء جاهز. هلا دخلنا إلى غرفة الطعام؟»

ابتلعت لورا المرطب المتبقي في كأسها ثم وقفت على قدميها. ستتناول العشاء وحدها مع فالكو. يجب أن لا تدع هذه المسألة تزعجها. فاللامبالاة، وليس الانزعاج، هي ما يجب أن تشعر بها.

قادها فالكو عبر غرفة الجلوس الكبيرة ذات السقف العالي إلى الباب المصنوع من خشب السنديان والذي

يقودهما إلى غرفة الطعام، حيث جهزت المائدة بآنية من الزجاج والفضة تحت ثريا مضاءة من البلّور.

وقفت لورا للحظة ونظرت إلى ما حولها، لتأخذ ملاحظات لنفسها. فقد بدأت تشعر بأفكار كثيرة في داخلها للتغييرات التي يمكن إحداثها في الدارة.

وكأنه أدرك ما يجول في خاطرها، فقال: «أرغب في الابقاء على الثريا. أما معظم المحتويات الأخرى فيمكن الاستغناء عنها.»

أجابته لورا، دون أن تنظر إليه: «سأتذكر ذلك.» كان اقتراحه مطابقاً تماماً لما كانت تفكر به. وقد أزعجها جداً توافق أفكارهما.

كانت الطاولة المستطيلة مغطاة بشرشف أبيض. وقد أعدت الآن لاستقبال شخصين، حيث ان المقعد الثالث قد أزيل بطريقة رائعة وبقي مقعدان فقط. أحدهما على رأس الطاولة والآخر إلى يساره مباشرة.

«تفضلي بالجلوس.»

سحب فالكو مقعده على رأس الطاولة، وأشار إليها للجلوس على المقعد الثاني. نظرت إليه، بينما كانت تجلس ثم قالت: «ما من شك في انك تفضل الابقاء على الشكل المستطيل للطاولة عندما يصل الأمر إلى استبدالها. فالطاولة المستديرة تثير مشكلات لمن يرأس المنزل.»

«لا يسعني الموافقة على أكثر من ذلك. فذلك ديمقراطي للغاية.»

«أمر لا يتناسب ومزاج عائلة روث.»

لم يكن يتوقع ذلك التعليق اللاذع. فساد صمت قصير قال

بعده: «هل تعتبرينني كذلك؟ نموذجاً عن أي رجل من عائلة روث؟» ولم يظهر عليه أي نوع من الانزعاج والتردد خجلاً.

«لماذا، ألست كذلك؟ أليس ذلك ما آلت إليه حالك؟»

كادت ان تسأله ذلك السؤال الثاني. لكنها لم تفعل وقد سرت لذلك. فقد يفهمه خطأ. على أي حال، انها تعرف انه لم يتغير، بل هي التي خُدعت في البداية بقناع اللطافة الذي كان يضعه.

فقد صدقت في البداية انه ليس كباقي رجال عائلة روث وانه مختلف كلياً عن والده وجده المشهورين بفظاظتهما. لكن كل الرجال في عائلة روث متشابهون. لقد شكرت اللّه مراراً لأنها رزقت فتاة وليس صبياً.

لم يجبها فالكو عن سؤالها. فقد ظهرت آنا في المدخل وهي تحمل قدراً يتصاعد البخار منه. لكنه أبقى عينيه على لورا بينما كانت المرأة ذات الشعر الأسود تتقدم لتسكب لهما الحساء في صحنيهما. وعندما وضعت آنا القدر وغادرت الغرفة، قال بهدوء، وكأن أحداً لم يقاطعهما: «إن كنت تقصدين اني عامل نشيط، متعلم، طموح وناجح جداً في ما أقوم به، أعتقد ان الجواب عن سؤالك هو نعم. فأنا حتماً نموذج عن رجال آل روث.»

ابتسمت لورا بينما كانت تضع «فوطة» المائدة على حضنها. كم هو لبق، متملص، وقادر على تغيير الحوار. فقد كان يعرف تماماً، أن تلك الصفات التي ذكرها، لم تكن الصفات التي قصدتها.

تناولت ملعقة من الحساء وقالت: «إني متأكدة من انك تملك كل تلك الصفات.» ثم رفعت عينيها لتلتقي عينيه

وأضافت «إن رجال عائلة روث يملكون صفات معينة أخرى قد لا تكون مشرفة.»

«صفات مثل ماذا؟»

هزت رأسها وقالت: «أعتقد انك تعرف عما أتحدث.» ولم تخالجها فكرة التهجم عليه بطريقة سوقية.

أما فالكو فلم يكن عنده حساسية ازاء هذه الأمور، لذا أصرّ بقوله: «هيا أخبريني. أخبريني ما قصدته.»

تنهدت لورا بعمق وقالت: «بما انك مصرّ على معرفة ذلك، فإني أعلمك أن رجال عائلة روث معروفون بقساوتهم أكثر مما هم معرفون بالصفات التي وصفتها. إنهم معروفون بقساوتهم، بفظاظتهم وبعدم شعورهم بالإنسانية.» ثم أضافت: «آسفة إن كان ذلك يجرح مشاعرك.»

رمقها فالكو بنظرة متعالية وقال: «ولِمَ يجرح ذلك مشاعري؟ أنت حرة في رأيك.» ثم ابتسم ابتسامة غير ودية، وأضاف: «لكنهم كرماء أيضاً، وذلك الأمر بالتأكيد، أنتِ مستعدة لتشهدي به؟»

سرت قشعريرة في جسدها وأجابت بهدوء: «عندما يناسبهم ذلك.»

رفع فالكو أحد حاجبيه الأسودين وردد: «عندما يناسبهم ذلك؟ لقد أثر ذلك في نفسي كمقدمة الرواية. لكني أرى ان الكرم يلائم عادة كِلا الفريقين. الذي يمنحه والذي يأخذه.» ثم أنهى تناول حسائه ووضع ملعقته جانباً، وأضاف: «وإن ذلك قد وافقك بالتأكيد. فقد سمح لكِ البدء بحياة جديدة.»

رمقته لورا بنظرة قاسية، بقدر ما استطاعت أن تجعلها كذلك، فاعتقاده أنها أخذت المال من والده ما زال يؤلمها.

ثم أجابته بتحدٍ: «ان التغيرات التي حصلت في حياتي والتي كان لوالدك المبادرة فيها، هي نتيجة لما فعلته أنا. لن أنكر ذلك.»

لقد كان ذلك صحيحاً. فلو أن أوسكار روث لم يجبرها قبل ثلاث سنوات على مغادرة سوليهول إلى لندن، لما كانت حصلت على النجاح الذي وصلت إليه اليوم على الصعيد العملي.

فتح الباب للمرة الثانية وظهرت آنا وهي تدفع أمامها عربة ملأى بالأطباق الساخنة التي يتصاعد منها البخار. ثم وضعت الأطباق التي تحتوي على اللحم، الفطر، ورؤوس صغيرة من البطاطا أمامهما، وملأت كأسيهما بالمرطبات الباردة.

وبعد أن أصبحا بمفردهما تناولا طعامهما بصمت للحظات قليلة قطعه فالكو قائلاً، بكلمات ساخرة: «بما أننا نتحدث عن الكرم وعن المستفيد منه... هل ما زلت تقيمين في تلك الشقة في منتجع سان جونز وود؟» وشعرت لورا بلذعة جارحة في نبرة صوته.

فنظرت إليه ثم أجابته: «لا، لقد انتقلت من هناك منذ وقت، فقد اشتريت منزلاً خاصاً بي في بريمروز هيل.»

«منطقة جميلة جداً.»

«نعم، إنها تروق لي.»

«إنها ليست باهظة الثمن كمكان اقامتك السابق بالطبع.»

قالت موافقة: «لا، ليست كذلك تماماً.» وكانت تشعر بالاضطراب في داخلها. ترى ماذا يدور في رأسه من أفكار سوداء؟ ثم تابعت: «أظنك أدركت، بالطبع، ان شقة سان جونز وود ليست لي فعلياً؟»

فقال فالكو ضاحكاً: «آه، نعم. لقد عرفت ذلك منذ البداية. فهناك حدود لكرم والدي حتى وإن واجه مرائياً صعباً مثلك.» ثم تناول جرعة من شرابه، ووضع كأسه جانباً. نظر إليها وأضاف: «بصراحة. لقد اعتبرت ان استئجار شقة في مكان كذلك المكان من الدرجة الأولى، اسراف كبير من قبلك. فلا بد ان ذلك الايجار قد استنفد قسماً لا بأس به من رأس مالك.»

لقد قدّر كل شيء! وربما ذهب إلى أبعد من ذلك، ليعرف كم سيكلف إيجار شقة كتلك. لقد كانت طريقة حقيرة في التجسس والتطفل على شؤونها ثم استخلاص النتائج الخاطئة. إنه حقاً مجرد نسخة بغيضة عن والده!

لكن لورا خامرها شعور بالسعادة في تضليله أكثر، وهكذا وضعت قطعة من الكروجيت قبل أن تضيف قائلة: «ما قد يبدو إسرافاً لدخيل قد يكون أحياناً في الواقع، استثماراً كبيراً ورائعاً.» توقفت عن الكلام، وقد شعرت بالفرح لاختيارها كلمة «دخيل» ثم أضافت: «وذلك، يمكنني القول، واضح جداً في حالتي.»

قال: «هل الأمر كذلك؟» وهو يقطع قطعة من اللحم. وكان واضحاً انه لا ينوي دفعها لإيضاح ذلك.

لكن لورا أرادت اخباره على أي حال. أرادت أن تسجل موقفاً. لقد أصبحت على ما هي عليه نتيجة للعمل الدؤوب والموهبة وليس لأن والده قد أعطاها مالاً.

فقالت: «كان ينزل في ذلك المنتجع، الكثير من الناس الأغنياء. اناس يستخدمون مهندسي ديكور محترفين ويسلمونهم كل شيء. فأثرت اشاعة انني مهندسة ديكور،

وهكذا استخدمتني احدى النزيلات لأزين شقتها وقد حولتها إلى شقة رائعة. وحالما رأى أصدقاؤها ذلك بدأت العقود تنهمر عليّ.»

«ذلك ملائم لك.»

«نعم، هذا ما اعتقدته.» وكان ذلك ما حصل تقريباً.

تقريباً. لأنها استثنت بعض التفاصيل المهمة. لأن الاتيان على ذكرها سيوقعها في منزلق طويل من التفسيرات والإيضاحات لأشياء لم يكن يرغب في معرفتها، والتي لم تكن عازمة على اخباره بها.

وساد صمت قصير بينما كانا يكملان تناول طعامهما، عندما رفع فالكو عينيه ونظر في عينيها، وقال: «لقد عرفت ذلك دائماً، بالطبع، لطالما قلت إنك ستقومين بذلك.»

طرفت لورا عينيها ثم قالت: «أفعل ماذا؟» لقد أساءت فهمه بالتأكيد؟ فقد بدا كلامه مريباً وكأنه تملّق!

لكن يبدو انها لم تخطىء، بعد ما حدث. نظر فالكو إليها دون أن تطرف عيناه. وقال: «لطالما قلت إنك ستنمّين موهبتك. لن تنكري ذلك على الأقل. فقد كنت دائماً مؤمناً بقدراتك.»

نظرت لورا إلى وجهه كفتاة بلهاء وبدت كأنها ترى تلك النظرة الملأى بالإيمان والتشجيع المطلق، والتي أسهمت كثيراً في البداية في تعزيز ثقتها بنفسها، تلمع في عينيه من جديد.

فقالت بهدوء: «لا، لن أنكر ذلك أبداً.» وسمعت دقات قلبها. وفجأة بدت الغرفة وقد خيّم عليها صدى صمت مخيف.

مرت دقيقة طويلة. كانت لورا تشعر خلالها بعينيه تنظران إليها. ثم سألها بلهجة مختلفة قليلاً: «أما زلت تقابلين ذلك الشاب؟»

تجهمت لورا وهزت رأسها قائلة: «عن أي شاب تتحدث؟»

وتبع ذلك صمت طويل، قطعه فالكو مجيباً بنبرة حادة لا يمكن تجاهلها: «ذاك الرجل ذو الشاربين كشاربي هتلر والذي يضع ربطة عنق مزوّقة.»

أجابته بعفوية: «لا.» وشعرت لورا فجأة بانقباض في معدتها. وفي الحال عادت بذاكرتها إلى الوراء. حين كانت واقفة أمام منتجع سان جونز وود وهو يقذف في وجهها كل تلك الاتهامات بالخيانة.

شعرت للمرة الثانية باليأس والخديعة اللذين شعرت بهما في حينه. لم يكن هناك طبعاً أي إنسان جديد في حياتها، وخاصة ذلك التاجر الرخيص الذي يبيع أشياء مستعملة والذي لا يربطها به شيء أكثر من علاقة عمل بغيضة لا ترغب بها.

تعجبت من جديد، كما في ذلك الحين، كيف يخطر لفالكو، برغم كل شيء، هذا الاستنتاج البغيض على أمر لا يملك أي دليل عليه.

برغم ذلك بذلت جهداً لتسيطر على مشاعرها. واستطردت موضحة بلهجة عادية: «لم أره منذ وقت طويل، كما يحدث عادة. تعرف كيف تجري الأمور؟ ينتهي كل شيء ويذهب كل في طريقه.»

فقال بلهجة جارحة: «في عالمك، نعم، أعتقد ان هذا ما يحصل. فما من شك في انك وجدته مفيداً لبعض الوقت، ثم،

عندما حصلت على عرض أفضل تخليت عنه ببساطة؟»
وقبل أن تتمكن من إجابته أضاف بقساوة: «هل تدبّرت أمر حصولك على المال لتتخلي عن ذلك الشاب أيضاً؟»

كان ذلك كثيراً. فالقت السكين من يدها وأحست وكأن شيئاً يمزقها، فشعرت بضربات قلبها تتسارع وكأنه قد ينفجر فجأة في صدرها.

فقالت: «وإن فعلت؟ أي شأن لك في ذلك؟» كانت نبرة صوتها حادة، وقد هجرتها اللامبالاة التي كانت تحرص على اظهارها. «حياتي، الماضية والحاضرة لا دخل لك فيها؟ وأي مكان كان لك فيها فقد انتهى منذ ثلاث سنوات! إذاً من فضلك، إبقِ ذلك في رأسك دائماً!»

تحت تأثير غضبها، نهضت جزئياً عن مقعدها وأبقت على اتزانها عند ذلك. وهي تتوهج غضباً، بينما بقي فالكو هادئاً ينظر إليها وعيناه السوداوان تطرفان.

ثم أفقدها صوابها كلياً، عندما قال لها ببرودة ومن دون تأثر وكأنه الجلاد: «في تلك الحالة، إذا كان الأمر قد انتهى منذ ثلاث سنوات، كما تقولين، فكيف حدث وخاطرت بالكتابة اليّ قبل ثمانية عشر شهراً؟ كيف حصل ان كنت لبقة لتحددي لقاء؟»

شعرت لورا ان قلبها يكاد يتوقف. تلك الرسالة اللعينة. وبلعت رضابها، وبقيت للحظة غير قادرة على الكلام.

«قلت إن هناك اموراً تريدين مناقشتها. ولا يبدو لي ذلك كشيء يكتبه شخص إلى شخص آخر لم يعد له وجود في حياته...» وتوقف قليلاً ثم تابع كلامه قائلاً: «ما الذي كنت تريدين قوله لي؟»

أصبحت الرؤية أمام لورا غير واضحة. وشعرت بنوع من الغثيان. هل عرف الأمر في النهاية؟ هل اشتبه في شيء؟ لم تعد قادرة على التفكير بطريقة سوية من جراء التوتر الذي أصابها.

وتحركت شفتاها بطريقة آلية قائلة: «لا شيء. لم يكن هناك شيء، حقاً. ما من شيء مهم.»

«إذاً، لِمَ أزعجت نفسك بالكتابة؟ لِمَ اقترحتِ أن نلتقي؟» سألها بصوت هادىء واصرارٍ قاسٍ.

بحثت لورا في أفكارها عن جواب ما. لاكت شفتيها الجافتين ثم قالت: «لم يكن شيئاً ذا أهمية. كنت أرغب فقط في تسوية بعض الأمور.»

«لكن الأمور كانت قد سويت بشكل تام. وكما أرى، لم يكن من الممكن أن تسوى بطريقة أفضل.»

«نعم، لقد أوضحت ذلك في جوابك.»

«وأنت كنت تضيعين وقتك. إن كنت تعتقدين ان هناك أية امكانية في أن أعيدك إليّ ثانية.»

إذاً، ذلك ما كان يفكر به! إنها كانت تريده أن يغفر لها ويداوي جراحها. وتصنّعت ضحكة عالية. ثم قالت: «صدقني كان ذلك آخر شيء أتمناه! كان ذلك الأمر بعيداً جداً عن تفكيري!»

«إذاً، ما كان الهدف من لقائنا، إن لم يكن طلب السماح مني؟»

«لقد أخبرتك. لا شيء اطلاقاً.» وفجأة لم تعد لورا قادرة على متابعة هذه المحادثة. فسحبت كرسيها إلى الوراء بطريقة غير لبقة، كادت أن توقع الكرسي. وأضافت:

«سأذهب إلى فراشي. لقد تسببت في الصداع لجانين، فأنت قادر على التسبب بالصداع لأي شخص.»

لكن وقبل أن تغادر بسرعة، مد يده وأمسكها بسهولة، وقد أطبقت أصابعه على خصرها وكأنها الأصفاد.

عندما نظرت إليه، بيأس، قال مبتسماً: «يخامرني شعور بأنني سأستمتع في إقامتك المؤقتة. يبدو أننا لم ننه أعمالنا بعد، برغم اعتراضك على ذلك.»

ثم تركها، وسمعت لورا ضحكته الساخرة تتبعها وهي تسير، وساقاها تصطكان تحتها، بخطى واسعة خارجة من الغرفة.

الفصل الرابع

كانت المياه الباردة تنزلق كالحرير على جسدها، فتشحن أحاسيسها بطريقة حسيّة لطيفة. كانت لورا تقطع بحركات رشيقة صفحة المياه الزرقاء المتلألئة، تحت شمس الصباح التي غمرت ظهرها بأشعتها اللطيفة، فشعرت فجأة بصفاء في ذهنها لم تشعر به منذ وصولها إلى آلبا.

لم تنم جيداً الليلة الماضية، فقد كانت تشغل أفكارها أمور رهيبة، أمور أخذت تقرع بقوة بأيد عارية على أبواب ذكريات طواها الزمن. لذا شعرت بارتياح عندما نهضت في الصباح الباكر قبل الساعة السابعة بقليل. ارتدت ثوب السباحة، وتناولت منشفة من الحمام وغادرت الدارة التي ما زال الهدوء مخيماً عليها، لتأخذ حمام سباحة.

شعرت أن توترها قد زال، كانفلات حبل مشدود فجأة. ارتفعت في الماء برشاقة، فبدا رأسها وكتفاها، ثم حركت شعرها اللامع بالماء، ورفعت وجهها نحو أشعة الشمس المنبعثة.

اللعنة عليك يا فالكو روث! فكرت في اتقاد تام. لتحل عليه اللعنة مرة لأنه عاد للظهور في حياتها من جديد! ولتحل عليه مرتين أكثر لأنه تعمّد، ازعاجي!

استدارت على ظهرها، استرخت وأخذت تطفو وتتمايل على وجه الماء بخفة، فما عانته من حزن من أجل فالكو روث منذ ثلاث سنوات يكفيها لكثير من الأوقات البائسة.

وإن سمحت له بالدخول إلى حياتها، واضعافها من جديد، فلا بد انها مجنونة حقاً، وهي ليست كذلك!

استدارت على صدرها مرة أخرى وأخذت تسبح قليلاً. كان جسمها المتناسق مشدوداً وهي تشق المياه الصافية الزرقاء. إنها امرأة كرّست حياتها لابنتها وعملها، وما أنجزته خلال السنوات الثلاث الماضية ليس بأقل من معجزة.

لديها ابنة صغيرة رائعة، قرة عينيها، ومهنة مرضية وهي تنطلق ببساطة من نجاح إلى آخر. كما أنها تملك آمالاً عريضة، منزلاً وحياة اجتماعية حافلة وممتعة.

لا، إنها ليست مخبولة، ولديها كل الأسباب لتؤمن في قوة ارادتها وعزمها.

لم يدخل رجل في حياة لورا منذ أن تركت فالكو. لكنها كانت سعيدة جداً لافتقادها ذلك الأمر في حياتها. فلم تكن تعتزم إقامة علاقات رومانسية محكوم بالاعدام عليها مسبقاً. فمن الأفضل لهما، هي وبيلي، أن تكونا بمفردهما.

استدارت لورا على ظهرها للمرة الثانية وتنشقت بعمق هواء البحر البارد. لقد تعلمت درساً من الماضي. واستطاعت بعده تحقيق شخصيتها. ومن السخرية، انها إلى حد ما عليها أن تشكر فالكو لذلك.

فقد علّمها، بعد كل الذي قاسته من أجله، انها تملك في داخلها الكثير من القوة التي كانت تجهلها من قبل. واكتشفت أن في امكانها العيش والنجاح من دونه. ثم أدركت أن في امكانها الاستغناء عنه، أو عن أي رجل آخر.

تذكرت للحظة من جديد تلك اللحظة الرهيبة، عندما

اكتشفت انها حامل، بعد أسبوعين من لقائهما الأخير. وخافت أن لا تجد في نفسها الشجاعة للتأقلم مع وجود ابن أو ابنة لها. لكنها استطاعت ذلك. والأمر الذي نظرت إليه في البداية، بخوف شديد تحوّل ليكون أجمل حدث في حياتها.

ابتسمت لنفسها، ثم انقلبت على صدرها بحركة سريعة وأخذت تسبح نحو الشاطىء. سيكون فالكو مخطئاً جداً، إن اعتقد لدقيقة واحدة أنها ما زالت تلك الفتاة البسيطة، الساذجة التي نظرت يوماً في عينيه، وحلمت أنها رأت مستقبلها موجوداً داخلهما. فقد كانت حينها عمياء لدرجة جعلتها لا تدرك أن ما رأته كان مجرد أكاذيب.

بينما كانت ذراعاها تقطعان المياه، فتدفعها إلى الأمام، مرّ في ذاكرتها ما قاله في الليلة السابقة، بطريقته المتعجرفة والمغرورة، أنه كان يتطلع إلى إقامتها في منزله، بحيث أن ما بينهما لم ينته بعد. وأدركت من نظرات عينيه أنه قد خطط ليمتع نفسه على حسابها.

لا بأس بذلك. فكرت لورا بذلك وهي تقطع بذراعيها المياه الزرقاء. يمكن لاثنين أن يلعبا تلك اللعبة الصغيرة. إنه مخطىء فكل ما بينهما قد انتهى وستسر كثيراً لاحباط استمتاعه!

من دون تعمد، بدا أن ذلك كان أول ما بدأت القيام به.

ما أن خرجت من الماء، شعرت لورا فجأة بالجوع. فالتقطت المنشفة عن الرمال حيث تركتها وأخذت تفرك شعرها بقوة وهي تتجه عائدة إلى الدارة، بين أشجار الصنوبر المنتشرة على الشاطىء وعبر الممر في الحديقة. وكانت قد أصبحت بينهما قبل أن تنتبه أنها تتطفّل عليهما.

كانت الحاسة السادسة التي جعلتها ترمقهما بنظرة من خلال شعرها وهي تخطو من الحديقة إلى حافة فناء الدارة. وهناك أمامها كان فالكو وجانين يقفان وقد غابا في عناق سعيد.

كانت جانين تلف ذراعيها حول عنقه، جبينها على صدره وهي تبتسم، ثم ضحكت بنعومة عندما لفّت ذراعه خصرها، وقد وضع فالكو ذقنه على رأسها، وهو يتمتم، ما بدا واضحاً، كلمات اعجاب سارة.

وجدت لورا نفسها تفكر وقد خالج قلبها الفضول، انها كلمات سارة، لكنها غير صادقة.

سعلت بحذر، لتثير انتباههما، ثم قالت: «عذراً. لم أكن أقصد ازعاجكما.»

لسبب ما توقعت أن يبتعدا فجأة عن بعضهما. وكانت تتطلع بشوق شديد لرؤيتهما يتملصان بإحراج.

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. واستدارا ليحدقا بها بوجهين هادئين دون أي احراج ودون أن يحركا جسميهما.

ابتسم فالكو قائلاً: «أرجو أن تكوني قد استمتعت بالسباحة؟»

أجابته: «استمتعت جداً، شكراً لك.» وغادرت لورا وهي تشعر بدوار خفيف، برغم أنها كانت على معرفة، وقد نكّرت نفسها بقساوة، أن فالكو ليس من النوع الذي يخطىء بسهولة. ففيه تجتمع وقاحة خمسين رجلاً ومكر طباع القرد.

تركت عينيها تمران عبره لتنظر بتهذيب إلى جانين ثم قالت: «أرجو أن تكوني قد شفيت من الصداع؟»

كادت الكلمة تقف عند رأس لسانها لتقول: «أرى أنك قد شفيت...» لكنها أدركت، مندهشة من نفسها أن ذلك سيبدو خبيثاً. وليس هناك من سبب على الاطلاق يجعلها خبيثة نحو جانين.

أفلتت جانين ذراعيها النحيلتين البرونزيتين من حول عنق فالكو، وقبل أن تتركهما تستريحان بخفة على كتفيه، أوقفتهما لتقوما بتسوية غير ضرورية أبداً لياقة القميص الزرقاء التي كان يرتديها. وشعرت لورا بارتباك مزعج لهذه الحركة التملكية.

ثم أجابتها: «نعم، شكراً. فقد زال الصداع.» ثم تابعت جانين وقد ظهر بعض الحزن على وجهها: «آسفة لأني لم أستطع مشاركتكما العشاء مساء أمس.»

«لا بأس. أستطيع تقدير ذلك. فمن يصاب بالصداع لا يرغب في مخالطة الآخرين.»

أومأت جانين برأسها وقالت: «أنت على صواب. إنه أمر مزعج وبغيض ولسوء الحظ، يبدو أني عرضة له.»

عليك تغيير الرفقة التي تحتفظين بها، فكرت لورا بنفسها سراً. فرفقة فالكو روث كافية لتصيب أي كان بالصداع، وتذكرت أن هذا تقريباً ما خبرته مساء الأمس، ثم رمقته بنظرة اصرار ماكرة.

فشلت تلك النظرة في الوصول إليه. لأن نظراته كانت مركّزة على جانين. ثم قال بنبرة ناعمة، وإحدى يديه تلاعب شعرها: «اعتدت أن تكوني عرضة له. إنها عادة سنجعلك تتخلين عنها.»

قال ذلك ودغدغ أنفها، فقابلته جانين بقبلة على ذقنه

وقالت: «إنك لطيف جداً. ما من أحد كان مثلك لطيفاً معي من قبل.»

راقبت لورا هذا المشهد وقد خالجها مزيج من المشاعر المختلفة، هذا العرض المغري. قد عرفته هي أيضاً، ذات مرة وعلمت كم هو مزيف. لذا فقد كان جزء منها يريد الضحك بسخرية.

لكن كيف في استطاعتها الضحك، ومن الواضح أن جانين المسكينة حساسة جداً ومأخوذة به تماماً، كما كانت حالتها ذات يوم! وبرغم الازدراء الملتهب الذي شعرت به تجاه فالكو. شعرت بشفقة في قلبها نحو الفتاة.

شعرت باهتياج في معدتها فقالت معتذرة: «أعتقد أني سأذهب لتبديل ملابسي الآن. ثم سأحاول إيجاد طعام أتناوله للفطور.»

بينما كانت على أهبة الاسراع من أمامهما، حرّر فالكو نفسه بلطف من عناق جانين وتراجع خطوة إلى الوراء، وكأنه يسد عن تعمد الممر أمام لورا ثم قال: «ما من حاجة لتبدلي ملابسك.»

ثم تابع قائلاً: «ويمكنك تناول الفطور هنا. المائدة جاهزة.» وأشار إلى إحدى الطاولات تحت شجرة التين. وأضاف: «ستحضر آنا الفطور لنا في أية لحظة.»

قالت: «سأبدل ملابسي أولاً، إن كنت لا تمانع.» شعرت لورا بالانزعاج. لا من أجلها هي بل من أجل جانين. فقد كان يقف على مقربة منها وعيناه تتفحصان جسمها نصف العاري، الذي بدا رشيقاً وأنثوياً في ثوب السباحة المبتل. كانت على وشك أن ترمقه بنظرة متهمة، قاسية. لكن نظرت

إليه فجأة وقد لفت انتباهها الخال الصغير الذي يكاد لا يظهر من بين رموشه، على الزاوية الخارجية من عينه اليسرى.

كانت لورا قد نسيت ذلك الخال. وشعرت كأن قلبها قد غار في صدرها. فذات مرة كانت تعتبر ذلك الخال احد الأشياء المميزة فيه، يا لحماقتها، كانت تقبله وتراقبه وهو يبتسم عندما تفعل ذلك.

ملأتها الذكرى للحظة بالحزن. فقد بدا من المستحيل كيف كانت الأمور مختلفة في احد الأيام لهذه الدرجة.

أبعدت نظراتها متذمرة من نفسها وركزت على انزعاجها وقالت: «لطفاً، اعذرني من فضلك.»

عندها تراجع إلى الوراء غير نادم، ودون أن تغادر الابتسامة شفتيه، قال لها: «على رسلك. سنراك لاحقاً.»

قذر، عديم الاحساس! مرت لورا من أمامه بسرعة عبر الفناء. لا عجب أن تكون جانين المسكينة عرضة للصداع. ما من امرأة تستمتع في حبيبها الذي ينظر إلى امرأة أخرى، وخاصة امرأة لا تشعر بالأمان كجانين.

في غرفتها، أخذت لورا دوشاً سريعاً، ثم سرحت شعرها إلى الوراء، ستدعه يجف بمفرده، وارتدت ثوباً بسيطاً قطنياً أزرق اللون وانتعلت حذاء خفيفاً في قدميها. وبعد دقيقتين كانت تنزل السلالم ثانية إلى الطابق السفلي وقد شعرت بجوع شديد.

برغم ذلك، توقفت عندما خرجت إلى فناء الدار، وشعرت للحظة ان شهيتها قد اختفت. فقد كان فالكو يجلس وحيداً إلى المائدة تحت شجرة التين، وفي يده فنجان من القهوة، وفي صحنه نصف قطعة من الكعك.

رفعت لورا كتفيها وهي تعبر الفناء لتنضم إليه، وسألته: «أين جانين؟»

«إنها مشغولة. وقالت إنها لا تشعر بالجوع.»

شعرت لورا فجأة، بينما كان ينظر إليها مبتسماً، انه قد طلب اعداد هذا الفطور الممتع لاثنين فقط. وأحست انه أبعد جانين حتى يتمكن من الفوز بها. وتساءلت في نفسها عما يرمي إليه بالضبط؟

جلست إلى المائدة. لا بد انها ستعرف ذلك لاحقاً.

سألها: «هل نمت جيداً؟» ودفع نحوها ابريق القهوة مع الإشارة إلى أن تتناول ما تريده من فطائر وكعك محلى. لفائف الحلوى التي تعتبر طبقاً أساسياً على أية مائدة فطور إيطالية.

سكبت لورا لنفسها كوباً كبيراً من القهوة بالحليب قهوة غنية بالحليب الدسم الساخن، وأجابته: «أجل، نمت جيداً.» دون أن تشعر بالندم حيال كذبها.

«أنا، أيضاً. لكن هذا ما يحصل لي دائماً. خاصة عندما أكون هنا. هواء البحر المنعش هو الذي يؤمن لي ذلك.»

لم تكن لورا مهتمة اطلاقاً بكيفية نوم فالكو روث، وتناولت، بشكل عرضي، كعكة محلاة وقد شعرت بنوع من الارتياح الذي تمنت ألا يكون ظاهراً جداً، فقالت: «للأسف، أنت قلما تستطيع الاستمتاع بتلك الملذات. أعتقد انك لا تستطيع تمضية الكثير من الوقت هنا كما ترغب؟»

«على العكس، إني أتدبّر قضاء الكثير من الوقت هنا. وإلا، لما كنت اشتريت هذه الدارة.»

بدا مغروراً بشكل مقيت. التقطت لورا السكين وقطعت

الكعكة المحلاة بانفعال أكثر بقليل مما هو ضروري. لكنها أبقت على نبرة صوتها الرخيم كالسكر حلاوة، عندما قالت له: «أرجو ألا يعني ذلك انك تهمل واجباتك في شركة روث؟ سيكون ذلك جحوداً من قبلك، ان أخذنا بعين الاعتبار كل ما قدمته لك.»

دون شك، لا بد انه، قد تسلّم مقاليد السلطة على نهج والده البغيض. كانت متأكدة، على الأقل، من أنه أصبح يحتل مقعداً في مجلس الإدارة.

استرخى فالكو إلى الوراء على كرسيه، وقد لف ذراعيه البرونزيتين حول صدره. وسألها بهدوء: «هل كنت يوماً من الأشخاص المهملين لواجباتهم؟»

«إن كان على الصعيد العملي، اعتقد أن الجواب هو بالنفي.» وكادت تضيف، إنك تعرف دائماً كيف تتعامل مع الأمور. فإن ارتباطه في شركة العائلة لم يكن خالياً من العواطف. فقد أخبرها ذات مرة ان ذلك ناجم عن شعوره بالواجب. لكنها تعتقد ان ذلك نابع من المصلحة الشخصية في الحقيقة.

قال، وقد فهم ما تقصده: «فقط على الصعيد العملي؟ هل تعتبرين احساسي بالمسؤولية لا يتعدى ذلك؟»

هزت لورا كتفيها بلا مبالاة وقالت مذعنة بلهجة ناقدة: «أعتقد انك كنت دائماً الابن المطيع جداً.»

«أليس هذا ما يفترض بالأبناء أن يكونوا عليه، مطيعين؟ الأبناء والبنات أيضاً يجب أن يكونوا كذلك.»

كانت لورا تمسح الكعكة المحلاة بقليل من الزبدة. لكن فجأة تجمدت يدها على السكين. ونظرت إلى وجهه وقد

شعرت بذلك الاحساس المألوف من الخوف يراودها.

رددت: «البنات؟» وقد شعرت بخفقان قلبها في صدرها، دون أن تجرؤ على التساؤل عما قصده.

«أجل، البنات.» قال ذلك وهو ينظر إلى عينيها للحظة. ثم أضاف: «فأنت نفسك، في نهاية الأمر، وكما أتذكر، كنت دائماً الابنة المطيعة والمجتهدة.»

غمرها الارتياح للمرة الثانية. ووضعت لورا السكين بأصابع متجمدة لتخفي ارتعاشها. حديثه عن البنات كان مجرد مصادفة. تنفست لورا بعمق ووبخت نفسها بحزم. يجب أن أكف عن الانفعال هكذا مع أتفه الأمور، وإلا، سأموت من جراء نوبة قلبية قبل انقضاء الاسبوعين!

تابع دون أن ينتبه لاضطرابها قائلاً: «إذاً، لماذا تنتقدينني لأني كنت ابناً مطيعاً؟»

قالت: «بعض الآباء...» ونظرت إليه، ثم أبعدت عينيها فجأة. فقد شعرت للحظة بوميض شيء ما، شيء وكأنه شعور غير منطقي بالندم، وكأنه جاهل وسيبقى كذلك، لما ورثه عن والده. ودون أن ترفع عينيها عن الكعكة المحلاة تابعت: «بعض الآباء لا يستحقون أن يكون عندهم أبناء مطيعون.»

«فهمت.» قال ذلك وهو ينظر إليها، فقد كانت لورا تشعر بعينيه تحدقان بها. ثم تابع: «وهل يندرج اسم والدي بتقديرك في تلك الفئة؟»

هزت لورا كتفيها وأجابته: «بصراحة نعم. ذلك رأيي. لكنك بالطبع تعرف والدك أكثر مني. ولا بد أن لديك سبباً هاماً يجعلك تدافع عنه كما فعلت.»

«هل فعلت ذلك؟»

«آه، نعم، في عدة مناسبات. كنت ترفض أن يقال عنه أية كلمة مسيئة.»

رفعت عينيها لتلتقي بعينيه، ثم نظرت إلى وجهه. بالتأكيد لن تكون عنده الوقاحة لينكر اتهامها؟ ثم أضافت: «كنت تجن متى انتقد الناس والدك، سواء كانوا من الأصدقاء، المعارف، العمال، أو أي كان. حتى اني أذكر انك هددت أحدهم بالضرب!»

«يا له من مأثرة قمت بها. وهل فعلت ذلك؟»

«فعلت ماذا؟»

«هل نفذت تهديدي؟ هل ضربته؟»

«لا، فقد عاد عن تهجمه، كما يفعلون دائماً.»

ارتسمت، رغماً عنها ابتسامة اطراء على شفتيها. فقد تذكرت ذلك الشعور بالتقدير، لا بل الفخر. فقلة من الناس، حتى من هم يوازون ضعف حجمه، كان لديهم الشجاعة لتحدي فالكو. ولم يكن ذلك لمجرد بنيته القوية فحسب، حيث انه كان رجلاً قوياً متناسق القوام، بل لتلك الإرادة الحديدية التي كانت تظهر عليه. فقد كانت عنده القدرة للسيطرة على الآخرين بنظرة من تينك العينين السوداوين.

هزت رأسها بينها وبين نفسها. فقد اعتقدت في الأيام الخوالي أن تصميمه القوي قد استخدمه، على المحك، في عمل الخير أكثر منه في عمل الشر.

كانت تعتقد ذلك قبل أن تسقط الغشاوة عن عينيها.

سكب فالكو لنفسه فنجاناً من القهوة. وقال بهدوء وكأنهما يتحدثان عن الطقس: «إذاً، لقد اتفقنا على انني لا

أفتقر إلى حس الواجب، سواءً على الصعيد العملي أو بالنسبة إلى والدي.» وعاجلها بنظرة قائلاً: «برغم ذلك ما زلت تلمحين إلى أن بعضاً من قسم غير محدد، ما زال يعوزه الاحساس بالواجب تماماً.»

«هل لمحت إلى ذلك؟»

«لديّ ذاك الشعور.»

هزت لورا كتفيها بلا مبالاة وقالت: «إذاً أنت مخطىء.»

كان من الحكمة، أن تفكر، في انهاء تلك المحادثة معه قبل أن ترغم على قول أشياء قد تندم عليها لاحقاً. وهل سيؤثر ذلك الآن على الاحساس بالخيانة الذي شعرت به عندما وجه إليها الاتهامات قبل ثلاث سنوات دون تردد؟ فقد كان من واجبه، لو أنه أحبها حقاً، أن يبحث عن الحقيقة.

انبعث الغضب في داخلها. لكن تلك هي المسألة. إنه لم يشعر يوماً بالحب نحوها. إنما تظاهر بذلك فقط.

بينما كانت تقضم الكعكة قال بإصرار: «يخامرني احساس أن هناك أمراً تخفينه.»

سألته باختصار: «هل يخامرك احساس بذلك؟»

«نعم، لدي إحساس قوي بذلك.»

«إذاً كل ما يمكنني قوله إنه لا يمكنك الاعتماد على أحاسيسك، أنصحك أن لا تعيرها أي اهتمام.»

«لقد كانت تلك الأحاسيس صادقة، خاصة عندما كان الأمر يتعلق بنا، أنتِ وأنا.»

حبست لورا أنفاسها، فقد بدا وكأنه يدوس على قلبها. ليس من حقه أن يشير إلى العلاقة التي كانت بينهما يوماً. لقد خسر ذلك الحق في اليوم الذي انقلب فيه ضدها.

تنهدت بعمق ونظرت إليه بعينين متحجرتين وسألته: «هل تعلم جانين شيئاً عن...؟» وتوقفت في منتصف الجملة، فيما يبحث فكرها عن الكلمة المناسبة، ثم أنهت كلامها قائلة: «معرفتنا السابقة.» كانت ألطف كلمة وجدتها.

رشف فالكو بعضاً من القهوة، وهو ينظر إليها من فوق حافة الفنجان، فقد بدا مسروراً لارتباكها في البحث عن الكلمة المناسبة.

وضع فنجانه على الطاولة، وقال بتحدٍ: «تعنين، هل تعلم جانين اننا أنتِ وأنا كنا حبيبين ذات يوم؟»

حبست لورا أنفاسها من جديد. وشعرت ان شفتيها قد جفتّا من شدة الارتباك. نظرت إليه بعينين صغيرتين وقالت: «ذلك ما قصدته.»

ابتسم لها وفي عينيه نظرة ساخرة وقال: «حقاً؟ أعتقد انكِ قلت إنه لا يمكنني الاعتماد على أحاسيسي، لكن ليس عندي فكرة، إن كان ذلك يشتمل على حاسة السمع عندي. فقد ظننت اني سمعتك تقولين «معرفتنا.»

أضاف وهو يحدّق في عينيها: «يا لها من كلمة مجردة. أتساءل إذا ما نسيت ان ما كان بيننا هو أكثر مما تشير إليه هذه الكلمة المجردة التي وقع عليها اختيارك. لذا أخذت على عاتقي تذكيرك بذلك.»

أطبقت لورا فكيها بقوة كي لا تنطق بالكلمات التي انطلقت إلى شفتيها بعفوية. كادت تجيبه، لم أنس. لكن، شعرت فجأة بالخوف الشديد، الأمر الذي لم تستطع تفسيره، لما قد تشير إليه هاتان الكلمتان.

أحست ان عينيها ونبرة صوتها قد تخونها. فقد تقول له، كيف لي أن أنسى الحب الوحيد في حياتي؟

وانتظرت لحظة لتهدأ خفقات قلبها، ثم نكرته بحزم: «لم تجب عن سؤالي. هل أخبرت جانين عنا؟»

«وماذا هناك لأخبرها؟ فما هو ماضٍ فقد مضى. وليس له صلة بالحاضر.»

ردت عليه: «لا أوافقك الرأي.»

«أمر مضحك، اعتقدت انك قد تفعلين.» انحنى نحوها، واضعاً مرفقيه على الطاولة ورفع حاجبيه يتأمل ثم أضاف: «خالجني انطباع أن الماضي لم يمض بالنسبة اليكِ.»

نظرت لورا إلى عينيه. إنه يعتقد حقاً انها ما زالت تحمل له في قلبها بعضاً من العاطفة.

قالت له بلهجة فظة: «لا تكن سخيفاً. إنني ببساطة أقترح ان هناك أمراً غير سوي في عدم اخبار صديقتك عن علاقتنا السابقة. أعتقد انه أمر لها الحق في معرفته. خاصة واني ضيفة في منزلك!»

«جاء دوري الآن لأعترض. إني أعتبر، بصراحة تامة، ان لا علاقة لجانين بعلاقتي معك، في الماضي أو في الحاضر.»

قالت وقد صدمتها كلماته: «هل تعني حقاً ما تقول؟» وتجدد احساس لورا، وكان قوياً أكثر هذه المرة، إنه غريب جداً عنها.

«تماماً. إني أعني ما أقوله.»

بينما كانت تحدّق به بنظرات عدائية وعينين ضيقتين،

تابع كلامه قائلاً: «الآن وقد أجبت عن سؤالك لنعد إلى الموضوع الآخر الذي كنا نناقشه... نظرتك إلى الماضي... وإذا ما كان ماضياً بالنسبة إليك أم لا.»

«بالطبع انه ماضٍ. لقد مات ودفن.»

«هل أنتِ متأكدة؟»

«متأكدة جداً، لا يسعني التأكد أكثر من ذلك.»

جالت عيناه على وجهها ثم قال: «ذلك مؤسف.» وتحولت نظرته إلى صدرها، وأضاف: «هناك أمور في علاقتنا الماضية قد تكون قابلة للتجديد.»

شعرت لورا عند سماعها ذلك التلميح الصريح، بانها انتقدت احمراراً ثم امتقع لونها فجأة وأحست بانقباض غريب في معدتها. إنها الاساءة، قالت لنفسها، الاساءة والغضب العارم. وأخذت تحدق في وجهه. وخامرها شعور آخر لكنه متقدٌ كانقاد غضبها. شعور يشابه الخيبة لم تستطع أن تجد له تفسيراً.

دفعت ذلك الشعور بعيداً وركزت على شعورها بالغضب، ثم قالت: «لقد أصبحت حقاً نسخة عن والدك!»

«إني ابن والدي.»

«آه، نعم لقد عرفت ذلك دائماً! لقد عرفت دائماً، على الأقل عرفت منذ زمن بعيد، انك حقير ومتحجر الفؤاد وغير انساني مثله تماماً.» وتوقفت لتلتقط أنفاسها ثم أضافت: «لكن حتى هذه اللحظة لم أكن أدرك انك غادر وفاسق!»

ارتفع صوتها، فأصبح عالياً نوعاً ما، حتى على مسامعها وهي تضيف: «ألا تخجل، لتومىء إليّ بكلام كهذا، هنا في هذا المنزل حيث تقيم صديقتك؟»

قال بهدوء: «هل كانت تلك إيماءة؟ هل كانت تلك الايماءة تستحق أن تثير جنونك إلى هذه الدرجة؟»

إنه على حق. لقد انفعلت كثيراً. ما الذي أصابها؟ وبضيق حوّلت نظراتها عنه. لكنها قالت باصرار: «إنها إيماءة، وأية إيماءة في هذه الظروف. أقول إنها في غير محلها.»

فأجابها بنبرة تهكمية: «يا للأخلاق الرفيعة. يبدو انكِ غيرت موقفك من هذه الأمور، أو انك بكل بساطة تعانين من وضع سيىء بين موقفين.»

أدركت لورا في الحال ما يشير إليه. ولقد جرحها الاتهام كالمعتاد.

فأسرعت لتدافع عن نفسها بقولها: «هذا الاتهام ليس عادلاً. علاقتنا معاً كانت قد انتهت قبل أن... قبل أن...»

«قبل أن تنتقلي للعيش مع رجل آخر. لا تكوني خجلة في قول ذلك. لم تكوني خجلة عندما قمت بذلك!»

شعرت لورا بالغثيان. كيف يمكنه تصديق ذلك؟ سألت نفسها ذلك السؤال آلاف المرات. وبينما كانت تنظر إلى وجهه الغاضب والقريب منها، اجتاحها فجأة شعور قوي باليأس، لترمي الحذر جانباً وتنفجر بقول الحقيقة.

لكنها سيطرت على نفسها في الوقت المناسب، وقد روعها انفعالها. يجب ألا تخبره بشيء، ولا أي شيء. كلما كثرت الأكاذيب بينهما كلما بقي سرها آمناً.

تنهدت بعمق وحاولت بجهد أن تبقي صوتها هادئاً وهي تقول: «لم يكن ذلك خيانة. فعلاقتنا معاً، أنت وأنا، كانت قد انتهت.»

نظر إليها وقد ضاقت عيناه وقال: «حقاً؟ هل أنت متأكدة

تماماً من ذلك؟ هل أنت متأكدة تماماً من أني قرأت رسالتك قبل أن تنتقلي للعيش مع صديقك الجديد؟ هل أنت متأكدة من أنكِ أحسنتِ التوقيت؟»

استلقى على كرسيه إلى الوراء بعنف كاد فيه أن يكسرها ثم أضاف: «على أي حال هذه التفاصيل ليست بذات أهمية.» رمى فوطة المائدة على الطاولة فبعثرت محتويات السكرية وهو يضيف قائلاً: «هذه التعقيدات في التوقيت لن تغيّر شيئاً. فأنت ما زلت كما كنت، غانية، قاسية!»

«وأنت ما زلت كما كنت، كاذباً وفاسقاً!»

التقت عيونهما وجمدت فوق الطاولة، والغضب والشرر يتطاير منها. وكانت تلك اللحظة ملأى بالغضب والانفعال، مجتمعين بقوة وكأنهما قبضة في الهواء الذي يلفهما، وكانت الأرض وكأنها تهتز تحت قدميهما.

ثم، سُمع فجأة صوت صغير يتكلم. من خلال الرعد الهادر.

«هل ما زال هناك بعض القهوة؟ هل يمكنني الانضمام إليكما؟»

نظرا في الوقت ذاته، ليريا جانين واقفة في مدخل الفناء، ومن الواضح انها لم تتنبه إلى العاصفة التي دخلت إليها، وللحظة طويلة لم يحرك أحدهم ساكناً.

استعاد فالكو نشاطه أولاً. فنهض على قدميه وقال لجانين: «تعالي، تعالي واجلسي. سأحضر بعض القهوة الطازجة من المطبخ.»

دون أن يرمي أية نظرة في اتجاه لورا، وكأنه لم يعد قادراً على البقاء معها للحظة أكثر، عبر الفناء بخطى قوية

غاضبة واختفى خلف الأبواب الفرنسية التصميم إلى داخل الدارة.

راقبته لورا، وهي تحاول جاهدة أن تسيطر على أنفاسها، فقد شعرت وكأن رئتيها قد امتلأتا بالشظايا. وكأن كل جزء من جسدها قد شد بملزمة.

لكن الأمر الذي ما زال يزعجها، كان ذلك التوق الذي يخالجها، ذلك التوق العنيف واليائس لتضع حداً لكل تلك الأكاذيب. ولتخبره أخيراً بما حصل فعلاً في الماضي. كان هذا التوق في تعارض خطر ومباشر مع الحاجة للمحافظة على سرها.

شعرت ان دمها قد تجمد في عروقها من جراء الألم الذي غمر قلبها.

ما الذي يحدث لها؟ هل ستجن في نهاية الأمر؟

الفصل الخامس

أخذت لورا بعض الوقت لاستعادة توازنها. فقد مضى نحو ساعة على الأقل قبل أن يعاود قلبها الخفقان بشكل طبيعي.

أحرزت بحكمة نقطة بمغادرتها مائدة الفطور قبل أن يعود فالكو بالقهوة. قرار حكيم لأنها ما زالت خائفة من أن ترتكب حماقة ما.

وشعرت بأنها فظة وهي تتمتم قائلة لجانين: «آسفة، عليّ أن أجري مخابرة هاتفية.» لكنها كانت تعرف أن عليها الهروب. يبدو أن المنطق هجرها للحظة بشكل لم تجد له تفسيراً.

وبالإضافة لكل ذلك. كان عليها فعلاً أن تجري مكالمة هاتفية، فقد وعدت أهلها وبيلي بالاتصال يومياً، لتتأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام.

وكانت تفكر الآن، وهي جالسة على شرفة غرفة النوم تحدّق في البحر وقد داعبته أشعة الشمس. إن تلك المخابرة كان لها الفضل الأكبر في استعادة تفكيرها الواعي. كانت بيلي بخير، وهي تمضي وقتاً رائعاً برفقة جديها.

وابتسمت بتهكم لنفسها. ليتني أستطيع قول الشيء ذاته والتخلص من هذا الاضطراب في قلبي. ليت الأشياء تعود إلى سابق عهدها.

ميت ومدفون. هكذا كان الماضي بالنسبة إليها، طي

النسيان، مرمي وراءها. قد تعاملت معه وانتهى. لكنه ها هو الآن، هنا، يعترضها في كل مكان، ينكىء الجراح الملتئمة، ويحطم قلبها ويحوّلها إلى امرأة شبه مجنونة.

لقد أدركت الآن وقد هدأت، سبب ذلك التوق الخطر الذي كاد أن يتسبب بإعلان الحقيقة إلى فالكو. إنه ذلك الكره الذي رأته في عينيه وهو يتهمها. حقد، كانت تعرف جيداً أنها لا تستحقه. لقد كان ذلك الاحساس الذي سيطر عليها مجرد احساس لتحقيق العدالة، ولا شيء آخر. واستطاعت تخطّيه في النهاية. فلم تخبره شيئاً وقد حافظت على سرها، محمياً وراء سور الأكاذيب وسوء التفاهم الذي يقف حائلاً بينهما.

لكنها وجدت نفسها تتساءل وهي ترتعش، إلى متى سيبقى طي الكتمان، إن استمر فالكو في إثارة الماضي، وكأنه بارود في وجهها؟

تنهدت وأغمضت عينيها. لو أنها تستطيع المغادرة.

أدركت القليل عندما قررت البقاء. وها هي الآن تدفع ثمن ذلك.

وأخذت تتساءل من جديد: ألهذا السبب أحضرها فالكو إلى هنا؟ ليثأر مما مضى؟ لينتقم ببرودة؟ ليجعلها تدفع، مع الفوائد، ثمن جرح كبريائه؟

ان الأمر يبدو كذلك. وتنهدت بعمق وببطء. ذلك يعني أن عليها البقاء قوية، والتعلم كيف تتوقع هجماته دون أن تبالي بها، فتلك هي الطريقة الوحيدة لتستمر.

وستستمر. ألم تفعل ذلك دائماً؟ انها لا تفتقر إلى القوة. وقد برهنت ذلك لنفسها.

وشعرت لورا بكثير من التحسن بعد تلك المحادثة مع نفسها واستعادت سيطرتها على المسألة. فوقفت، لتغادر الشرفة. وبهدوء نزلت إلى الطابق السفلي.

وكانت تنتظرها مفاجأة في غرفة الجلوس.

تنبهت لورا لصدى أصوات، بينما كانت تعبر الردهة. أصوات ضحك ومحادثة في أوجها. فتوقفت عند مدخل غرفة الجلوس غير راغبة في التطفل. يبدو أن ضيوفاً قد وصلوا، خلال وجودها في الطابق العلوي.

«آه، لورا، ها أنت. أدخلي وانضمي إلينا!»

قال ذلك وكأنه يعنيه حقاً، وكأنه مسرور لرؤيتها، فقد نهض فالكو ليدعوها للدخول إلى الغرفة. وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه، جعلتها غير قادرة إطلاقاً على تخيّل تلك الكلمات المريرة التي قالها لها قبل نحو أكثر من ساعة.

وكانت لورا عازمة على أن تعتذر بتهذيب وتتراجع. فلم تكن راغبة في افساد الحفلة. وتوقعت أن فالكو لا يرغب في وجودها، وسيكون من الممتع على أي حال ابعاده عن تفكيرها لفترة وجيزة.

لكنها وجدت نفسها تخطو إلى داخل الغرفة برأس مرفوع، وقد رسمت ابتسامة متألقة على شفتيها، وتوجهت نحو المجموعة الصغيرة من الأشخاص بثقة من هو متأكد أنه مدعو على الرحب والسعة. وفكرت: إن كان هو يستطيع التظاهر بالسرور، فأنا أستطيع ذلك أيضاً!

أمسكها فالكو من مرفقها وقدمها إلى الأشخاص الموجودين قائلاً: «هذه لورا، مهندسة الديكور، لقد جاءت من لندن إلى هنا.» وقد قام بإيماءة صغيرة بدت صادقة

وحميمة، حتى للورا. ثم أضاف: «ستقوم لورا بتزيين دارتي.»

كان الزوار أربعة أميركيين في مقتبل العمر. آليك وجوسي، بوب وماري. وعندما جلست لورا على الأريكة إلى جانب فالكو، حيث أشار لها بالجلوس، قالت لها جوسي:

«أنت فتاة محظوظة. أتمنى لو أني في مكانك. فسيكون عندي نهار حافل في تزيين منزل حالم كهذا!»

فقالت لورا مبتسمة: «انك على حق. إنه منزل حالم. ما قد تسمينه حلم مصمم ديكور.»

«أراهن على ذلك.»

نظر فالكو إلى زائريه وقال لهم: «اني متأكد من أن لورا ستجعله رائعاً. إنها واحدة من أفضل مصممي الديكور في لندن.»

فقالت ماري بتعجب: «كم ذلك مثير! لا بد وأنك تقابلين كل أنواع الأشخاص الممتعين. هل قمت بتزيين قصر أي أمير أو مركيز؟»

ضحكت لورا وأجابتها: «ليس بعد. لم أطرق ذلك الباب بعد. لكنك على حق، اني أقابل كثيراً من الأشخاص الممتعين.»

وتنبهت، لسبب أو لآخر، ان فالكو كان يحدق بها وهي تقول ذلك. وتساءلت إذا ما كان يفكر بتاجر الأشياء المستعملة. ذاك الرجل صاحب ربطة العنق المزركشة وشاربي هتلر، وأحست بانكماش في داخلها متوقعة تعليقاً لاذعاً.

لكنه قال وهو يبتسم بلطف: «لورا فتاة ذكية جداً. أنا متأكد من أنها مسألة وقت قبل أن يُطلب منها تزيين قصر باكنغهام.»

كانت مزحة، لكنها مزحة لطيفة. قالها وهو يبتسم، وكأنه يعتقد فعلاً أن هذا الأمر ممكن حدوثه. وعادت لورا بذاكرتها، للحظة، إلى الأيام الخوالي عندما تجرأت للمرة الأولى أن تشركه في كل المطامح التي تراودها. وقد استجاب لها بإيمان وتشجيع لا يتزعزعان، وفجأة جعل أصعب أحلامها تبدو ممكنة التحقيق.

وبدا للحظة يتألق أمام عينيها من جديد. وشعرت للحظة بنوع من الفرح يخامرها.

واستكملت المحادثة. تحدثوا عن أمور شتى، وغمر لورا شعور أكبر بالارتياح. وعلمت أن أصدقاء فالكو في رحلة إلى إيطاليا وقد استقروا لبضعة أيام في بوزولي قرب نابولي. وقد قصدوا آلبا يحدوهم الأمل برؤية فالكو.

وكان الشعور بالارتياح هو ما قاد لورا بالضبط لتقع في الفخ.

حصل ذلك عندما قالت جوسي فجأة: «الأمر الوحيد الذي أندم عليه في هذه الرحلة هو أن ابننا الصغير، أدي، لم يستطع القدوم معنا. لقد ذهب إلى مخيم صيفي وأنا متأكدة من أنه يمضي وقتاً رائعاً، لكني أفتقده كثيراً. أمر قاس أن تكوني بدون ولدك.»

ودون أن تفكر قالت لورا: «آه، إني أدرك حقيقة شعورك!» وغار قلبها في صدرها وشعرت أن وجهها قد امتقع لونه، وفي الحال، وقد انتابها الذعر، حاولت أن

تخفي ما قالته بقولها: «أعني أستطيع أن أتخيل حقيقة شعورك. لا بد وأنه أمر صعب.»

ولم تجرؤ بعدها على النظر إلى فالكو، لكنها شعرت أن عينيه تحدقان بها. هل تنبه إلى زلة لسانها! هل استطاع وضع الأمور في نصابها؟ وشعرت بموجة من التوتر والغضب والسخط على نفسها. هل أفشت سرها نتيجة لعدم تنبهها؟

ان فعلت، فلن تستطيع معرفة ذلك في الحال. قال اليك: «أعتقد أن وقت الغداء قد حان. هيا لنلحق بالمركب ونعود إلى البر فهناك ناحية رائعة قرب الفندق الذي ننزل فيه.»

وسألتها ماري: «هل ستنضمين الينا، يا لورا؟ تعالي. دعينا نستضيفك. كلما كثر عددنا ازداد مرحنا.»

هزت لورا رأسها، وأبقت عينيها بعيدتين عن فالكو ثم قالت: «عندي عمل يجب أن أقوم به هنا. فأنا لم أرَ الدارة بعد. لكني أشكركم على الدعوة على أية حال.»

«أرأيتم أي مصممة ديكور عملية عندي!» قال فالكو ذلك التعليق بخفة وقد نهضوا جميعاً على أقدامهم، لكن بدا للورا أنها أحست بنبرة حادة في لهجته. نبرة لم تكن موجودة في لهجته السابقة.

نظرت إلى وجهه، وهي تتصنّع ابتسامة، وأخذت تبحث في عينيه عن أي بريق عدائي ظاهر. لكنها لم تر شيئاً يؤكد مخاوفها التي أثيرت فجأة. فالتعبير الذي بدا في عينيه السوداوين اللامعتين كان غامضاً.

لربما تهيأ لي ذلك، قالت لنفسها، متعلقة بالأمل، لعلّه لم يتنبه لذلك.

غادر الجميع في الحال، الأشخاص الستة، بمن فيهم جانين، وتهيأت لورا لتمضية النهار في استكشاف الدارة محاولة أن لا تغوص في الحماقة التي اقترفتها.

لكن هناك أمر واحد كانت متأكدة منه... ستنكر كل شيء. حتى وان واجهها بذلك. لن يعرف الحقيقة ابداً.

توقعت لورا عودة فالكو وجانين عند المساء. لكن لم يكن هناك ما يشير إلى عودتهما عندما كانت تستعد لتأوي إلى الفراش.

قررت أن ذلك حسن. من الواضح أنهما يمضيان وقتاً سعيداً، مما دعاهما للبقاء هناك طوال الليل. في الواقع، إنهما يمضيان وقتاً سعيداً لدرجة أن آخر ما يفكر به فالكو هو زلة لساني الصغيرة.

اندست بين الملاءات واستلقت ملقية رأسها على الوسادات، وفجأة، دون دعوة مسبقة. قفزت صورة إلى ذهنها. صورة فالكو وجانين والأميركيين الأربعة يمضون وقتاً ممتعاً بدونها. ولسبب مجنون لم تُسر كثيراً لهذه الصورة.

حمقاء، قالت لنفسها موبخة، استدارت والتفّت على نفسها. ذلك تماماً ما تريدينه. ذلك تماماً ما قد ينقذك. ما تريدينه هو أن يكون فالكو مأخوذاً جداً برفقة صديقته، حتى لا يعيد التفكير بك أو بزلة لسانك.

لكن ذلك الشعور بالاستياء الغاضب، بقي يلازمها وكانت تشعر أنها تعرف سبب ذلك. برغم أن ذلك أغاظها. لقد ذكّرها الوقت القليل الذي أمضته معه بصحبة أصدقائه، قبل أن يغادروا جميعاً من دونها إلى البر، بأوقات أمضياها معاً

منذ زمن بعيد، عندما كان كل منهما يعني الكثير للآخر.

دفعت تلك الفكرة بعيداً وقد نفد صبرها. من تخدع؟ قد تصدق أنها تعني له الكثير، لكن ذلك كان مجرد كذبة.

وتحرك الغضب في داخلها، الأمر الذي جعلها تشعر بالارتياح. ومدت يدها بسرعة وأطفأت النور.

«أعتقد أن الوقت قد حان لنجول في الدارة معاً، بعدها، نتناول الفطور ونحن نناقش انطباعاتك الأولى.»

استدارت لورا، منذهلة لسماعها صوت فالكو، كانت تأخذ بعض القياسات في المكتبة، لم تسمع وقع أقدامه وهو يدخل الغرفة.

فقالت: «آوه، لقد عدت. لم أعرف بعد أنك عدت.»

وشعرت بفضول شديد وهي تنظر إلى وجهه. وشعرت في داخلها بشعور غريب، بشعور يعود إلى مكان آخر وزمان آخر.

كان يبدو وكأنه حلق ذقنه وأخذ دوشاً لتوه. فقد كان شعره الأسود مبتلاً تنبعث منه رائحة الصابون، وقال وهو يبتسم: «لقد عدنا منذ نحو ساعة فقط وذهبت جانين مباشرة إلى الفراش. انها مرهقة.»

«إذاً، أمضيتم وقتاً ممتعاً جميعكم؟»

بدا ذلك مزاحاً لاذعاً. الأمر الذي أقلقها تماماً. لماذا تهتم إذا كانت جانين مرهقة، أو لِمَ هي مرهقة، أو أين كانت نائمة؟

لكن ذلك تماماً ما كانت تتساءل بشأنه. في أي مخدع كانت جانين تنام؟ في أية غرفة اعتادت أن تنام في الدارة؟ كانت المرة الأولى التي تتساءل فيها عن هذا الأمر.

وشعرت بالخجل الشديد من نفسها. انها تنام في غرفة فالكو بالطبع، أجابت نفسها بغضب.

كان فالكو متكئاً إلى اطار الباب، يراقبها، وهو يبتسم، وكأنه استطاع رؤية ما يجول في خاطرها، عندما قال: «إذاً، هل نبدأ رحلتنا الصغيرة؟» كان يرتدي سروالاً أبيض وقميصاً زرقاء مفتوحة الياقة. كان يبدو ثاقباً كالابرة ومرتاحاً.

حدقت لورا في وجهه. يمكنها على الأقل، أن تكون ممتنة لأمر واحد. كان واضحاً أنه غير عازم على مجابهتها بما حصل في الأمس. وكانت على صواب، فالأرجح، أنه لم يلحظ حتى زلة لسانها.

ابتسمت ابتسامة متألقة وقالت: «حسناً، من أين نبدأ؟»

جال فالكو بنظره في غرفة المكتبة، بجدرانها التي تحوي خزائن ملأى بالكتب ولوحات داكنة اللون وآرائك جلدية، وقال: «ما رأيك في أن نبدأ هنا؟ ومن المصادفات أن هذه إحدى الغرف التي لديّ أفكار مميزة لها.»

ورمته لورا بنظرة محذرة، قائلة: «أرجو ألا تكون مميزة جداً! لن ينجح الأمر ان قررت اخباري بالتفصيل تماماً. الأمر الذي من المفترض أن أقوم به.»

كان ذلك أمراً طبيعياً ألا تقوله لزبون، على الأقل، ليس بهذه الصراحة والوضوح. وكان من الطبيعي، أن تستجمع طاقتها قدر المستطاع لقول ذلك. على أي حال، إنه منزل الزبون وهو من سيقيم فيه. ومن المهم أن تزين المنزل وفقاً لذوقه.

رغم ذلك، كان سعيداً، في هذه الحالة، لأنها قالت تلك

الكلمات بهذه الصراحة والوضوح تماماً. فقد أعاد ذلك القول، بقوة، عداءها له إلى محور اهتمامها. وكان ذلك أمراً حسناً. فقد بدأ يتأرجح على الحافة.

لم تكن عدائية فالكو تواجه أي خطر مماثل. فقد رماها بنظرة باردة وقال: «لا تقلقي. بالنظر إلى ما أدفعه لك فليس لديّ نية في أن أقوم بعملك، لأن ذلك سيبدو حماقة صغيرة.» ابتسم وتابع قائلاً: «سيكون ذلك كمن يشتري كلباً ثم ينبح عوضاً عنه.»

كانت تلك طريقة لبقة للتعبير، ولاعطائها حجمها الطبيعي. شكراً للانعطاف الساخر لذلك التعليق الذي نجح في انزالها إلى منزلة الكلب، بل وأكثر من ذلك، كلب اشتراه ودفع ثمنه.

التقت عينا لورا بعينيه، وقد ركزت كراهيتها الآن بشكل تام قائلة: «والآن بما أننا قد جعلنا ذلك واضحاً، ربما تسمح بمتابعة سيرنا؟»

اتسعت ابتسامة فالكو. انه يستمتع في توبيخها بطريقة مهينة. وازداد شعورها بأنه أحضرها إلى هنا لهذه الغاية.

قال: «كما كنت أقول، لديّ بعض الأفكار لهذه الغرفة سأريك ما أعنيه.»

قال ذلك، وابتعد بقامته المديدة عن اطار الباب، وقادها نحو إحدى زوايا الغرفة، حيث كان هناك رزمة شبه مفتوحة. أزاح الغطاء جانباً ومن خلال الكثير من قماش البوليستر أخرج لوحة صغيرة مذهبة الإطار.

اعطاها اللوحة قائلاً: «أريدك أن تستعملي هذه كايحاء لك في تزيين هذه الغرفة.»

استطاعت لورا أن تخفي تنهيدة. فقد كانت مسرورة من جهة ومباغتة من جهة، ومن جهة أخرى انتابها احساس أعمق من ذلك. إنها ذكرى من الماضي وذات تأثير شديد.

أخذت اللوحة منه، ويداها ترتجفان نوعاً ما. وقالت: «إنها جميلة!» ثم تنهدت وتابعت: «إنها رائعة!» وحدقت في رسم الهندي المغولي المصغر، إنه يحتوي على الكثير من الحركة واللون اللامع الرقيق. وشعرت بالدم يندفع ويعج في داخلها.

أومأ فالكو إلى الرزمة وقال: «اني أملك دزينة أو نحوها. لقد أمضيت السنوات القليلة الماضية أطوف في صالات المزاد العلني في أوروبا، جاهداً في جمعها معاً.»

فقالت: «أتخيل أنك فعلت ذلك. فليس من السهل الحصول عليها، خاصة، إن كانت من هذه النوعية العالية.» وكانت عينا لورا تمعنان التحديق في جمال اللوحة الأخاذ، فقد كانت تُظهر أميراً هندياً صغيراً وخدمه وهم يركبون عبر منظر ريفي رائع. ثم تابعت: «لا بد أن هذه اللوحة هي من أجمل اللوحات التي رأيتها.»

قال فالكو مبتسماً: «لطالما كنت مولعاً بها. اني أحب كل التفاصيل والألوان الموجودة بها. هذه اللوحة واللوحات الأخرى مجرد بداية لما أخطط له لتكون مجموعة كبيرة.»

كادت لورا أن تقول، أعرف. هل نسي؟ قبل ثلاث سنوات ونصف عندما اصطحبها للمرة الأولى في حياتها إلى مزاد علني في لندن. لقد أغرم كلاهما على الفور برسم مصغر لمغولي ولم يكن بجمال هذا. عرض فالكو سعراً له لكن ثمنه ارتفع جداً. وفي النهاية اشتراه شخص أميركي.

حينها، عاهد نفسه على أنه في يوم من الأيام سيجمع مجموعة منها. وقد صدقت ذلك تماماً كما صدقت كل وعد من وعوده.

أخذت تنظر إلى وجهه الآن. نعم، لقد نسي ذلك اليوم، ذلك اليوم السعيد الذي اندفع إلى ذاكرتها ثانية بحيوية عندما رأت اللوحة التي تحملها في يدها. كان يوماً منسياً بالنسبة إليه. ولم يكن له أي معنى، كريشة في مهب الريح.

قال لها: «ما رأيك في أن نصمم الغرفة بما يتناسق وهذه اللوحات؟»

أجابته: «سيكون ذلك ممتعاً؟» كان قلبها يتألم، برغم أنها كانت تبتسم. فقد انتابها احساس بالوحدة. لكنها ذكرت نفسها بقساوة أن ذلك سخيف تماماً. ما لا يهمه، لا يهمها هي أيضاً.

أعادت إليه اللوحة، وقالت: «سألقي نظرة على اللوحات الأخرى لاحقاً.»

«متى شئت. خذي وقتك في تفحصها على مهلك.»

رغماً عن أنه لم يتحرك، بدا للورا أنه يطبق عليها. فقد كان قربه منها خانقاً. وكذلك الطريقة التي يراقبها فيها، كان يبدو عليه وكأنه يريد ابتلاعها بعينيه.

شعرت فجأة بالتشنج والارتباك، فقالت بتهكم بارع: «هل هناك أية تفاصيل أخرى ترغب في أن أتنكرها عندما أصمم ديكور هذه الغرفة؟»

قال، دون أن يتحرك: «هناك سجادة هندية، قطعة أخرى من مشترياتي من غرف المزادات العلنية. إنها في الطابق السفلي سأريك إياها لاحقاً.»

هزت لورا رأسها، وقالت: «حسناً.» وشعرت فجأة بالبرودة والدفء في آن معاً. وتمنت لو أنه يتحرك، لكن ربما كانت تتخيل أنه يحاول احتجازها إلى جانب الرزمة، لربما هناك تفسير آخر لتقطّع أنفاسها المفاجيء.

لكن، الحاجة إلى دفعه بعيداً ما زالت تسيطر عليها. لذا قالت بنبرة قاسية: «يا إلهي أية حياة ملأى بالعمل تحياها! لا أستطيع أن أتخيل كيف يمكنك القيام بها جميعها. أن تطوف في المزادات العلنية في أوروبا، وتشغل منصباً مهماً في شركة روث، وما زال لديك متسع من الوقت تمضيه على جزيرتك في الشرق الأوسط. لا أعتقد أن هناك أياماً كافية في الأسبوع لكل ذلك!»

شعرت في الحال بتحسن. احساسها بقربه قد تقلص. لقد تقلص بمجرد لفظها «شركة روث.»

وبارتياح، استمرت في دفعه بعيداً أكثر، فأضافت: «لا بد أن والدك أصبح متسامحاً أكثر على مر السنين. في الأيام الخوالي كان يطلب الكثير من وقتك.»

لم تطرف عينا فالكو. وبقيت نظراته مركزة عليها. وقال بهدوء: «كما تقولين. تغيرت الأمور بالطبع.»

قالت: «تعلمت أن تستمر؟ آه حسناً، ذلك أفضل لكليكما.» وبدت تلك النبرة القاسية في صوتها أشد قساوة. وشعرت بعدائية وتشنج في جسمها كله وقد تملكتها من رأسها حتى أخمص قدميها. وتابعت: «ذلك أمر متوقع، فأنتما تشبهان بعضكما كثيراً.»

قال: «انك تقولين ذلك دائماً.» ضاقت عيناه وتفحص بصمت وجهها للحظة، ثم أضاف بهدوء: «اني أتساءل دائماً

عن أمر ربما تستطيعين أن تمنحيني اجابة عنه. لماذا تثيرين دائماً الحديث عن والدي؟»

سألته وقلبها يرتعش: «هل أفعل ذلك؟»

أجابها: «بالتأكيد، ألست متنبهة لذلك؟ انك تثيرين الحديث عنه في كل فرصة... وكأنك تحملين له نوعاً من الضغينة.»

سألته: «هل أفعل ذلك؟» وشعرت أنها تعيد نفسها، لكنها لم تكن قادرة على التفكير بأي شيء آخر تقوله. شعرت وكأن عقلها قد توقف عن التفكير أمام تحقيقه غير المتوقع.

هزّ فالكو رأسه وقد تجهم وجهه قليلاً وقال: «ذلك يثير غضبي. أي نوع من الضغينة تحملين له؟ وعلى أي حال، الأمر الوحيد الذي فعله والدي نحوك هو أنه دفع لك كمية كبيرة من المال لتتخلّي عني.»

ابتلعت لورا رضابها وقالت: «تماماً.» وتراجعت إلى الوراء مبتعدة عنه، حتى أصبح باطنا ساقيها مضغوطين إلى الرزمة.

«إذاً، ما هي المشكلة؟»

«لا شيء، كنت سخيفة فقط.»

«لكنك قلت إنك كذلك. إلا إذا كان هناك أمر لم تخبريني عنه؟»

أجابته: «ليس هناك من أمر لا أريد اخبارك عنه.» وابعدت عينيها، خشية أن تلتقيا عينيه، إلى الخال الصغير في طرف عينه اليسرى. ركزت نظراتها عليه، وهي تتنفس ببطء، جاهدة لتسيطر على ضربات قلبها المتسارعة.

سألها: «هل أنت متأكدة تماماً من ذلك؟»

أجابته: «بالطبع. إني متأكدة تماماً. لم أحبه يوماً، هذا كل ما في الأمر. وكنت تعرف ذلك دائماً.»

هزّ فالكو رأسه وقال: «نعم، كنت أعرف، لكن ثلاث سنوات هي وقت طويل للاستمرار في كره شخص لم يؤذك أبداً.»

قالت: «أعتقد ذلك. كما قلت لك، كنت سخيفة فقط.» وشعرت انها محتجزة إلى الرزمة، والخشب يضغط على باطني ساقيها.

قاطعها قائلاً: «ثلاث سنوات وقت طويل. حتى أني مندهش لكونك ما زلت تذكرينه. قد ينسى المرء تقريباً كل شيء في غضون ثلاث سنوات.»

قالت: «تماماً.» كان قلبها يضرب بقوة في صدرها. وشعرت بجفاف في فمها وكان من الصعب عليها التكلم.

صمت للحظة. لحظة طالت كثيراً. ثم قال: «أنا، مثلاً، قد نسيت تماماً الطريقة التي تتورد بها وجنتاك عندما تكونين مرتبكة.» ولمس بإحدى يديه وجنتيها المتوردتين احمراراً ثم أضاف: «مثل ذلك اليوم الذي اصطدمنا فيه ببعضنا في الرواق.»

عندما نظرت لورا إلى وجهه، وقد انقبض قلبها في صدرها، لم يكن في استطاعتها الكلام أو الحركة. ما كادت تستطيع التنفس.

ابتسم فالكو وقال عندها: «هكذا تبدين الآن.» وأصابعه تلتف على خدها لتحضن ذقنها وتابع قائلاً: «تبدين بريئة ونقية في هذه اللحظة كما بدوت عندما التقينا للمرة الأولى في ذلك اليوم.»

حدّق بعينين ملتهبتين في عينيها وسألها: «هل ما زلت تلك الفتاة عينها؟ تحت هذا الاتزان والمظهر المتكلف. هل ما زلت الفتاة عينها التي أتذكرها؟»

أرادت لورا أن تدفع بيده بعيداً عن وجهها. أرادت أن تهرب منه. شعرت وكأنها سجينة محتجزة إلى الرزمة.

ابتسم فالكو قائلاً: «انك تأسرينني. هذا الجمال، هذا الذكاء. هذه السيماء من التكلف الساذج...»

بينما كان يتكلم كان ابهامه يتحرك ببطء على شفتيها باعثاً ضربات خفيفة من الاحساس فيها.

أجابته بصوت خفيض أجش: «أي أمر سخيف تقوله. أستطيع أن أؤكد لك أنه ليس هناك شيء آسر فيّ.»

كان من الحكمة أكثر لو أبقت على شفتيها مطبقتين. فبينما كانت تتكلم، أبقى على ابهامه يتحرك إلى الأمام وإلى الوراء وقد تكثفت الأحاسيس التي يثيرها، عندما استغل تواطؤها غير المتعمد حين فتحت شفتيها لتتكلم.

لقد نسيت لورا تأثيره القوي عليها. وكيف أن أرق وأصغر اتصال حسي بينهما قد يجعل شعرها يقف منتصباً.

انه شعرها وقد اقشعر الآن. انها تشعر بوخز خفيف في فروة رأسها. كانت القوة التي تنبعث من أصابعه كالكهرباء.

استطاعت بجهد كبت رعدة انتابتها، وحدثت نفسها بقساوة. بماذا تفكر؟ فهذا التصرف الحميم كان شائناً ويجب أن تضع له حداً في الحال.

بأعصاب كالحديد، رفعت احدى يديها اعتراضاً ووضعتها على معصمه لتبعد يده عنها. وقالت له: «لا تفعل ذلك.» لكن اعتراضها بدا ضعيفاً وغير مقنع حتى لنفسها.

سألها: «لا؟ ألا تحبين ذلك؟»

قالت: «أتمنى أن تتوقف عن ذلك.» وبقيت، لسبب تجهله، اليد التي رفعتها لتبعد يده، ملقاة على معصمه.

قال: «في هذه الحال سأتوقف.» وانزلقت يده لتلاعب عوضاً عن ذلك، شعرها عند مؤخرة رقبتها. وابتسم لها ابتسامة شيطانية وقال: «هل تفضلين هذا؟»

أجابته: «في الواقع، لا، اني لا أفضله.» وشعرت أن جسمها يتقد الآن. فقد قامت بمحاولة فاشلة، محاولة لتبتعد عنه، قد توصف بأنها ليست نابعة تماماً من كل قلبها. فكرت في خجل لكن يده انزلقت لتحيط بخصرها.

قالت: «فالكو، أرجوك!»

قال: «أرجوك ماذا؟»

قالت: «أرجوك لا تفعل ذلك.»

قال: «ماذا تفضلين أن أفعل عوضاً عن ذلك؟»

ونظر بعينيه المتقدتين كالجمر في عينيها. وشعرت بالاثارة المحظورة تنبعث منها. حاولت أن تمسكها لكنها اندفعت كالمرجل.

«ربما هذا ما تريدينني فعلاً أن أفعله...؟»

كان ينحني نحوها أكثر. وكان في استطاعتها أن تشعر بانفاسه المعذبة، الدافئة والحلوة على وجنتيها. وكان في مقدورها أن تحس، أيضاً، قوة الذراعين اللتين تغمرانها.

فجأة، أخذ قلب لورا يقرع بشدة دون أن تستطيع التحكم به. لقد عرفت أنه سيقبلها، وأنها لن تفعل شيئاً لتوقف ذلك. مزيج من المشاعر كان يجتاحها، فيه من الخوف، والشكوك، والتوق اللذيذ والمر في آن معاً.

بدا العالم للحظة يدور بسرعة على محوره. وكانت لورا تستطيع بعين عقلها أن ترى أنها تبعده عنها وتحرر نفسها، وتضع حداً لهذا الجنون. لكن مياه الاغواء كانت قد غمرتها لتوها.

تحولت نظرتها تلقائياً إلى ذلك الخال الصغير الداكن وقد اختفى تقريباً بين رموشه عند طرف عينه اليسرى. وعرفت في تلك اللحظة أنها خسرت المعركة. واستسلمت له.

بدت بعد لحظة وكأن اعصاراً ضربها. بدت وكأنها قد ارتفعت عن الأرض حيث كانت واقفة، ورميت في الهواء مثل لعبة مهملة، وفي نفس الوقت مزقتها عاصفة شعور حسي إلى أشلاء.

لم تكن قبلة بسيطة. ولم ينبعث عنها سرور بسيط، كمعظم القبل التي عرفتها. شعرت وكأن العالم يصرخ. كان ذلك كاصطدام كوكبين.

كانت مجبرة على التعلق به أو أنها قد تنزلق فوق الحافة مباشرة إلى دهاليز النسيان المظلمة. طوقت ذراعاها عنقه وقلبها يتنهد فرحاً وألماً في داخلها.

«آه، يا فالكو!» هل قالت ذلك، أو أن ذلك كان في رأسها فقط؟ انطلقت منها وكأنها صرخة يأس. يأس ولد من حاجة مفاجئة ومؤلمة خنقتها لمدة طويلة، ولم تعد تستطيع احتواءها أكثر.

بصوت أبح من العاطفة، سألها: «والآن هل تذكرين؟ هل تذكرين الآن كيف كان الأمر؟»

أجابته: «لم أنس أبداً. كيف بحق السماء يمكن أن أنسى؟» مرة ثانية، لم تكن متأكدة إن قالت تلك الكلمات أو أنها

فكرت بها فقط. كانت أصابعها تداعب شعره، تلمسه، تلاطفه ثم تنزلق إلى كتفيه. كانت رحلة إلى الماضي، إلى ما كان بينهما.

لم ينس فالكو أيضاً، فقد بدا ذلك واضحاً من حركاته. إنه ما زال يعرف كيف يجعل حواسها تغني ابتهاجاً.

لم تكن عندها رغبة في ايقافه وهو يقبلها قائلاً: «هذا ما تحبينه..»

تمتمت: «آه، نعم!» وهي تعانقه. وشعرت بأنفاسها جارحة كالحصى في حنجرتها.

كانت لورا تفكر، بأنها ستموت إن توقف.

بدا الأمر طبيعياً جداً، وسهلاً جداً أن تكون معه هكذا من جديد. كان أمراً سهلاً وطبيعياً كالتنفس والمشي. ذلك الشعور بالخوف والشك قد رحل كلياً. وكل ما تبقى كان توقاً أخاذاً ولم يعد هناك شعور بالمرارة والحلاوة في آن معاً، بل كان شعوراً لذيذاً حلواً كالعسل.

كان يشعر ذات الشعور. فقد أحست روحها بذلك. على الأقل إلى أن بدد وهمها.

فجأة، هدأت يداه وشفتاه. ابتعد قليلاً عنها. ونظر إلى وجهها وكانت النظرات في عينيه باردة كالمرمر.

قال مبتسماً: «ليس سيئاً، على اعتبار أنك فعلت ذلك مقابل لا شيء.» ولوى شفتيه بينما كان الدم ينحسر ويتدفق من جديد في وجهها. وأخيراً غادر وجنتيها وقد تركهما شاحبتين كحبة الدواء. وتابع قائلاً: «فكري فقط في ما يمكن أن تقدميه لي إن أردت ثمناً معقولاً.»

لم تستطع لورا أن تنطق بأية كلمة. فقد تحولت أعضاؤها

إلى كتلة من الرصاص واعترتها موجة من الاشمئزاز الغامر.

أبعدت عينيها عن فالكو، بينما ابتعد عنها بحركة صغيرة مزدرية وأخذ يراقبها.

قال: «هل تابعنا جولتنا؟ أعتقد أن هذا كان هدف تلاقينا.»

ثم استدار بعيداً عنها واتجه نحو الباب، تاركاً لورا حيث وقفت غير قادرة على الحراك، جسمها منهك وروحها غارقة في بحر من الخجل اللاذع.

الفصل السادس

ساد بين فالكو ولورا صمت بارد شبه تام بقية جولتهما في الدارة. فالكلمات القليلة التي جرت بينهما كانت مقتضبة، رسمية ومقتصرة على ما هو ضروري جداً. ولم تلتقِ عيونهما ولو لومضة عين طوال تلك الجولة.

لكن، وأخيراً انتهت الجولة الآن.

كانا يقفان في غرفة الجلوس، كلّ على جهة من جوانب النافذة الكبيرة. عندما قال فالكو: «أعتقد أننا جلنا في جميع أنحاء الدارة، إلا إذا، كان هناك شيء آخر تريدين مني أن أريك اياه.»

ولم تغفل عن ملاحظة نبرة صوته التي تشوبها الدعابة الساخرة. كانت لورا تحدق إلى ما وراء النافذة، ودون ان ترمقه بأية نظرة قالت بحدة: «لا، شكراً لك. اعتقد أننا جلنا في كل ما هو مطلوب.»

شعرت أنها لم تعد قادرة على تحمل موقفه. فقد كان في استطاعتها التعامل مع عدائيته الواضحة، لكن اللهو الناضح بالازدراء الذي بدأ يظهر بين الحين والآخر من تحت العدائية جعلها راغبة في اقتلاع عينيه.

لماذا دفعها إلى ذلك العناق الذي يدل على الحب، طالما ان هدفه الوحيد كان أن يجعل منها حمقاء؟ هل كان ذلك ليختبر مدى السيطرة التي ما زال يعتقد خاطئاً انه يملكها عليها؟ هل كان في نيّته ان يذلها؟ هل هذا الأمر يرضيه؟

www.elromancia.com

تابعت التحديق خارج النافذة بينما كان هو يتكلم، قائلاً: «هل ترغبين في شيء تشربينه؟ اعتقد أني سأتناول مرطباً. تعالي وانضمي اليّ على الشرفة.»

استدارت لورا عندها نصف استدارة لتنظر إليه، وقد ضاقت عيناها الزرقاوان: اذهب أنت ومرطبك، فكرت بحقدٍ في نفسها، إنما اجابته: «إن كنت لا تمانع، أفضّل الا افعل. اعتقد أني سأذهب إلى غرفتي الآن فأنا اشعر بصداع خفيف.»

رفع احد حاجبيه في اظهار لشفقة متهكمة، وقال: «صداع؟ يا لسوء الحظ. أخبري آنا وإني لمتأكد من أنها ستستطيع أن تعطيك شيئاً له.»

تجاهلت لورا تحرشه. وقالت «يبدو أنه معدٍ، أعني الصداع، إنه مصدر خطر على النساء في هذا المنزل. إني اتساءل ان كان له أي تأثير على الرجال هنا؟»

قال: «هل تعنين عليّ؟»

قالت: «وهل هناك رجل آخر هنا سواك؟»

فابتسم لتعجرفها واتكأ بارتياح إلى مسند احدى الارائك وقال: «ليس على حد علمي. لكنني شخصياً، أقول إن صداعك الخاص لا علاقة له بي بقدر ما له علاقة بنفسك.»

«ماذا تعني؟»

نظر إلى عينيها وقال: «اعتقد أنك تعرفين ماذا اعني.»

ابعدت لورا عينيها عن عينيه وقد اربكها ذلك التوبيخ الساخر. وشعرت ان ما قصده كان أموراً تفضل أن لا تتحدث فيها.

ثم نظرت إليه ثانية واتهمته بغضب قائلة: «أنت من يجدر

به أن يشعر بالتوعك. أنت من عنده صديقة ليست على بعد ملايين الأميال من هنا!»

كان وقع اتهامها عليه، وكأنه طنّ من الريش. فرفع كتفيه بلا مبالاة وقال: «لا أجد سبباً لأشعر بالتوعك. أنتِ، على ما يبدو، تشعرين بالتوعك عنا كلانا.»

رفعت رأسها فجأة نحوه وقالت: «وأنا أيضاً الشخص الذي لا سبب لديه ليشعر هكذا. أنا انسانة حرة. ولم أخن احداً.»

وادركت لورا، عندما قالت ذلك، أنه صحيح، فليس هناك من سبب يجعلها تشعر بالتوعك. ما عدا، بالطبع، الواقع المرير، لأنها سمحت لفالكو أن يقترب منها بما يكفي ليجعلها تبدو حمقاء. الطريقة التي تجاوبت فيها لقبلاته، كانت على الأقل حيّوية وصادقة، برغم أنها نادمة على ذلك. لقد كان تصرفه لا يحتمل أي تدقيق.

لكنه كان منيعاً أمام تلميحاتها، تماماً كما توقعت. وببساطة اتكأ على مسند الأريكة ليتخذ وضعاً مريحاً أكثر ونظر إليها بفضول قائلاً: «هل الأمر كذلك؟» أليس عندكِ صديق في المنزل ينتظر عودتك بفارغ الصبر؟»

«ذلك ما قلته لك بشكل أو بآخر.»

وضاقت عيناه بينما كان ينظر إليها. وقال: «ولا حتى تاجر أثريات أنيق؟ كان ذلك النوع الذي تفضلينه. أليس كذلك؟»

لو أنها كانت أقل ارتباكاً لخطر بذهن لورا ان تتساءل كيف عرف فالكو ان الرجل هو تاجر اثريات. هي لم تخبره ذلك ابداً وبالتأكيد.

لكن ذلك الأمر فاتها. وكما هو الحال دائماً عندما يتهمها بهذه الاتهامات، شعرت وكأن سكيناً تمزق قلبها. لكن لم تشعر برغبةٍ هذه المرة لأن تبوح بالحقيقة في وجهه. ولفظت توضيحاً أفضل وهي تنظر إليه: «في ذلك الوقت كان تحسّناً لما كنت قد اعتدت عليه. ان تجاربي الرومانسية السابقة كانت من مستوى منخفض.»

سألها: «هل الأمر كذلك؟» ولم تكن نبرة صوته توحي بشيء. لكن لورا رأت اشارة اضطراب في عينيه.

ادركت انها استطاعت أن تصل إليه، وشعرت بالنصر والدهشة، لكن فجأة، ولسبب لم تستطع تفسيره غمرها توق لتعتذر منه وتسحب اهانتها له، يبدو أن تشويه سمعة ما كان أجمل تجربة رومانسية في حياتها، ما زال تقليداً زائفاً مهما بلغ مقدار كرهها له.

كانت مسرورة لأنها ابقت اعتذارها في نفسها عندما أجابها بإهانة أكبر منه قائلاً: «حسناً، من خلال السرعة التي تتركين فيها الرجال، وضع نهاية للقديم والبداية مع آخر بسرعة شديدة، ما من شك في أنك استطعتِ أن تضعي تجاربك القديمة خلف ظهرك في هذه الأيام.»

فقالت: «على الأقل إنني أنهي العلاقة القديمة قبل البدء بعلاقة جديدة، الأمر الذي لا ينطبق عليكَ. فأنت لا تملك حتى اللياقة لتكون مخلصاً لصديقتك خلال اقامتها في منزلك!»

استقام فالكو قليلاً في وقفته. وفي عينيه السوداوين نظرة غامضة، وقال: «ربما أنتِ على حق. لكنك تتكلمين بجهد. لم ألحظ انبعاث أي احساس عارم بلياقة منك في

المكتبة. اذا كنت مخطئاً تجاه جانين، فجزء من ذلك يقع عليك أيضاً.»

لم تستطع لورا انكار ذلك. وتركت عينيها تبتعدان عن وجهه. لم يخطر في بالها عندما كانت في المكتبة في الطابق العلوي، الخطأ الذي ترتكبه بحق جانين.

استدارت بحدة، فقد اكتفت من هذا النقاش. الذي لا يؤدي إلى شيء سوى إلى جعل صداعها في حالة أسوأ.

فقالت: «إني صاعدة إلى الطابق العلوي.» وبخطى سريعة عبرت الغرفة متجهة نحو الباب الذي يؤدي إلى الرواق، ثم اضافت: «ان كنت لا تمانع، سأستلقي لفترة وجيزة.»

أجابها بنبرة ساخرة: «كوني ضيفتي وخذي راحتك واستلقي قدر ما تشائين. برغم أني اشك في أن الاستلقاء في غرفة مظلمة قد يشفي الصداع الذي تعانين منه. ما أنت بحاجة اليه هو علاج مختلف.»

كادت لورا تخرج من الباب متعمدة تجاهله، عندما اضاف: «آه، في المناسبة، بعد راحتك الصغيرة ربما تشعرين بتحسن يكفي لتعطيني اجابة عن سؤال واحد...»

نبرة غريبة تضمنتها لهجته، جعلت لورا تستدير وتنظر إليه.

شعرت بالدم يتجمد في عروقها عندما التقت عيناه بعينيها للحظة بدت أنها لن تنتهي، ثم سألها وقد ظهر طيف ابتسامة على شفتيه.

«ما اريدكِ أن تقوليه لي... من هي بيلي؟»

كيف استطاعت لورا الوصول إلى غرفتها، أمر لن تعرفه

مطلقاً. فقد شعرت بقدميها، بكل جسمها، وكأنه قطع من الحطب. وانتابها خدر من شدة الخوف من قمة رأسها حتى أخمص قدميها.

استلقت على السرير، وقلبها يضرب بقوة في صدرها. كيف عرف ذلك؟ هل كان يعرف منذ البداية؟ هل تقطع رحلة عملها وترحل الآن؟ ماذا قد يحصل لها؟

لكن ضجيج الخوف في رأسها بدأ يهدأ تدريجياً. وبينما كانت مستلقية على الغطاء الحريري للسرير، وهي تتنفس بهدوء، أصبح تفكيرها دقيقاً ومركزاً بوضوح أكثر.

لعله لا يعرف شيئاً، غير أن اسمها بيلي، برغم أنها لم تستطع التخيل كيف تمكّن من معرفته. لكن ستكون حمقاء إن شعرت بالقلق. يجب عليها مواجهة الأمر بتحدٍ، كما يجب عليها المحافظة على رباطة جأشها. نهضت من الفراش وسارت بتثاقل نحو الحمام، زجّت بنفسها تحت الدوش ثم أخذت تفرك نفسها بسرعة بالمنشفة. ستتعامل مع هذا الكابوس الجديد بطريقة ما وتتغلب عليه.

بينما كانت تسرّح الخصلات المتشابكة الرطبة من شعرها، ادركت عندها فقط، إنها على الأقل قد عالجت هذه الصدمة الجديدة، صداعها، وتوقفت فجأة وحدّقت في انعكاس صورتها في المرآة الكبيرة ذات الاطار الفضي فوق الحوض. وبينما كانت تنظر إلى نفسها، انتابتها رعشة. ماذا بحق السماء قد تملّكها منذ قليل في غرفة المكتبة؟

أشاحت بنظرها عن المرآة. فالجواب سهل والمطلوب ان تكون صادقة. فما تملّكها، كان عاطفة متأججة صادقة.

عاطفة لم تمر بها منذ سنوات، وحتى تكون دقيقة، منذ ثلاث سنوات. ما زالت تذكر المرة الأخيرة التي شعرت فيها بهذا الشوق حين كانت مع فالكو.

تذكرت المناسبة وكأنها حدثت البارحة. كانا سوّية في شقته في سوليهول عشية سفره إلى بلجيكا.

كان يقبلها ويعانقها بقوة وكأن الحاسة السادسة لديه كانت تحذره بأنها المرة الأخيرة التي سيكونان فيها سوية.

شعرت لورا بالكآبة أيضاً، تماماً كما كانت تشعر دائماً عندما يقوم برحلات العمل تلك من أجل والده. دفنت وجهها في صدره وقالت: «سأكون في حالة مزرية من دونك. عدني بأنك ستفكر بي كل يوم.»

أجابها: «في كل دقيقة من كل يوم.» وهو يقبّل شعرها ويداه تغمرانها وكأنه لا يريد إبعادها عنه أبداً، ثم أضاف: «ألا تعرفين كم أحبك؟»

ابتسمت واثقة بجنون من كلامه برغم حزنها وقالت: «اعتقد أنك تحبني تقريباً بقدر ما أحبك.»

قال معترضاً: تماماً كما يفعل دائماً. «أكثر!»

ردت عليه: «مستحيل!» وعانقته بحب وعشق وأضافت: «ما من شخص يستطيع أن يحب شخصاً آخر بقدر ما أحبك.»

شعرت لورا بغصة قد علقت في حنجرتها، وهي تتذكر تلك الليلة. ولم تكن تعرف أن ما حصل تلك الليلة سيكون الأغنية الأخيرة، الفصل الأخير في علاقة حبهما. وان ذلك الحب الذي رأته يتلألأ في عينيه قد قدّر له أن يتحول بسرعة إلى كراهية.

ابتلعت رضابها بصعوبة. ولم تحب أحداً سواه بعد ذلك.

لم تحب أحداً كما احبت فالكو. فالكو والحب لم ينفصما وبقيا متحدين معاً في افكارها وإن بدا ذلك غير منطقي.

لذلك السبب حدث ما حدث في المكتبة. فعندما قبلها أعادها إلى الماضي، ماضٍ هو التجربة الوحيدة التي عاشتها في الحب. وبدا وكأن الماضي والحاضر قد امتزجا وأصبحا حالاً واحدة.

تنهدت لورا بعمق ووضعت فرشاة شعرها جانباً، وقد لاحظت أن قلبها يضرب بقوة في صدرها. يجب الا تفكر في هذه الأمور. ولكنها لم تستطع ذلك. فقد ملأت هذه الأحاسيس أفكارها حتى غمرتها.

أخذت تنظر في أعماق قلبها ووجدت أفكارها مركزّة على تلك الرسالة التي ارسلتها له قبل ثمانية عشر شهراً. قالت لنفسها، إنها كتبتها بناء على احساسها بالواجب تجاهه. فقد اعتقدت أن من حقه أن يعرف عن ابنته. وكان في ذلك بعض الحقيقة. لكن ليس الحقيقة كلها.

كان جواب فالكو المقتضب، الذي تسلّمته بعد اسبوعين، يعلمها فيه أن ليس هناك ما يناقشانه، الأمر الذي حطمها وارغمها على مواجهة الحقيقة.

في تلك اللحظة، ادركت فجأة، أن الأمل في رؤيته قد غمرها بحياة جديدة. الأمل في رؤيته وفي ما قد ينتج عن لقائهما. لأنها كانت قد قررت أن لا تخبره عن بيلي فقط، بل عليها أن تشرح له أيضاً ما حدث فعلاً، وكيف أنها لا تلام على افتراقهما المحزن. عندها سيسامحها وستسامحه. ولن يكون هناك شيء في العالم يمنعهما من البقاء معاً.

لم تدرك مدى ما كانت تعنيه لها هذه الآمال إلا عندما

تحطمت وتبعثرت بين يديها. وقد صدمها ذلك الأمر بقوة وكاد أن يوقعها أرضاً من شدة الخجل.

كيف يمكنها أن تشعر هكذا تجاه رجل قد برهن في آخر المطاف على أنه لا يثق بها.

منذ تحطم علاقتهما دأبت على إقناع نفسها بأنها تكرهه، انها تتمنى أن لا تقع عيناها عليه طيلة حياتها المتبقيّة.

تصرفت بشكل صحيح. فقد كوّنت لنفسها حياة جديدة، حياة مركزة على ابنتها الصغيرة الغالية. لقد تدبرت أمورها تماماً من دونه.

عادت إلى غرفة النوم وجلست على السرير. وفكرت في انه لم يكن بعيداً جداً عن اصابة الهدف، برغم احتقارها لادعائه المغرور أن الهدف الوحيد من وراء الرسالة كان طلب غفرانه والتوصل إلى تسوية. لكن رغماً عما حصل في المكتبة، فانه مخطيء إذا كان يعتقد أنها ما زالت تشعر بتلك العاطفة.

كانت هفوتها تلك في المكتبة مجرد عمل انعكاسي، استجابة لا ارادية لأحاسيس حسيّة قوية كان يجب أن تكون خيوطها قد قطعت منذ زمن بعيد. حسناً لقد قطعت الآن. لن يحصل ذلك مرة ثانية. إن تحرك باتجاهها مرة أخرى، فسيرى ماذا سيحصل له، فانها لن تسمح له بذلك.

بغضب، اطبقت أصابعها بقوة، عندما تذكرت كيف أذلّها. هل كان ذلك جزءاً من بعض القسوة المفرطة ينميها تدريجياً وعرضاً متعمّداً لقساوة الفؤاد لارباكها قبل أن يسقط عليها قذيفته الأخيرة؟

شعرت لورا بقلبها يتوقف عن الخفقان، عندما تذكرت الطريقة الوقحة التي سألها فيها السؤال الذي سبب تجمد الدم في عروقها. «ما أرغب في أن تخبريني عنه هو... من هي بيلي؟»

غطت لورا وجهها بيديها، وهي تتنهد بأسى شديد وقد عاودتها كل مخاوفها الماضية. لقد كاد، منذ ثلاث سنوات، أن يحطمها. ولن تدعه يفعل ذلك مرة أخرى، فلن يأخذ بيلي منها.

وقفت فجأة، فلم تعد قادرة على تحمل كل ذلك الألم، الغضب، الخوف، والارتباك الذي احتشد في داخلها وكأنه أفاعٍ رقطاء. ستحارب هذا الرجل الذي أحبته ذات يوم والذي خذلها بقساوة.

هذا الرجل الذي ما زال يستطيع أن يلهب روحها بقبلاته، هذا الرجل الذي هو والد ابنتها الصغيرة... ستقاتله بكل سلاح تقع يداها عليه.

سالت دمعة على خدها. وبرغم تصميمها الصلب، شعرت فجأة أن قلبها هو الأكثر حزناً والأشد بؤساً في الأرض.

لم يحصل ما كانت لورا تخشاه طوال النهار. فمن اللحظة التي خرجت فيها أخيراً من غرفتها. كانت نفسها قد امتلأت عزماً وتصميماً على المواجهة. كانت تنتظر أن يظهر فجأة أمامها ويطلب اجابة عن سؤاله: من هي بيلي؟

لكن لدهشتها وارتياحها في آن معاً، لم يحدث شيء من هذا برغم أنهما التقيا قليلاً في عدة مناسبات، بدا وكأنه قد نسي الموضوع، أو فقد اهتمامه به. بدا وكأنه لم يسأل ذلك السؤال البغيض ابداً.

قررت لورا أن تعتبر ذلك فأل خير. لأنها تأكدت من أنه لو كان يعرف من هي بيلي، أو حتى لو أنه اشتبه في الحقيقة، لأثبتها دون أية مضيعة للوقت.

وعلى الرغم من شعورها بالرضى في أعماق نفسها بذلك الافتراض المنطقي، فقلبها ما زال مضطرباً في داخلها. فأية وسائل ملتوية تلك التي اوصلته إلى معرفة أن هناك شخصاً في حياتها يدعى بيلي؟

كانت ما تزال تسأل نفسها ذلك السؤال وهي تتهيأ للعشاء، حيث كانت تمشط شعرها الأشقر القصير حسب تسريحته الأنيقة المعتادة. وتضع الكحل على رموشها. لربما لن تستطيع الاجابة عن ذلك السؤال أبداً. ولربما ذلك لا يهم، ولعل الموضوع قد طوي.

ربما... ونظرت بتجهم إلى انعكاس صورتها في المرآة. لكن لا تعتمدي على ذلك، قالت محذرة نفسها.

لم يظهر على لورا أية ملامح لقلقها الداخلي عندما دخلت إلى غرفة الجلوس، قبل الثامنة بقليل، مرتدية ثوباً أزرق زاهياً، عارياً عند إحدى الكتفين فيما زيّنته عقدة على الكتف الآخر. لقد أصبحت خبيرة، فكرت بسخرية، وهي تحاول التنكر لمخاوفها.

كان فالكو وجانين يجلسان على الشرفة يستمتعان بتناول شراب مُقَبّل قبل العشاء. وتبعت لورا اصداء صوتيهما لتنضم إليهما.

ابتسمت ابتسامة ترحيب قائلة: «أرجو الا أكون قد جعلتكما تنتظران طويلاً؟»

استدار فالكو ليصبح في مواجهتها وقال: «لا، على

الاطلاق.» كان مرتدياً بدلة حريرية بلون الحجارة وربطة عنق ذات لون أصفر محمر. كان يبدو، كما هو دائماً، مثيراً جداً بوسامته.

قالت لورا: «حسن.» وهي تبعد عينيها عن عينيه وحوّلت اهتمامها نحو جانين، وقالت: «إني سعيدة لأن اراك تنضمين الينا هذا المساء.»

كانت تلك الكلمات نابعة من قلبها. فأية مواجهة مع فالكو لن تحدث بوجود جانين. شعرت لورا أن قلقها الداخلي قد اختفى وحلّ محله احساس بالفرح المبهج.

ابتسمت لها جانين وقد بدت جميلة في ثوبها الخوخي اللون، وأجابتها: «أنا، أيضاً. إن ذلك سيتيح لنا فرصة لمعرفة بعضنا أكثر. فلم يتح لنا الكثير من الفرص للتحدث معاً.» ورمت بنظرة خجلة نحو فالكو وأضافت: «بالنسبة إلى فالكو، فأنت سيدة ممتعة جداً.»

حسناً. ماذا عن ذلك؟ اصطنعت لورا ابتسامة ظريفة وتساءلت إلى أية درجة هي ممتعة بالنسبة إليه. هل يعني ذلك أن فالكو قد أخبر جانين عن ماضيهما؟

قررت، ان ذلك الأمر مشكوك فيه، وهي تجيب مبتسمة: «إني متأكدة أن ذلك من طبيعة فالكو اللطيفة. يبدو أنه يجامل الآخرين دائماً.»

من الواضح أن جانين لم تنتبه للسخرية التي يتضمنها ذلك التعليق. فقد ابتسمت من جديد، ابتسامتها البريئة الخجلة تلك. وانحنت نحو فالكو ولمست خده ممازحة وقالت بهدوء: «نعم، إنه حلو المعشر، أليس كذلك؟ إنه أطيب رجل عرفته.»

«أنا أيضاً. سأفكر دائماً بذلك. فالكو روث هو أطيب رجل على الأرض.»

استطاعت لورا أن تبقي وجهها ثابتاً وهي تقول ذلك. كان يجب أن أكون ممثلة، كانت تفكر بينها وبين نفسها. فذلك يستحق جائزة الأوسكار.

كان واضحاً أن فالكو فكر بهذا أيضاً. فقد ملأ اطراء خبيث لاهٍ عينيه السوداوين اللتين عاودتا النظر إليها، وفي محاولة لانتزاع جائزة الأوسكار التي تخيلتها منها قال: «لكنّ أناساً مثلك يجعلون اللطف امراً سهلاً. كيف يستطيع أي رجل أن لا يكون كريماً بمدحه عندما يصل الأمر إلى امرأة شابة فاتنة مثلك؟»

ضحكت جانين بابتهاج وانحنت نحوه وضمت إليها ذراعه بمحبة وقالت: «لديك براعة في استعمال الكلمات. لم أعرف رجلاً مثلك!»

فكرت لورا بينها وبين نفسها وهي تراقب ذلك المشهد الصغير، إن ذلك من دون ريب أكثر دقة مما تعتقد تلك الفتاة المسكينة. ومرة أخرى شعرت بنوع من الشفقة تجاه جانين، فقد بدت متيمة بحب فالكو ومطمئنة جداً لعلاقتهما، ولم يظهر في عينيها الزرقاوين الواثقتين به أي وميض للغيرة. وبدا للورا أن وقوفها هناك موقف المتفرج، دون أن تحذرها من الخطر الجسيم الذي تعيش فيه، كالخطيئة.

هذا الرجل الذي تعتقد أنه مثال في الرقة سينقلب عليها يوماً بأنيابه السامة وكأنه مصاص دماء.

في تلك اللحظة، وقف فالكو، وسار نحو لورا، وعلى شفتيه ابتسامة مهذبة، ليقدم شراباً إليها.

سألها: «شراب النعناع؟ أم أنك غيرت شرابك المعتاد؟»

«شراب النعاع جيد.»

«مع الثلج؟»

اومأت لورا برأسها وقالت: «نعم، شكراً لك.» وتجهّمت بينها وبين نفسها. فتلك الاشارة إلى شرابها «المعتاد»، كانت خدعة صغيرة لجانين. فقد كانت اشارة واضحة إلى جزء من ماضيه الذي ما زال يخفيه، عن صديقته. لقد كان ذلك مثالاً واضحاً عن خداعه وقساوته وعدم حساسيته.

فكرت من جديد، مسكينة جانين. إنها تتجه إلى تحطيم فؤادها.

وجدت لورا نفسها تفكر ملياً في ما بعد عندما جلسوا حول المائدة للعشاء، يمكن أن تكون مخطئة. لم يحاول فالكو أن يعطي انطباعاً، كما فعلت جانين، بأنه جزء من ثنائي. وبرغم ذلك كانت هناك لحظات حيث كان من المستحيل الا تلاحظ الحنان الذي يبدو واضحاً أنه يكنّه للفتاة.

كان يدير عينيه لينظر إليها عندما تكون مهتمة بأمر آخر، وتجهم قلقٍ بسيط قد يغضن جبينه. كانت نظرته حينها تدل من دون خجل على الاهتمام والحماية، نظرة والد يراقب طفلته.

وجدت لورا نفسها تناظر بطريقة متناقضة؛ لربما اخطأت قليلاً في حكمها عليه بالنسبة إلى علاقته بجانين. وفي الوقت نفسه، أخذت تتساءل، برغم أنها ابعدت الفكرة على الفور، إذا نظر إليها يوماً في ما مضى بنفس الطريقة.

جرت المحادثة بسهولة بين الثلاثة، كما الشراب الذي

هضم الطعام اللذيذ والوفير، الذي وضعته آنا أمامهم.

استرخت جانين إلى الوراء على كرسيها وهي تضحك، بعد أن تناولوا صحون الحلوى، وقالت: «سأنفجر! لم اكل هكذا في حياتي!»

وضعت لورا فوطة الطعام جانباً وقالت: «وأنا أيضاً، كان ذلك رائعاً! لا اعتقد أني تذوقت طعاماً لذيذاً من قبل، كطعام آنا!» ونظرت نحو فالكو، الذي حدث أنها لم تتبادل معه لأول مرة أي كلمة قاسية وسألته: «أين وجدتها؟ هل كانت في المنزل؟»

أجابها: «تقريباً. ما عدا انها كانت تخطط للرحيل. كانت وزوجها ينويان العودة إلى البر. لكن بعد أن تذوقت طعامها. كنت مستعداً لأن ادفع لها الأجر الذي تريده لاقناعها بالبقاء.»

نظرت لورا بتجهم إليه وقالت متملقة: «لا استطيع القول إني الومك. من الأفضل أن تأخذ حذرك. فستتحول إلى رجل سمين جداً ان اكلت هكذا كل يوم!»

تدخلت جانين على الفور لتصحح لها قولها قائلة: «آه، فالكو محظوظ فليس لديه تلك المشكلة. فهو يستطيع أن يأكل بقدر ما يريد دون أن يزيد وزنه غراماً واحداً.»

كادت لورا أن تقول نعم اني أتذكر. لكنها امسكت نفسها في الوقت المناسب، برغم أن الفكرة قد اربكتها، فقد عاودتها للحظة ذكريات الماضي. الماضي الذي يحاول باستمرار جرّها للوقوع في قبضته.

وبجهد عادت بنفسها إلى الحاضر، اتكأت إلى الوراء على الكرسي ونظرت في ارجاء الغرفة وقالت: «اتعرف، إن

هذه الغرفة رائعة. إنها متناسقة تماماً. إني سأتمتع حقاً في تزيينها.»

نظر فالكو إليها وهو يبتسم بفضول وقال: «إذاً، كنت تفكرين بالعمل بينما كنا نأكل؟ هل توصلت إلى أية افكار جيدة؟»

أجابته: «واحدة أو اثنتان.»

قال مبتسماً: «بما فيها تلك الطاولة المستطيلة؟»

أجابت: «آه، نعم، الطاولة المستطيلة مهمة جداً.»

قالت لورا ذلك وكأنها تعنيه فعلاً، مع أنها فعلياً خطر لها في أكثر من مناسبة خلال المساء أن طاولة ديمقراطية مستديرة كانت تناسب طابع هذه الأمسية أكثر.

قالت لنفسها إنها مجرد أمسية. هذه الأمسية الرائعة الخادعة، هي من بين كل الناس يجب أن تعرف أنها خادعة. ويوجد خلف ذلك كل فظاظة آل روث التي يتميز بها والده البغيض.

الأمر الآخر الذي صدمها كونهما يتبادلان محادثة خاصة أخرى، الأمر الذي لم تتنبه له جانين. وقد جعلها ذلك تشعر بالذنب وبأنها كانت تتواطأ مع عدم حساسيته.

استدارت إلى جانين وتعمدت تماماً أن تسألها: «كيف ترغبين في أن تكون هذه الغرفة، لو أنك كنت تتولين تزيينها؟»

فرفعت جانين حاجبيها مندهشة وقالت: «أنا؟ لا تسأليني، فإني لست بارعة في أمور كهذه. ليس لديّ شيء من مواهبك. فأنا مجرد سكرتيرة.»

قاطعها فالكو على الفور قائلاً: «سكرتيرة حسنة جداً.»

وضع يده على ذراع جانين وبدت من جديد، تلك النظرة الأبوية تقريباً على وجهه ثم أضاف: «لا تستمري في التقليل من تقييم نفسك. فلديك الكثير من المواهب. لا تنسي ذلك.»

كانت طريقته في الاسراع للدفاع عنها مؤثرة، حيث بدا في ملاحظة جانين تلميح حزين للاستخفاف بنفسها، وكان من الواضح أن دعمه لها أثار ردة فعل مذهلة في نفسها، فقد بدت ابتسامة عريضة على وجهها وهي تدفع له بقبلة في الهواء عبر الطاولة.

قالت وهي تقهقه: «حسناً. إن كان هذا رأيك يا فالكو.»

استقامت لورا في جلستها على مقعدها وقد أخذتها الحيرة. إن موقفه من جانين متناقض جداً. فقد كان في بعض الأوقات غير مكترث، تقريباً، لا يشركها في المحادثات، ثم يغمره فجأة الحنان لدرجة تسلب الأنفاس.

قررت. أنه لغز محيّر. لكن ليس بالنسبة إليها. المسكينة جانين المتيمة به كانت أكثر من مبتهجة به.

دخلت آنا، في تلك اللحظة، وهي تحمل صينية عليها فناجين القهوة ورسالة شفوية.

قالت لفالكو: «هناك شخص يريد محادثتك على الهاتف، إني آسفة لم استطع أن أعرف من هو.»

قال فالكو: «لابأس، سأجيبه.» ونهض على قدميه. وقبل أن يغادر الغرفة توجه بكلامه إلى لورا وجانين قائلاً: «طلبت من آنا أن تحمل القهوة إلى الفناء. خذا راحتكما، وسأنضم إليكما بعد قليل.»

ابتسمت لورا قدر ما استطاعت وقالت: «لديه لحظاته.»

وتناولت كأسها الذي ما زال يحوي نحو نصفه من الشراب، واتجهتا هي وجانين نحو الفناء، حيث كانت آنا تضع فناجين القهوة على احدى الطاولات الحديدية البيضاء. ثم فجأة، اضافت بفضول: «منذ متى تعرفين فالكو؟»

أجابتها جانين وهي تقهقه: «منذ شهرين تقريباً، ليست مدة طويلة.» ثم تكلمت بجدية قائلة: «لكنه غيّر حياتي كلياً. معرفة فالكو هي أفضل أمر حصل لي.»

«ذلك مجرد ادعاء تقولينه.»

«أعرف، لكني أعنيه. فالكو قلب حياتي رأساً على عقب.»

ترددت لورا متسائلة إن كان عليها أن تتلفظ بأي تحذير. فتعلّق الفتاة بفالكو خطر بكل ما في الكلمة من معنى. لكن قبل أن تقرر، ظهر فالكو عند مدخل الباب، حيث قال: «جانين، إن المكالمة لك.»

بينما كان يقف هناك، يومىء إليها. كانت جانين تسرع نحوه. وعندما اقتربت منه، أمسك ذراعها وهمس بشيء ما في أذنها، شيء محبب، كما أوحت المظاهر، فقد ابتسمت ابتسامة عريضة، طوقت رقبته بذراعيها فقبلته بحرارة قبل أن تسرع لتجيب على المكالمة الهاتفية.

فكرت لورا باستهزاء وهي ترشف قليلاً من شرابها بأنه مجرد حلم حب قصير.

شعرت، أن فالكو لم يكن متنبهاً لها وهي تراقبه. فقد كانت تنظر إليه من طرف عينيها، لكنها استدارت الآن لتواجهه وقد خرج إلى الفناء ويداه في جيبي سرواله، خطاه خفيفة، وواثق من نفسه كما هو عادة.

شكر آنا وهي تعود إلى الداخل، ثم اقترب ووقف أمام لورا وقال لها: «لم أحظ بفرصة لأجاملك، لكنك تبدين، ان سمحت لي بقول ذلك، فاتنة جداً هذا المساء.»

قالت لورا: «حقاً؟» ولم تكن لهجتها تدل على الاستحسان، وفكرت أنه لم يحظ بفرصة ليجاملها لأن صديقته كانت إلى جانبه طوال المساء.

نظر في عينيها وقال: «أجل، ذلك اللون يناسبك ولطالما فضّلت أن ترتدي اللون الأزرق.»

شعرت لورا بالغضب يتأجج في داخلها على قوله رأيه هذا دون خجل. فأجابت بحزم: «لو تنكرت ذلك لارتديت اللون الأحمر عوضاً عن هذا.»

مما أثار انزعاجها أكثر، أنه ابتسم ببساطة وتابع النظر في عينيها. ثم تحرك قليلاً وقد ضاقت عيناه السوداوان وقال: «تعرفين. لم تجيبي عن سؤالي بعد.»

احتارت لورا فعلاً للحظة وتجهمت ثم قالت: «أي سؤال لم أجب عنه؟»

نظر في عينيها وقال: «السؤال الذي سألتك إياه سابقاً.» توقف للحظة ثم تابع: «أخبريني الآن من هي بيلي؟»

حلّ محل الحيرة، للحظة، توتر أعمى وتجمدت لورا في مكانها وقالت بصوت مرتفع: «لا أحد.»

أجابها: «لا يمكن أن تكون لا أحد.» وكانت عيناه السوداوان ما زالتا تنظران في عينيها وقد بدت تعابيرهما غامضة لا يمكن قراءتها عندما أضاف: «لقد سمعتك تتحدثين عنها على الهاتف.»

إذاً، هكذا استطاع أن يعرف بوجود بيلي! فقالت: «كنت

تسترق السمع إلى مكالماتي الهاتفية!» وفي دفاعها اتجهت لورا إلى الهجوم وأضافت: «أي عمل رخيص تقوم به! ألا تخجل؟»

بقي هادئاً أمام هجومها وقال: «حدث ذلك عفوياً، فالخطوط تتداخل أحياناً وهذا ما قد حدث في اليوم السابق عندما رفعت سماعة الهاتف لأجرى اتصالاً هاتفياً. لم أستمع إلى الكثير فقد أعدت السماعة إلى مكانها في الحال، لكني سمعتك تقولين: «كيف حال بيلي؟ هل هي بخير؟»

توقف، وبدت عيناه السوداوان تحاولان الغوص في داخلها. ثم تابع: «كان هناك نوع من الاهتمام في صوتك مما جعلني أتساءل من هي بيلي؟»

قالت: «لا أحد. قلت لك. لا أحد يثير اهتمامك.» كانت نبرة صوتها قاسية برغم الارتياح الذي غمرها. كانت محقة في أنه لا يعرف من هي بيلي، ولا حتى إن كانت ابنتها أو كانت ابنته! إنه كان ببساطة يتجسس على خصوصيتها في محاولة لإلحاق الهزيمة بها.

كررت قولها: «من هي، أمر لا يعنيك.»

كان ما زال يراقبها فقال مبتسماً: «ما من حاجة لإثارة غضبك لذلك. كان مجرد سؤال بريء.» ثم قام فجأة بما لا يمكن غفرانه. مد يده ليمسك بذراعها.

وصدمتها الحرارة المفاجئة في يده، مما جعل جلدها يقشعر وقلبها يقفز بجنون، فقد بدا ذلك وكأنه أشعل انفجاراً لا يمكن إيقافه في داخلها.

سحبت لورا ذراعها بعيداً وحدقت به بغضب قائلة: «ألا تخجل أبداً؟ تضع يدك على امرأة أخرى في اللحظة التي

تختفي فيها فتاتك عن الأنظار؟» وأخذت نفساً غاضباً وتابعت: «لو تعرف فقط كم أحتقرك؟»

ثم، ولدهشتها بقدر ما هو لدهشته، رمت محتويات كأسها في وجهه، ووضعت الكأس الفارغة على الطاولة وكالعاصفة هرعت إلى داخل المنزل، وقد غمرتها موجة من العواطف، ولم تعد متأكدة مما كان يدفعها للهرب.

www.elromancia.com

الفصل السابع

بعد ذلك الانفجار المتكلّف في فناء الدار، قررت لورا أن تتجنّب رؤية فالكو لمدة.

خلال الأيام القليلة التالية، عندما لم تكن تطوف في المنزل لتضع رسوماً كثيرة وتدوّن باختصار أفكارها، أو تقوم في نزهة على الدراجة التي، قال فالكو انها تستطيع استعارتها، كانت تمضي ساعة استرخاء على الشاطىء مع جانين. أو تنضم إليها لتحتسيا شراباً بارداً في الشرفة.

كانت جانين موجودة دائماً تقريباً عندما كانت تحتاجها. موجودة ووحيدة. فقلما كان فالكو معها.

في ظهيرة احد الأيام وبعدما استلقتا على منشفتي سباحة على الشاطىء، بعد أن خرجتا من البحر، سألتها لورا بجذل: «ألا يهملك قليلاً؟» لم تكن ترغب في اغضاب جانين أو في جعلها تشرع في الإحساس بعدم الأمان، لكن الوقت الوحيد تقريباً الذي تريان فالكو هذه الأيام كان خلال تناول وجبات الطعام.

لكن جانين بدت غير مهتمة. فأجابتها: «آه، لديه أعمال يقوم بها.» وبابتسامة هادئة أخذت تفرك قليلاً من زيت البحر على ذراعيها.

سألتها لورا: «ألا يستطيع أن يصطحبك معه؟» وفكرت: لو انه كان صديقي، لما كنت متفهمة هكذا ليتركني وحيدة هذا الوقت كله.

هزّت جانين رأسها وقالت: «إنها رحلات عمل في معظمها. إذا اصطحبني معه، فإني سأعيقه عن عمله.» ثم تطلعت تانك العينان البريئتان الرماديتان إلى المحققة معها وقالت: «فالكو يعرف ما هو الأفضل. ولا أستطيع أبداً اتهامه بإهمالي. إنه رائع معي، وأنا أحبه كثيراً.»

لم يكن هناك جوابعلذلك. رفعت لورا كتفيها بلا مبالاة وغيّرت الحديث. لكنها شعرت من جديد بتلك الوخزة من القلق. ان جانين حقاً في خطر محدق.

«اعتقدت انك ستبقين في الأعماق إلى الأبد. وكنت أتساءل ان كان عليّ أن أغطس وأصطادك.»

قالت لورا: «يا لك من شهم.» وهزت لورا رأسها الذي يتقطر ماءً ونزعت انبوب الهواء من فمها. وحدقت في فالكو من وراء زجاج قناع الغطس باستياء شديد، وعيناها تبحثان لترى ان كانت جانين برفقته. لكنه كان وحيداً، يا إلهي. في الحال اشتمت لورا رائحة المتاعب.

بقيت حيث كانت، تتمايل في البحر بينما جلس فالكو يراقبها من مكانه على الصخر.

قال: «كنت ماراً من هنا ورأيت دراجتك. ومن ثم رأيت ملابسك وأغراضك على الصخرة. ففكرت أن أبقى لأعرف ماذا تفعلين.»

ماراً من هنا، شيء مؤكد! على الأرجح انه جاء يبحث عنها وهو عازم على افساد يومها. هذه الزاوية الحجرية على بعد أميال من الدارة، وبتعبير أصدق، انها في الجهة المقابلة من الجزيرة. فقد قادت الدراجة نحو ساعة حتى وصلت إلى هنا.

قالت له: «ما أنا بصدده هو جمع بعض الأصداف من قاع البحر.» قالت ذلك واندفعت نحو حافة الصخرة وأفرغت يدها الملأى بما جمعته إلى جانب ما جمعته سابقاً في حفرة ضيقة على صخرة ناتئة صغيرة.

كانت حريصة، بينما كانت تقوم بذلك، أن تتجنب لمس قدم فالكو البرونزية اللون والتي كان يضعها على بعد بوصة أو اثنتين فقط.

انحنى ليلقي نظرة على مجموعتها وقال: «جميلة جداً، هل هناك من سبب خاص لجمعها؟»

«في الحقيقة هناك سبب.»

أحست لورا انها مقطبة الجبين بينما كانت تنظر إليه من خلال زجاج قناعها. كان يجلس هناك مرتدياً قميصاً وسروالاً لونهما أبيض. وهو يعرف تماماً كم يضايقها وجوده، والحكم من خلال تعابيره، انه يستمتع تماماً بإزعاجها. استبدت بها رغبة في أن تقول له: اغرب عن وجهي، لكن ذلك بدا غير ملائم. انه يملك هذه الجزيرة وهذه الصخرة وله كل الحق في أن يكون هنا.

قال وهو يبتسم: «هل ستخبرينني ما هو السبب الكامن وراء مساعيك هذه؟ أم عليّ أن أخمّن؟» نعم، إنه يستمتع كثيراً بهذه المسألة.

هزت لورا كتفيها بلا مبالاة، وكانا الجزء الوحيد من جسمها الذي رفعته من مياه البحر الزرقاء، وأجابته قائلة: «سأخبرك. فذلك ليس بسر. إنها فكرة خطرت لي. أن أضع فسيفساء من المرجان وأصداف البحر على المدخل المؤدي إلى الدارة.

بدا فالكو مفكراً للحظة ثم قال: «قد يبدو ذلك رائعاً فعلاً.»

قالت: «فكرت أنه قد يكون مناسباً، خاصة في قاعة الدخول. نوع من التزاوج بين الداخل والعالم الخارجي.»

«أعجبتني الفكرة.»

قالت: «لست متأكدة من أن الفكرة ستنجح.» شكراً لاستحسانه الفكرة لأن لورا كانت قد بدأت تشعر انها ستتخلى عنها.

قال: «ما علينا الا أن نحاول ذلك ونرى.»

قالت: «نعم، ذلك ما كنت عازمة عليه.» استعماله لكلمة «نحن» جعلها تشدد على كلمة «كنت.» عرفت ان ذلك عمل طفولي، لكنه أثارها بهذه الطريقة.

ساد صمت بينهما، وتابعت لورا تمايلها في الماء. بينما اتكأ فالكو إلى الوراء على الصخرة. وهو يراها من خلال جفونه وقال: «لا تكترثي لوجودي وتابعي ما كنت تقومين به.»

قالت له: «إني أتساءل فقط عن سبب وجودك هنا. ان كنت تريد أن تحدثني في أمر ما، يمكننا القيام بذلك، ومن ثم يستطيع كل منا اكمال عمله.»

أجابها: «قلت لك كنت ماراً من هنا فقط.»

قالت: «وقررت أن تتوقف لتتحدث معي قليلاً؟ حسناً، إني مشغولة كما ترى. وليس لديّ متسع من الوقت للتحدث.»

«إذاً، سأكتفي بالجلوس هنا ومراقبتك. الأمر سيّان عندي. إلا إذا كان عندك أي اعتراض؟»

تنهدت لورا، وعدّت بتمهل حتى العشرة وحاولت تهدئة نفسها.

قالت، بهدوء: «يبدو ذلك مضيعة لوقتك.»

مدّ ساقيه الطويلتين واسترخى إلى الوراء ليرتاح أكثر، وكأنه كان يخطط لجلسة طويلة وقال: «إنه وقتي الذي أضيعه، بالإضافة إلى أن وقتاً طويلاً قد مضى على اجتماعي بك بمفردك.»

قالت لورا بنفاد صبر: «لا بد ان ذلك يحطم فؤادك.»

«يبدو انك تمضين معظم وقتك مع جانين هذه الأيام.»

«عندما لا أكون أعمل، فقط.»

«يبدو أنه قد أصبح بينكما نوع من الأخوة.» وشدد على تلك الكلمة الأخيرة بسخرية.

تجاهلت لورا سخريته، وقالت: «إنها الوحيدة الموجودة دائماً هنا.»

قال: «حتى خلال أوقات تناول الطعام أنت تلازمينها. لقد بدأت أتخيل انك تحاولين تجنبي.»

تجهمت لورا للحظة، رافضة اتهامه بأنها تفضل الجلوس مع جانين، لكنها بالتأكيد لا تلازمها!

برغم ذلك، لقد كان على صواب في قوله أنها تحاول تجنبه. قالت: «هل هناك من سبب يمكنك التفكير به يجعلني أبحث عن رفقتك؟»

«لتعتذري ربما؟»

«اعتذر عمّ؟»

«لاتلافك قميصي واحدى ربطات العنق المفضلة لديّ.»

اتقد وجه لورا احمراراً، برغم ذلك شعرت انها غير راغبة في الاعتذار. إيماءة متكلفة كهذه، كرمي الشراب في وجوه الناس، لم تكن عادة من طبعها، لكنه استحق ذلك التلميح

الوقح، في اللحظة التي غابت فيها جانين عن الأنظار، مع أن هذا التصرف كان مرفوضاً منها.

كل ما قالته كان: «هل أتلفتهما حقاً؟»

قال: «ذاك الشراب من الصعب إزالته عن الملابس.» ثم حدق بها للحظة وأضاف: «إذاً، انك حقاً تشعرين بالسخط على أمور كهذه؟»

«هل تعني، بشأن عدم الاخلاص؟»

هز رأسه إيجاباً وقال: «تماماً.»

«نعم، أشعر بالسخط الشديد بالطبع.»

ثم سادت لحظة أخرى من الصمت، ضحك بعدها ساخراً وقال: «أمر مضحك، كدت أن تخدعيني.»

قالت: «ماذا من المفترض أن يعني هذا؟» وشعرت بالدم يحتقن في وجهها. كان على وشك التلميح إلى تلك الحادثة في المكتبة.

لكنه أخذ يرمي إلى أفكارها ما هو أبعد من ذلك عندما قال: «ذلك يعني كما أشرت إليك في السابق، ذات مرة لم تكوني شديدة الحساسية. لقد ذهبت بسرعة منذ ثلاث سنوات إلى رجل آخر بمجرد أن غبت عن عينيك.» وأخذت عيناه تحدّقان في عينيها، متهمتين وغير غامزتين وأضاف: «إذاً، لا تحاولي أن تخبريني عن مبادئك الرفيعة!»

شعرت لورا بغثيان في معدتها، جعلها تبدو كالقذارة. لم ينته منها بعد. وبوجه قاسٍ، تابع اتهامه لها: «ولا تضيعي وقتك في اخباري كم تحتقرينني! لقد أعلمتني بذلك، عندما أخذت المال من والدي. لم أكن أعرف مطلقاً انه يمكنني احتقار أي إنسان كما احتقرتك لعملك ذلك.»

أغمضت لورا عينيها متمنية لو أنها تستطيع الغوص في الماء والغرق. أي شيء تفعله لتهرب من تلك النظرة التي بدت على وجهه، وشعرت فجأة ببرودة وبشحوب وجنتيها وقد انفرجت شفتاها عن بعضهما يناشدانه بصمت أن يتوقف.

لكنه لم يفعل وقال: «كيف يمكن أن تشعري؟» وكان غضبه وكرهه لها ينبعثان من كل ملامحه، وأضاف: «كيف تشعرين عندما تعيشين طوال حياتك وأنت تعرفين انك من الأشخاص الذين قد يفعلون أي شيء من أجل المال؟»

لم تعد لورا قادرة على الاصغاء إلى كلماته، فأخذت تسير مجذّفة إلى الوراء، بعيداً عنه، إلى البحر، وقد أحرقت عيناها الدموع.

نهض فالكو على قدميه وأخذ يصرخ وراءها قائلاً: «كيف تستطيعين النظر إلى نفسك في المرآة، كيف تستطيعين القيام بذلك؟ الا يثير ذلك اشمئزازك؟»

أخذت لورا تسير مترنحة، باهتياج شديد، وقد غطت أذنيها بيديها. لكن، ما زالت تسمع كلماته، تلطخها بسمومها.

ثم. فجأة، شيء ما في داخلها صرخ بحدة.

تنهدت لورا بعمق وقذفت الكلمات بوجهه قائلة: «لم آخذ المال! ولا حتى قرشاً واحداً! ولا أي قرش لعين! هل تسمعني؟»

ثم أخذت تتأرجح بعيداً قاذفة بنفسها في الأمواج مندفعة بقوة نحو الأفق وكأنها جنت. كانت الدموع التي تنهمر من عينيها دافئة ومالحة، تمتزج مع مياه البحر الباردة والمالحة.

كان في امكانها السباحة إلى ما لا نهاية. حتى يصاب جسدها بالارهاق ولا تعود قادرة على القيام بحركة أخرى لتسبح.

لكن فجأة برغم إرادتها، أجبرت على التوقف، وقد جذب جسدها لتواجه عينين سوداوين لامعتين.

أمسكها فالكو بقوة وكأن اخطبوطاً قد أمسك بها وقال: «ماذا قلتِ؟»

لم تكن قادرة على الكلام من شدة البكاء. فهزها ثانية بقوة، قائلاً: «ماذا قلت؟ ألم تأخذي المال؟»

هزت لورا رأسها بيأس. شعرت بالخدر من شدة الحزن وقالت: «ولا قرش واحد! ما كنت لألمسه. ما لمست أموال والدك القذرة!»

كان ما زال يمسكها وعيناه السوداوان بنظراتهما الثاقبة تحدقان فيها وقال: «هل تعنين ذلك؟ هل أنت جادة؟ هل تقولين الحقيقة؟»

أجابته: «لِمَ لا تصدقني؟ ماذا تعتقدني؟» واختنق صوتها في حنجرتها وكبتت شهقة ثم أضافت: «كيف يمكنك أن تصدق أمراً كهذا عني، حتى ولو لدقيقة واحدة؟»

كانت ذراعاه تطوقانها، تمسكانها، تشعرانها بالراحة، وتجذبانها نحوه بكل الحنان الذي في العالم.

قال بصوت أجش من العاطفة: «إني أصدقك، إني أصدقك، يا لورا. إني أصدق كل كلمة.»

سألته: «حقاً؟» وهي تنظر إليه، وقد بدا الانفعال المضطرب على وجهها. فقد أصبح فجأة قوله الحقيقة أمراً مهماً بالنسبة إليها.

مسح الدموع عن وجهها وضمها إليه للحظة وقال: «صحيح يا حبي. صحيح. ولم يحدث ان كنت سعيداً في يوم من حياتي، لأني مخطىء.»

قالت لورا، وقد ابتسمت عندها شبه ابتسامة: «يا لهذا الاختلاف منك.» وأحست فجأة بخفة غير اعتيادية وكأن عبئاً ثقيلاً قد أزيح عن كاهلها. وفجأة، أيضاً، تنبهت لذراعي فالكو تطوقانها، وإلى السروال والقميص اللذين ما زال يرتديهما.

ضحكت ضحكة متوترة وقالت: «لقد سبحت وأنت ترتدي ملابسك!»

لكنه ضمها إليه ببساطة وقال: «لماذا لم تخبريني من قبل؟ لِمَ كان عليّ أن أعرف ذلك منكِ بالقوة؟ هل ذلك هو ما كنت تعتزمين اخباري اياه عندما كتبت لي تلك الرسالة؟»

شعرت لورا بقلبها يتخبط بمزيج من العواطف. جزء منها كان يتوق فجأة لاخباره بكل شيء. لكنها أجابته ببعض الحقيقة قائلة: «نعم.»

تنهد فالكو بعمق وكأن هذا الاعتراف آلمه. فضمها إليه بقوة وقال متمتماً: «إني آسف، أعذريني.»

كانت كلمات لم تحلم حتى في سماعها. وعلى نحو غير متوقع ملأت هذه الكلمات قلبها حتى غمرته.

وبتنهيدة طوقت لورا ذراعيها حول عنقه وقالت: «آه. فالكو! فالكو!» وكأنها تتلو أنشودة وهي تهمس باسمه.

تراجع إلى الوراء ليحدق بها وقال: «لورا... حبيبتي لورا... كان عليّ معرفة ذلك. كان يجب أن أعرف ذلك دون أن تخبريني. إنك ما كنتِ أبداً لتأخذي المال.»

«لا، كيف كان في امكانك معرفة ذلك؟»

هزت رأسها وصمتت. فجأة بدت كل الكلمات في العالم غير ضرورية. فقد بدا في تلك اللحظة، بينما كانا يتمايلان في المياه المتموجة الزرقاء، يحدقان ببعضهما، ان شيئاً ما قد محا كل الأحداث التي مرت بينهما وتخطى وفاق الحاجة إلى التفسيرات.

حدث ذلك عندما حنى فالكو رأسه نحو رأسها وقبلها بكثير من الحب.

في ما بعد، بدا تذكر تلك اللحظة السحرية وكأنه سكاكين تقطع نياط قلبها. وعرفت لورا انه قدر لها حتى يوم مماتها، أن تتذكر ما حدث بوضوح وبكل تفاصيله الحميمة.

لقد كانا غارقين في عناق حميم. كل منهما قد افتقد الآخر كثيراً، يضحكان حتى البكاء تقريباً، وكأنهما قد أصبحا فجأة الشخصين الوحيدين في العالم.

أخيراً قال فالكو، وقد ضمها إليه: «هذا جنون! سنغرق كلانا ان تابعنا على هذا المنوال!»

وضعت لورا وجهها على صدره وقالت وهي تضحك: «لا أحفل بذلك!» كانت تفكر: على الأقل، سأموت سعيدة!

قال: «حسناً، إني أحفل، تعالي.» طوقها بذراعيه وسحبها نحوه ثم أخذ يجذف عائداً بها نحو الصخور وهو ممسك بها وكأنه يطفو. وتمتم مضيفاً: «لن أخسرك الآن.»

كانت الصخرة دافئة عندما خرجا من الماء، وشمس بعد الظهر متلألئة ودافئة بأشعتها فوق ظهريهما. استلقت لورا على المنشفة التي وضعتها على الصخرة في وقت مبكر

وأخذت تراقب، وقد غمر قلبها التساؤل والإثارة، بينما كان فالكو ينزع ثيابه المبتلة حتى وصل إلى سروال السباحة الأزرق.

أي رجل رائع فعلاً هو، بجسمه النحيل القوي! هذان المنكبان العريضان وقد حولتهما أشعة الشمس إلى لون البرونز، وذلك الظهر الأملس المتماوج وتانك الساقان الصلبتان. إن مجرد النظر إليه جعلها ترتجف سروراً. وهي تتخيل كيف تلاصق جسده بها منذ قليل.

وضع قميصه وسرواله المشبعين بالماء جانباً ليجفا، ثم استدار لينظر إليها وقد شاب ابتسامته قليل من التجهم.

بينما كان يستلقي على المنشفة إلى جانبها قال لها بسخرية صارمة: «حان الآن وقت الأسئلة والأجوبة، ولن تغادري هذه الصخرة حتى أكتفي.»

ابتسمت لورا له بسعادة. كانت ترغب في إخباره بكل شيء حتى تزيل كل ما في صدرها، حتى انها رغبت في اخباره عن بيلي. لكنها قررت أن تبقي ذلك الاعتراف حتى النهاية. ستقدمه له كهدية، فور تسوية كل الأمور الأخرى.

كان فالكو منحنياً نحوها، ينظر إلى وجهها، إلى العينين السوداوين برموشهما الحريرية الكثيفة السوداء وقد امتلأتا بفضول محب وجاد.

أزاح خصلة من الشعر الرطب عن وجهها ولثم مكانها وقال: «إذاً، لم تتركيني من أجل المال... لقد عرفنا ذلك.»

التقط أنفاسه للحظة ثم تابع كلامه قائلاً: «إذاً، أخبريني، لماذا فعلت ذلك؟»

نظرت لورا إلى وجهه وقد خامرها احساس من الدهشة

السعيدة. إن ذلك الحائط الذي كان يقف حائلاً بينهما في طريقه إلى الزوال. لكن قبل أن تجيبه، سألته سؤالاً هي بدورها.

«لماذا كنت متأكداً جداً من أنني أخذت المال؟»

تنهد فالكو وهز رأسه ثم قال: «لقد أراني والدي برهاناً على ذلك. لقد أراني نسخة عن الشيك الذي أعطاكِ إياه.»

لم تفكر بذلك أبداً. قطبت لورا حاجبيها تجهماً وقالت: «من المؤسف أنه لم يخبرك ان الشيك الذي أخبرك عنه لم يقبض أبداً. لقد مزقته فوراً هناك في مكتبه ورميت القصاصات في وجهه.»

كانت لحظة، استجمعت فيها لورا تلك المرارة في تلك اللحظة المتهورة، عندما حصلت أخيراً على فرصتها لتعبّر بتلك التنهيدة المريرة عن الاشمئزاز والاحتقار اللذين شعرت بهما دائماً تجاه أوسكار روث. كم سرتها رؤية تعابير الصدمة عليه. لقد بدا وكأنه يتشوق إلى أن يلوي رقبتها.

«تعنين أنه استدعاك إلى مكتبه وقدم إليك المال كي تتركيني؟»

«نعم.»

«ورفضت أنت ومزقت الشيك؟»

ضحكت لورا ضحكة مريرة وقالت: «لقد وصل أخيراً إلى شيء لا يمكنه شراءه بالمال. لم يكن ليصدق ذلك. خيل إليّ أنه سيجن.»

تنهد فالكو وقال: «يمكنني تصور ذلك.» ثم ابتعد عنها للحظة، فأدار رأسه وحدق نحو السماء.

راقبت لورا مظهره الجانبي العابس. ماذا كان يجول في

رأسه؟ هل شعر بعدم الارتياح لكلماتها القاسية عن والده؟

ثم استدار ثانية لينظر إليها، وعيناه السوداوان تحاولان أن تخترقاها وقال: «لكنك تركتني على أي حال. حتى من دون مال، لماذا؟ ذاك هو السؤال الذي أريد حقاً أن أعرف جوابه؟»

أخذت لورا نفساً عميقاً وقالت له: «لقد هددني.»

تصلب جسم فالكو وسألها: «أي نوع من التهديدات؟»

أجابته: «تهديدات ضد والدي. لقد هددني بأنه سيحطمه إن لم أقطع علاقتي بك.»

نظر إليها فالكو ثانية وقد ذهل بشدة وقال: «ماذا؟ كرري ذلك. اشرحي لي ماذا تعنين بالضبط.»

بدأ قلب لورا يخفق بقلق في داخلها. لقد حصل كل ذلك قبل ثلاث سنوات، وبرغم ذلك بقي في داخلها ولم تتحدث أبداً بذلك إلى أي مخلوق آخر.

قالت: «الأمر بسيط جداً، هددني والدك بأن يطرد والدي إن لم أقطع علاقتي بك، رغم ان والدي في ذلك الوقت، كان قد أمضى خمساً وعشرين سنة في خدمة شركة روث.»

أوما فالكو برأسه وقال: «إنه كهربائي من الدرجة الأولى، كما أذكر.»

قالت: «إنه الأفضل. ولسوء الحظ، فقد كان يعاني من ضعف في القلب، برغم ان ذلك لم يؤخره أبداً عن القيام بعمله وكان قد تعدى الخمسين من العمر. عندما حصل كل ذلك.» وابتلعت رضابها. هذه الذكريات المؤلمة جعلت حنجرتها تجف. ثم، وبينما كان فالكو يربت على شعرها بأصابعه، ليخفف عنها بلطف تابعت قائلة: «ولم يكتف

والدك بالتهديد بطرده... بل أقسم على انه سيتأكد من ان والدي لن يعمل من جديد.»

توقفت أصابع فالكو. وقد بدت نظرة غاضبة في عينيه وقال: «هل أنتِ جادة؟ لا أستطيع تصديق ذلك. ما تقولينه لي أمر فظيع!»

قالت: «فظيع، لكنه صحيح.» وقد اضطرب قلبها في صدرها. كانت تعرف انه سيجد صعوبة في تقبل ذلك.

ابتعد عنها وهو يتنهد ليستلقي على ظهره إلى جانبها، وأخذ يحدق في السماء، الأمر الذي جعل لورا غير قادرة على رؤية عينيه.

تابعت: «عرفت أنه عنى ما قاله. وعرفت ان عليّ أخذ ذلك على محمل الجد، بالإضافة إلى انه لم يكن في مقدوري الوقوف جانباً ومراقبة والدي وهو يرمى على كومة خردة. فقد كان ذلك ليقتله. فهو رجل فخور ومحترم لنفسه.»

تبع ذلك صمت عميق وقصير قال فالكو بعده بهدوء: «لماذا لم تخبريني؟ لماذا لم تخبريني في الحال؟»

«لم أستطع. فقد توعدني والدك، بأنه إذا أخبرتك، سيتجه فوراً إلى والدي ويطرده. على أي حال لقد كانت مسألة ميؤوساً منها. فلم يترك لي مجالاً للحراك. لم يكن لديّ الخيار سوى الإذعان لرغبات والدك.»

قال، وقد بدا غاضباً: «كان يجب أن تخبريني! كان عليك اخباري عما كان يجري بحق جهنم!»

نهضت لورا لتنظر إليه، وقالت: «وماذا كان في استطاعتك أن تفعل؟ لو انك تواجهت مع والدك، لكان عرف أني أخبرتك ولكان والدي فقد عمله. لم يكن هناك ما

تستطيع القيام به لتمنع ذلك. والدك كان الرئيس المسؤول عن العمل. وفي امكانه القيام بما يريده.»

قطع فالكو عهداً وأغمض عينيه للحظة وأخذ يتنفس بعمق وعلى مهل ليخفف من غضبه. ثم مد أصابعه وأمسك بأصابعها.

قال: «إذاً، فقد أذعنت للأمر وكتبت لي تلك الرسالة وغادرت إلى لندن تاركة كل شيء وراء ظهرك؟»

قالها وكأن الأمر كان سهلاً للغاية، كإقفال صنبورة المياه. لو عرف فقط، أن هذا الانفصال القسري كاد يقتلها.

تمتمت وقلبها يعتصر ألماً: «لم يكن عندي خيار آخر.»

حدق في وجهها. وقد بدت عيناه السوداوان المعذبتان تشقان طريقهما إلى مؤخرة رأسها.

ثم، وبتنهيدة ملؤها الأسى، سحبها نحوه وقال: «أنت على حق، أنتِ لم تفعلي ذلك. بالطبع، أنتِ لم تفعلي ذلك.»

للحظة عاطفية طويلة عانقها بحرارة وقد التفت ذراعاه بقوة حولها ويداه تربتان على ظهرها. شعرت لورا بضربات قلبه القوية.

ثم ابتعد قليلاً، لكنه ما زال يمسكها، وبنظرة متجهمة نظر إلى وجهها.

سألها: «إذاً، ما الذي تغيّر؟ لا بد وان شيئاً قد تغيّر حين كتبت لي تلك الرسالة. ما كنت لتكتبيها لو انك كنت ما تزالين خائفة تجاه عمل والدك.»

أومأت لورا برأسها بالموافقة. «نعم. كانت قد تغيرت الأمور حينها. كانت أعمالي حينها تسير على ما يرام. واستطعت أن أدخر من المال ما يكفي لأقرض والدي المال

الذي يخوله أن يبدأ العمل على حسابه، الأمر الذي طالما أراده، لكنه لم يكن يستطيع استقراض المال من المصرف لتحقيقه، فسجله الصحي لم يكن يخوله ذلك.»

تابعت: «عندما كتبت لك تلك الرسالة كان والدي قد ترك شركة روث.» وعقدت حاجبيها تجهماً. ألم يلحظ فالكو ان احد كهربائيي الشركة الممتازين قد رحل؟ لكن الآن على الأقل دفعت تلك الفكرة جانباً وأضافت: «عندها كان والدي قد أصبح في مأمن من تهديدات أوسكار. ولم يعد هناك من طريقة يستطيع والدك من خلالها المس به.»

قال: «يا لها من قصة. إنها حقاً قصة. الآن أدركت سبب الكره الذي تكنينه لوالدي.»

ولثم فالكو وجهها بينما كانا يستلقيان بهدوء معاً وكانت يداه فقط تتحركان وهما تربتان على شعرها برفق، الصوت الوحيد مقابل صوت أمواج البحر المتلاطمة على الشاطىء كان حفيف أنفاسهما وضربات قلبيهما الهادئة.

لكن وبرغم ان جزءاً منها كان يتمنى أن تستمر تلك اللحظة وتدوم إلى الأبد، وهما مستلقيان معاً وكل منهما يطوق الآخر بذراعيه. كانت لورا متنبهة إلى أن زاوية من قلبها كانت مترددة. فما زال هناك الكثير الذي تريد أن تخبره إياه. ألم تنوي أخيراً أن تخبره بكل شيء؟ وبرغم ذلك، شيء ما، حدس ما، كان يأمرها بأن تبقى صامتة. صوت في داخلها كان يحذرها لتبقي أسرارها لنفسها.

هل كان ذلك، لاظهاره عدم اهتمامه لدرجة انه لم يلاحظ ان والدها قد ترك شركة روث؟ كان ذلك تذكيراً مريراً وغير متوقع إلى أي مدى ما زال هو ابن والده!

ربما. كل ما كانت تعرفه أن الحائط الذي كان يقف بينهما قد أزيل جزئياً فقط وهكذا يجب أن يبقى.

تمسكت به، في محاولة لابعاد تلك الفكرة عنها، لأنها جعلت قلبها يتثلّج. لكنها لم تستطع إبعادها.

ثم، أخيراً، وبينما كانت الشمس تغيب في الأفق، قال فالكو: «أعتقد ان علينا أن نغادر الآن. لنعد إلى الدارة ونتاول شيئاً من الطعام.»

أخذت لورا تراقبه وهو ينهض ويرتدي سرواله وقميصه، وقد جفا الآن من الماء، وان كانا بحاجة إلى الكي قليلاً، وتنبهت لخفقة حزينة في قلبها. منذ برهة قصيرة، باختصار، بدا ان كل شيء تغيّر. بدت الشمس تشع عليهما. لكن في الحقيقة لم يتغيّر شيء.

ارتدت ثوبها فوق رداء السباحة، وجمعت مجموعتها من الأصداف وانتعلت حذاءها وتبعت فالكو إلى حيث أوقف سيارته. كان يضع دراجتها في صندوق السيارة عندما وصلت إليه.

استدار فجأة لينظر إليها، وقد ضاقت عيناه السوداوان وقال: «ما زال هناك أمر واحد. تلك الشقة التي كنت تقيمين فيها... تلك الشقة الفخمة في وسط شارع سان جونز وود. بما انك لم تأخذي المال من والدي، من أين بحق السماء حصلت على المال لدفع إيجارها؟»

برمت لورا وجهها وقالت: «تلك قصة طويلة. سأخبرك بها في وقت لاحق.»

وتسارعت خفقات قلبها عندما قالت ذلك. في الواقع لم تكن تلك قصة طويلة جداً. لقد وصلت إلى تلك الشقة من خلال

بعض الحظ الحسن. لكن ذلك الصوت في داخلها ما زال يحذرها من قول المزيد.

تركها فالكو على راحتها ورفع كتفيه بلا مبالاة وقال: «حسناً، إن كنت ترغبين بذلك فسنتركه ليوم آخر.»

ثم صعدا إلى السيارة واتجها عائدين إلى الدارة. وكانت لورا متنبهة إلى الاحساس بعدم الارتياح وهو ينمو في داخلها، وقد تاقت لتتحرر منه، تاقت لتكون على سجيتها، وانتابتها حيرة من هذا التغيّر الشديد المفاجيء في داخلها.

أخذت تعبث في الأصداف، وقد وضعتها في منديل في حجرها وكأنها تحاول أن تتحاشى التحدث إليه، ومن دون أن تفكر في ما تفعله بتقسيمها إلى مجموعات.

قالت لنفسها، إني متعبة فقط، فيما كانت تعبث بالأصداف وتقسمها. لقد كان يوماً عاطفياً مجهداً. لربما أنا بحاجة إلى قليل من الوقت لأعتاد على كل ما حدث.

لم تنتبه أبداً إلى أن فالكو يراقبها، وعندما تكلم، كان صوته هادئاً جداً وبارعاً حتى أنه ما كاد يخرجها من أحلام يقظتها.

سألها: «لِمَ كل هذه المجموعات الصغيرة؟»

أجابته لورا بعفوية، دون أن تعي تماماً ما تقوله، «هذه للصورة بالتأكيد، وهذه يحتمل استعمالها أو لا.» ثم أشارت بإصبعها بتراخ وتابعت: «وهذه سآخذها معي إلى بـ...»

شعرت وكأنها عضت على لسانها. تجمد قلبها في صدرها. وسمعت فالكو يقول بهدوء:

«أعتقد انك كنتِ على وشك القول بيلي.» توقف لبرهة ثم تابع: «أعتقد انها بيلي ذاتها التي تحدثنا عنها مساء

البارحة؟ بيلي التي زعمت انها ليست شخصاً مهماً؟»

لم تستطع لورا أن تنظر إليه. وقد تجمدت يداها في حضنها الآن. وتحول الدم في شرايينها إلى أبر.

في تلك اللحظة كانا قد وصلا إلى مدخل الدارة. وضمنت لورا انقاذاً صغيراً مؤقتاً. لأنهما بينما كانا يقتربان من الباب الأمامي، فتح فجأة وكانت جانين تسرع نحو السيارة وقد تطاير شعرها الأحمر.

قالت: «أين كنتما؟ لقد قلقت كثيراً!»

فجأة، ومن خلال الركود الذي أصابها، جفلت لورا عندما أدركت انها نسيت أمر جانين. لقد نسيت تماماً وجودها عندما كانت مع فالكو بعد ظهر هذا اليوم، على البحر مستلقية على الصخور.

لقد فهمت الآن سر الصوت الذي كان يحذرها لابقاء أسرارها لنفسها. لقد كانت غريزتها للبقاء، احساسها بالأصول، ضميرها، سمّها ما شئت. ان فالكو بقدر ما يمكن أن يخص أي إنسان، فإنه في هذه الأيام يخص جانين.

شعرت ان قلبها تحجر في صدرها. لكنها استطاعت الاحتفاظ بسرها الغالي، السر الذي يهمها اخفاءه أكثر من أي شيء. لم يكن فالكو مخبولاً. فهو شخص يمكنه وضع النقاط فوق الحروف. إنه يعرف الآن من هي بيلي. إنه يعرف أنها ابنتها.

استدارت نحوه بسرعة بقلب يعتصره الألم، قبل أن تصل جانين إلى السيارة ونطقت بسرعة الكذبة التي عرفت انها يجب أن تخبره بها.

قالت: «سألتني كيف تدبّرت دفع إيجار تلك الشقة... التي

تقع في شارع سان جونز وود... حسناً، إن الأمر بسيط للغاية. إنها تخص حبيبي. ذلك الشخص الذي رأيته معي. تاجر الأشياء القديمة ذا ربطة العنق الزاهية الألوان والشاربين اللذين يشبهان شاربي هتلر.»

أخذت نفساً متقطعاً عميقاً وأرغمت نفسها على المتابعة وقالت: «وبيلي التي ترغب في معرفة من هي، هي ابنة ذلك الرجل.»

ثم نزلت من السيارة واتجهت عائدة إلى الدارة. وقبضتا يديها مطبقتان بقوة وقلبها يكاد ينفجر في داخلها. شعرت وكأنها تسير على أرض متحركة وتنزلق إلى حفرة سوداء لا قرار لها.

الفصل الثامن

شكراً لتلك الكذبة الفظيعة اليائسة، فقد جعلت لورا تشعر بالأمان والحماية من جديد.

لأنه صدقها. فقد صدق فالكو أن والد ابنتها هو تاجر الأشياء القديمة الحقير، ذلك الذي رآه معها قبل ثلاث سنوات. شيء ما قد انطفأ في مؤخرة عينيه وقد استقرت نظرة ملأى بالألم على وجهه. إنها ليست ألماً، صححت لنفسها بسرعة. إنها أقرب إلى نظرة احتقار مروعة.

حسناً يمكنها أن تفهم ذلك. إن تلك الحماقة خلفت في نفسها هي أيضاً ما هو أكثر أو أقل من احتقار مروع. لكن أي خيار آخر كان أمامها؟ لقد خمّن أن بيلي هي ابنتها ويجب ألا يعرف أبداً أنه والدها.

خرجت لورا إلى شرفة غرفتها، وهي ترتدي رداء حمام قطنياً أبيض اللون، انحنت فوق الحافة ونظرت نحو السماء. ربما كانت تتساءل أن التضحية التي قامت بها في البقاء وقبول هذه المهمة عنده، كل ذلك كان من دون نتيجة، إنه يعرف الآن بوجود بيلي ومن أجل اخفاء ذلك عنه احبطت تهديده بالذهاب إلى لندن.

لكن لا، قررت، وكانت محقة في بقائها هنا، معرفته الآن بوجود بيلي كان أمراً سيئاً بما فيه الكفاية، لكنه لو ذهب إلى لندن وتكلم مع زملائها فقد تكون نتيجة ذلك كارثة كبيرة. ما من أحد من أصدقائها يعرف من هو والد بيلي،

لكن هناك أشخاص اعترفت لهم بأنه شخص عرفته في سوليهول.

أغمضت عينيها وتنهدت. لكنها أنقذت نفسها بتلك الكذبة المروعة. وليس فقط في ما يتضمن سر ابنتها. ففي اللحظة التي تلفظت بها ورأت ذلك التعبير على وجه فالكو، عرفت أن ذلك الحائط الذي كان يفصل بينهما، والذي كان على وشك أن يختفي، قد ارتفع من جديد، وشعرت بموجة من الراحة الشخصية المريرة والحلوة في آن معاً. فما حصل بينهما عند المغيب في هذا اليوم قد أربكها كثيراً.

لقد اقتربا جداً من... ماذا؟ المصالحة؟ تلك الكلمة بعثت بدفعة من المرارة في نفسها. إن المصالحة بينها وبين فالكو أمر لن يحدث أبداً. فقد كان بينهما الكثير من الكره، الكثير من الأذى وكثير من الخيانة، الأمر الذي يجعل احتمالاً كهذا غير ممكن أبداً حتى وإن كانت ترغب في ذلك. وهي من المؤكد لا ترغب في ذلك.

برغم ذلك لا يمكنها أن تنكر ما قد حدث عند المغيب. أمر مذهل ومنفس ألم في النفس، وكلاهما مربك جداً. فما حدث كان دليل محبة وتفهم. باختصار، لقد أزيح ستار الكره بينهما.

لقد كان بعد ظهر هذا اليوم كالأيام الخوالي، فقد شعرت عندما عانقا بعضهما البعض في حياء، وبينما كانا مستلقيين معاً على الصخور بتقارب حميم جداً وطبيعي جداً بينهما لدرجة أن مجرد تذكر ذلك الآن يجعلها ترتجف.

ولا تستطيع أن تنكر أن ذلك بدا حسناً. فقد شعرت بأمان

في داخل نفسها، بينما كانت مستلقية هناك مسترخية وواثقة بين ذراعيه، الأمر الذي لم تشعر به منذ وقت طويل جداً، منذ آخر مرة كانا مستلقيين فيها معاً هكذاً.

هل كان ذلك صحيحاً؟ لقد صدمها قليلاً ذلك الاعتراف. فقد جعلتها السنوات الثلاث الماضية تبدو حزينة وفارغة وهي لم تكن كذلك. فقد كانت مثمرة وملأى بالعمل.

تجهمت وهي تنظر نحو الظلام الذي خيّم على السماء. لقد كانت خلال تلك السنوات مكتفية ذاتياً. سنوات علمتها كيف تستطيع أن تتدبّر أمورها ببراعة دون معونة، ملتبس فيها، من رجل خائن تقريباً.

ثم تنهدت. لقد كان يتخلل بعض الأوقات نوع من الوحدة.

توقفت عند تلك الفكرة للحظة، لكنها دفعتها جانباً وأخذت تحدق بجرأة في النجوم. مهما كان الأمر الذي حثها على الاعتراف بعد ظهر هذا اليوم، إلا أنه من المؤكد ليس رغبة داخلية في تمهيد الطريق للمصالحة! إنه ببساطة الوقت حيث يجب قول الحقيقة، على الأقل ذلك الجزء من الحقيقة الذي يمكن قوله.

إنها لم تأخذ قرشاً واحداً من مال أوسكار. إنها ليست من الأشخاص الذين يمكن شروْهم. إنها تدين بذلك لنفسها. إن ذلك الأمر قد أوضح أخيراً.

تنهدت لورا فهواء الليل كان دافئاً ومنعشاً، وكأنه يلتف حولها كثوب رقيق. أخذت تحدق باتجاه البحر الداكن والمتلألىء تحت ضياء النجوم، وقررت أنها كانت محقة في اخباره ذلك.

لكن كل الأكاذيب الأخرى التي فصلتهما عن بعضهما

البعض يجب أن تبقى من أجل بيلي، ومن أجل ما حدث عند المغيب. لأن ما حدث عصر هذا اليوم يجب ألا يتكرر ثانية أبداً.

شعرت لورا بذكرى عاطفية تمسك بها. وللحظة، بينما كانت تمسك بحافة الشرفة، ألهبت الذكرى أحاسيسها وأثارت الدم في عروقها. كان في امكانها الاحساس بقبلات فالكو على وجهها، وبذراعيه النحيلتين الطيعتين الصلبتين. وذلك التوق الذي شعرت به، كان قوياً ومن المتعذر ضبطه بعدم الاستسلام كلياً له.

أحست بنوع من البرودة، الأمر الذي أعادها إلى الواقع. وكان ذلك جزءاً من السبب الذي يجب من أجله أن تحافظ على بقاء الحائط الفاصل بينهما، كي تبقي على مسافة بينهما، كي لا يتكرر حدوث جنون كهذا مرة أخرى. فقد أحست أنه كرهها لعدم اخلاصها المزعوم أكثر مما كرهها لافتراضه أنها أخذت المال من والده.

عطفاً على ذلك فإن هذا الأخير قد أضعف ثقته بها. بينما الأول كان ضربة مباشرة لشخصه كرجل. وطالما هو مستمر في اعتقاده أنها رفضته، بهذه السرعة وبهذه القساوة، من أجل حبيب آخر، حبيب أنجبت منه طفلة. فإن الحاجز الذي يفصل بينهما سيبقى قوياً وسليماً، وكلاهما هي وجانين، ستكونان بمأمن أكبر بفضل ذلك.

قطب التجهم حاجبيها عندما تذكرت كيف كانت جانين تنتظرهما بوجه قلق، عندما عادا إلى الدارة، وشعرت بالذنب. إن جانين حساسة جداً ولسوف تتحطم إن هي علمت بما كان يحدث من وراء ظهرها.

لكن ذلك لن يحدث ثانية. وأطبقت شفتيها بشكل حاسم. إنها تدين بذلك لجانين كما وأنها تدين بذلك لنفسها.

كأن فالكو قد توصل إلى القرار عينه على ما يبدو لأنه قلما تواجد هناك عندما تكون لورا موجودة، برغم أنه كان موجوداً في الدارة معظم الأوقات، في الأيام القليلة التالية.

كان يخرج من أي غرفة حالما تدخل إليها. وعندما تخرج منها كان يعاود الدخول إليها.

على الشاطىء، إن كانت لورا مستلقية لتأخذ حمام شمس، فإن فالكو يكون حينها في البحر، يركب الأمواج أو يسبح. ثم حالما تضع أصابع قدميها في الماء، كان يتجه عائداً إلى الشاطىء من جديد.

لم يعاملها بازدراء فعلي. فقد كان مهذباً جداً ليفعل ذلك. وكانا عندما يلتقيان يمران ببعضهما عند احد مداخل الأبواب أو على الشاطىء عند حافة الماء، فانه كان يومىء برأسه دائماً بتهذيب ويتوقف لتبادل كلمات قليلة.

«كيف يجري العمل؟» كانت جملته المفضلة.

كانت تجيب: «إنه يسير على ما يرام، شكراً وقد بدأت بتنفيذ بضع أفكار.»

«حسناً. إني متشوق لسماع كل شيء عنها. نادني فقط عندما تكونين جاهزة لذلك.»

تؤكد له بقولها: «سأفعل.» فيما يتجه كل منهما في طريقه.

لم تكن لورا لتطلب أكثر من هذه التدابير المقبولة. إنها تناسبها تماماً. ذلك ما دأبت على قوله لنفسها. ومع ذلك كان هناك شيء غريب يقوّض قلقه الظاهر الذي يتوافق مع

أحلامها، وتساءلت هل عليه أن يكون مجتهداً جداً بشأن ذلك؟

كان هناك تطور آخر لم تستطع إلا أن تلحظه. لقد كان فالكو يمضي الكثير من الوقت مع جانين.

أخذت لورا تراقبهما من تحت مظلتها، بينما كان الاثنان يجلسان معاً. غارقين في محادثتهما على الطوف الخشبي الصغير الذي يستعمل لأخذ حمام شمس أو لركوب البحر والذي كان مثبتاً على بعد مائتي متر داخل البحر. لقد كانا يجتمعان كثيراً مؤخراً ودائماً بعيداً عن مسمع لورا، ومهما كان الذي يدور بينهما فقد بدا حسناً بالنسبة لجانين. لقد أظهرت ثقة جديدة في نفسها وكانت ملامحها تتألق بسعادة مشرقة.

«اننا ذاهبان في نزهة للغداء.» أخبرها فالكو بالأمس فقط عندما حضرا هو وجانين إلى الفناء ليجدا لورا جالسة هناك ومعها دفتر لتدوين خططها. وأضاف: «كنت سأسألك الانضمام إلينا، لكني أرى أنك مشغولة.»

قالت: «آه. إني فعلاً كذلك. إني أحاول أن أدوّن بعضاً من أفكاري على الورق. سأحضّر لنفسي وجبة خفيفة في ما بعد.»

«هل أنت متأكدة؟»

أجابته وهي تبتسم: «متأكدة تماماً.» لا تقلق، أكدت له بعينيها، وقد عرفت جيداً اللعبة التي يلعبانها. لن أحلم في أن أتدخل في مباراتك الصغيرة السعيدة، وأنا أعرف أنك لا تريدني أن أظل على مقربة منكما!

ثم استدارت نحو جانين وقالت: «استمتعي بنزهتك.»

ضحكت لها جانين ضحكة عريضة وقالت: «سنراك لاحقاً.» ولمعت عيناها الرماديتان ببريق صادق. ولم يكن هناك أي أثر لتلك النظرات للفتاة الصغيرة الضائعة والمترددة.

شعرت لورا بالسرور لأجلها. فقد كانت الفتاة تستحق أن تحصل على فرصة.

ابتسمت لنفسها الآن، ابتسامة صغيرة ساخرة. ولقد سرها أيضاً رؤية فالكو قادراً على التصرف بلباقة. برغم أنها وجدت نفسها، تصحح لنفسها، لقد عرفت دائماً أنه كذلك. لم يكن سيئاً في كل شيء. فقد كان بعيداً عن ذلك. فقد كان ألطف وأرق رجل على وجه الأرض عندما كان يريد ذلك. وعندما كان يريد كان يملك بوفرة ما يجعل المرأة سعيدة.

وانتابها احساس غريب من جراء تلك الفكرة. مزيج من اللطافة والحزن الزائل. ولأول مرة منذ فترة طويلة وجدت نفسها نادمة لأن الأمور وصلت إلى هذا الحد من الشؤم بينهما. وتلك الأشهر السابقة من علاقتهما كانت الأسعد في حياتها.

لكن تلك الفكرة لم يكن عليها امعان النظر فيها. فدفعتها بعيداً عنها بسرعة واستبدلتها بأخرى كانت مناسبة أكثر بكثير.

ففي النهاية ما حل بها كان الألم والبؤس اللذان استمرا أكثر بكثير من طعم السعادة المختصر. وكان ضعفاً وجنوناً منها أن تسمح لنفسها بأن تستعيد ذكرى تلك الأشهر التي لم تدم سعادتها فيها طويلاً.

لكن ذكراها لم تتلاش وهي تحدق نحو البحر ثانية، إلى الشخصين الجالسين على الطوف. وشعرت من جديد بذلك الاحساس بالوحدة، ذلك الاحساس بأن شيئاً ينقصها في حياتها. نقص لم تعترف لنفسها بوجوده من قبل.

وجدت نفسها لأول مرة تتساءل، لماذا لم تسمح لأي رجل آخر أن يملأ ذلك الفراغ. كثر هم الرجال الذين تقدموا منها.

أجابت نفسها على الفور، وتلقائياً: من أجل بيلي، ولأن الأمور أعجبتني كما هي، وبرغم ذلك تساءلت وقد استقرت رعشة باردة في قلبها. لماذا فجأة لم يعد ذلك الايضاح يبدو صحيحاً.

في صباح اليوم التالي وبينما كانت لورا تتناول فطورها وحدها على الشرفة، اقترب فالكو منها. فقد خرج من غرفة الجلوس وجاء ليقف أمامها.

قال: «اني أتساءل إن كنت على استعداد لمناقشة أفكارك؟ لقد ذهبت جانين إلى البلدة للتبضع قليلاً. إذاً، فنحن على راحتنا، ففكرت أنها قد تكون فرصة مناسبة.»

قالت: «بالطبع، سأحضر رسومي.»

بينما كانت تنهض على قدميها، أعادها إلى كرسيها قائلاً: «إنهي فطورك أولاً، وقد أشاركك حتى في تناول القهوة.» وتقدم قليلاً وجلس على احد المقاعد قبالتها.

دفعت لورا ابريق القهوة نحوه، وقالت: «بالطبع، أعتقد أن هناك ما يكفي لفنجانين.»

ألم يكن ذلك أمراً غريباً قليلاً، وجدت نفسها تتساءل. وهي تنظر إلى الفطيرة أمامها، وشعرت فجأة أنها فقدت

شهيتها، وأنه يفضل مناقشة أفكارها خلال غياب جانين؟ معظم الرجال، حسب خبرتها، يفضلون اشراك صديقاتهم في عملية تزيين منازلهم.

لكن فالكو ليس كمعظم الرجال. ذكّرت نفسها بسرعة. وكان ذلك ببساطة مظهراً آخر من تكافؤه عندما يصل الأمر إلى علاقات مقربة.

انه لا يضع كل البيض في سلة واحدة. ذلك يبدو التعليق المناسب الذي ينطبق عليه، رغماً أنه كان بارعاً في اعطاء انطباع مختلف. وتماماً كما كانت هي قبل ثلاث سنوات، فإن جانين على الأرجح، كانت تحت تأثير هذا الانطباع الخاطىء، خاصة بعد اهتمامه خلال الأيام القليلة الماضية حيث كانت عضواً حيوياً وثابتاً في حياته.

أخذت لورا تنظر إليه بينما كان يسكب القهوة ويرشفها وهي مستاءة من الارتباك الذي أحدثه قربه منها. كانت المرة الأولى التي يجلسان فيها معاً بعد عصر ذلك اليوم على الصخرة. وفجأة شعرت في أعماق نفسها باضطراب عواطفها.

لكن فالكو لم تظهر على وجهه أية تعابير عندما استدار نحوها قائلاً: «أتمنى أن تكوني مستمتعة بإقامتك في ألبا؟ كما أتمنى أن تكوني قد تدبّرت أمر راحتك قليلاً كما تتدبّرين أمور العمل؟»

لقد كان تجرده ضعيفاً تماماً. فأجابته: «آه، نعم إنها جزيرة جميلة جداً. إنك محظوظ جداً.»

تأملها للحظة ثم قال: «أعتقد، أعتقد أن كلاً منا محظوظ بطريقة مختلفة.» واتكأ إلى الوراء على كرسيه، بينما كانت

تتساءل ما الذي قصده بكلماته تلك، ودون تغيير في لهجته تابع كلامه ليوجه إليها وعيداً عنيفاً.

قال: «لماذا لم تخبريني أن عندك فتاة صغيرة؟»

برغم صدقها، أطلقت جوابها في وجهه قائلة: «وأي منفعة يمكن أن يكون لك في معرفة ذلك؟» فيما عيناها تنظران بثبات في عينيه تابعت لتقول: «لا شأن لك في تفاصيل حياتي الشخصية.»

قال: «مفهوم.» وتناول جرعة أخرى من القهوة. ثم أضاف: «لكن معظم الامهات، حسب خبرتي، يسعدهن جداً وجود أية فرصة للتحدث عن أولادهن.»

ابتسمت لورا لنفسها. إنها بالتأكيد تقع ضمن هذه المجموعة! فالأمور التي تستمتع بها أكثر من التحدث عن بيلي كانت قليلة جداً.

لكنها تابعت تتأمل فالكو بعدائية ثابتة وقالت: «لربما أنتقي الأشخاص الذين أتحدث معهم عن ابنتي.»

شيء ما ظهر في عينيه، وكأنه غمامة مرت بسرعة أمام نور الشمس وقد اختفت عندما قال: «كنت لتتحدثي عنها مع أصدقائي الاميركيين الذين جاءوا إلى هنا منذ بضعة أيام. في الواقع، لقد فعلت ذلك تقريباً.»

إذاً، لقد لاحظ زلة لسانها ولم ينسها. وكان ينتظر ببساطة الفرصة الملائمة. كان عليها معرفة ذلك.

شعرت لورا بالاحراج للحظة، فنظرت إلى البعيد وقالت: «كنت أتحدث إلى امرأة أخرى تفتقد ولدها. وكل ما قلته إني أدرك كيف تشعر.»

قال: «نعم، فعلت ذلك. لكنك على الفور سحبت تلك

الملاحظة وزعمت أنك قصدت بأنك تستطيعين «تصور» كيفية الشعور بذلك.» ونظر إليها بعينيه السوداوين الثاقبتين وأضاف: «ألم يكن من الغريب أن تفعلي ذلك؟»

قالت لورا متلعثمة: «في الظاهر قد يبدو الأمر كذلك. لكن السبب الذي فعلت ذلك من أجله كان...»، وشعرت أن مفرّها من ذلك يكمن من خلال الجرأة، فتوقفت عن التلعثم وقالت بجرأة: «السبب الذي فعلت ذلك من أجله كان لتغطية إثارتي. كنت أتمنى أن لا تلاحظ زلة لساني. وكما قلت سابقاً، موضوع ابنتي أمر لا أنوي التحدث به معك.»

تأملتها عيناه السوداوان للحظة بصمت، ثم قال لها بأسلوب هادىء: «لماذا؟ هل كنت تخشين أن لا أوافق على كونك أماً؟»

يا للغرور! «لِمَ أهتم إن وافقت على ذلك أم لا؟ وكما أخبرتك لا شأن لك بحياتي الخاصة.»

لكنه تابع كلامه، وكأنها لم تتكلم فقال: «أؤكد لك أني لا أمانع البتة. في الواقع، إني أحترم كثيراً أية فتاة عندها الشجاعة لتربي طفلها بمفردها.»

توقف عن الكلام، بينما أخذت تنظر إليه بدهشة لهذا الاطراء. ثم أضاف دفعة واحدة وبلهجة صارمة: «الشيء الوحيد الذي استهجنته منك هو اختيار الوالد.»

قالت: «نعم، كان ذلك من سوء الحظ. أخشى أنه كان مجرد مصادفة.»

قال: «هذا ما افترضته.» واستقام في جلسته ونظر إليها مضيفاً: «إذاً، كم تبلغ ابنتك من العمر، بيلي السرية هذه، ابنتك؟»

فكرت لورا بسرعة وأجابته: «سنتان فقط.» في الحقيقة كان عمر بيلي سنتان ونصف تقريباً. لأن فالكو كان مشهوراً جداً بالحسابات.

أومأ فالكو برأسه وقال: «أخبرتني أنك لم تعودي على اتصال بوالدها، بالمناسبة، أعتقد أن ذلك سيىء قليلاً. قد يُستخف أحياناً بدور الوالد، لكني شخصياً أعتقد أنه الدور الأهم. أعرف أني لن أستطيع أبداً التخلي عن طفل يخصني.»

فجأة شعرت لورا بقلبها يتضخم في صدرها حتى أخذ يضغط على ضلوعها. فنظرت إلى وجهه من خلال عاصفة من الاحاسيس. كانت تعرف ذلك وكانت تخشاه. لذلك أخفت سرها. وبرغم ذلك، أمر غريب حقاً، لقد شعرت تجاهه بفيض من الدفء. قالت لنفسها انه قد يحاول أخذ بيلي ليغيظها هي فقط. لكن خوفها الحقيقي كان، برغم أنها لم تعترف بذلك أبداً. إنه قد يحاول أخذها بدافع الحب.

ساد صمت طويل وهما جالسان ينظر كل منهما إلى الآخر. لقد توقف الوقت من حولهما. ثم بكل هدوء، قال فالكو: «لماذا قلت لي إنك أخذت ذلك المال؟ ذلك اليوم في لندن عندما أتيت باحثاً عنك. لماذا لم تقولي ببساطة أن ذلك غير صحيح؟»

تنهدت لورا بعمق وأجابته: «كنت غاضبة. غاضبة ومجروحة لأنك صدقت ذلك عني. الطريقة التي اتهمتني بها وطريقة صراخك عليّ...»

قاطعها قائلاً: «كان ذلك بسبب الاثبات الكاذب الذي أراني إياه والدي. لقد شرحت لك كل ذلك منذ بضعة أيام.»

قالت: «لكني لم أكن أعرف ذلك حينها. لم أكن أعرف بشأن ذلك الاثبات المزيف. كل ما كنت أعرفه أنك كنت تصرخ، وتصيح وتتهمني بأنني مجرد متسكعة تجمع المال.»

تنهد فالكو وقال: «نعم، أعترف بأني عبّرت عما في نفسي بقوة.» ثم هز رأسه وأضاف: «لكن كان في امكانك نكران ذلك. كان في امكانك أن تخبريني الحقيقة فوراً في ذلك المكان.»

«لا، لم أكن أستطيع. كان عليّ التفكير بوالدي.»

«كان في امكانك اخباري أنك لم تأخذي المال دون الخوف من تعريض والدك للخطر.»

«ما كنت أستطيع ذلك، فقول ذلك كان سيجعلك تبدأ بالأسئلة. وكنت ستسأل لماذا سيكذب عليك والدك. وبالطبع كان هناك خطر من انعكاس ذلك على والدي.»

ضاقت عينا فالكو وهو يحدق بها وقال: «بالتأكيد. كنت سأطرح أسئلة... لكن لماذا كانت ستنعكس تلك الأسئلة على والدك؟ لم أكن أعرف بتهديد والدي له بطرده. لم تخبريني ذلك ولم يكن هناك أحد يستطيع فعل ذلك.»

أطرق قليلاً ثم تابع: «وأعتقد أنك تعرفين كما أعرف تماماً أن والدي لن يجد صعوبة من أي نوع في إيجاد عذر لكذبته بشأن المال. فكل ما كان يهمه بناء على ما أخبرتني به، هو أن تخرجي من حياتي وها قد فعلت ذلك.»

هز رأسه وأضاف: «لا، ذلك غير منطقي. إن عدم انكارك لأخذ المال لا يبدو منطقياً أبداً.»

كان من المنطق لو أنه عرف الحقيقة. كانت الفكرة تضج

في رأسها كقرع الطبول. لو كان يعرف ماذا يعني أن تحب شخصاً لدرجة أن كل ما يهمك في العالم هو ذلك الشخص. لو يعرف ماذا يعني أن تكون واثقاً في أعماق نفسك بأن ذلك الشخص يحبك ويثق بك تماماً كما تحبه وتثق به. ومن ثم تجده يقذف في وجهك باتهامات وكلمات جارحة كهذه، أن يتصرف كغريب، وأسوأ من ذلك، لكان فهم ذلك الاحساس القاسي بالأسى الذي جعلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها، الأمر الذي جعلها تكرهه وترغب في جرحه من خلال تلك الكذبة التي شعرت بها تنغرز كالسكين في قلبها.

تسارعت خفقات قلب لورا حتى أصبحت غير قادرة تقريباً على التنفس، برغم أن كلمات فالكو، التي كان يتلفظ بها الآن، كادت تتسبب بتوقفه.

قال: «الحقيقة اني لم أصدق ذلك حقاً... انك أخذت المال... حتى أخبرتني بأنك فعلت ذلك حقاً. أعرف أني اتهمتك... إني أذكر ما قلته... لكن كنت آمل طوال الوقت، في الواقع، كنت متأكداً من أن ذلك كله مجرد كلام فارغ.»

ابتعدت لورا، ورفضت بخوف تصديق ما كان يقوله. فقالت بصوت أجش قليلاً: «لم يبد الأمر كذلك.»

سألها: «هل فوجئت؟ هل توقفت عن التفكير كيف كنت أشعر؟» العاطفة التي بدت في صوته جعلتها تنظر إليه ثانية. فأضاف: «لقد عدت من رحلة عمل روتينية لأجد رسالة منك تقولين فيها إن حبنا قد انتهى. هكذا، خرجت من حياتي، دون أن تتركي لي عنواناً ولا أي شيء. ألم تتساءلي أبداً ما قد يفعله ذلك بي؟»

الحقيقة أنها لم تفعل. وإن فعلت، فقد افترضت أنه

سيتعامل مع الأمر بنفس الطريقة التي يتعامل فيها مع كل شيء. باتزان وثقة بالنفس. انه سيأتي ببساطة ويبحث عنها. ولم يخطر على بالها أبداً أنه قد يتحطم من جراء ذلك.

تابع: «عندما رفض والداك اخباري أين أنت، أول شيء فعلته هو سؤال والدي.» وبدت في عينيها ابتسامة باردة وهو يقول باختصار: «عرفت من التجربة، أنه وراء حدوث معظم الأشياء. وذلك، بالطبع كان، عندما أخبرني عن المال الذي أعطاك إياه وأراني نسخة عن الشيك كبرهان.»

تحجرت عيناه وهو يضيف: «لو صدقته، ما أمضيت الأسابيع الستة التالية أبحث في المدينة، محاولاً أن أعثر عليك.» وبدا ساخراً من نفسه في لهجته حيث تابع قائلاً: «لقد بحثت في كل مكان، تقريباً من لاندز آند إلى جون - أو - غراوتز. وفي النهاية قررت أن أركز بحثي في لندن. هناك حيث تنتهي معظم الطرق. وجدتك أخيراً، ولسخرية الأقدار، بمساعدة والدي. فقد أشار عليّ أن ألجأ إلى وكالة تحريات. وفعلت ذلك وهم جلبوا لي عنوانك.»

أخذ قلب لورا فجأة يخفق بقوة لدرجة أنها شعرت أنه قد ينفجر في صدرها.

آسفة. كانت ترغب في قول ذلك أكثر من أي شيء آخر. فالصورة التي رسمها الآن جعلت قلبها يتقطر ألماً. لم يخطر ببالها المتاعب التي مر بها والكرب الذي أصابه في جهوده ليعثر على مكان إقامتها.

لقد كانت ساذجة. فقد اعتقدت أنه انسان خارق. اعتقدت أنه إنسان لا يُجرح. وقد أدركت الآن أنها جرحته.

فتحت لورا شفتيها لتقول ما تشعر به. لكن قبل أن تستطيع ذلك، كان يتكلم من جديد:

«كنت مقتنعاً بأنها مجرد كذبة، بشأن المال ومقتنعاً أن لا بد من سبب آخر...» وتوقف عن الكلام ليتنهد ثم تابع قائلاً: «وبالطبع كنت على حق.»

قطبت حاجبيها تجهماً ولأول وهلة، بصدق تام، لم تدرك لورا ما قصده تماماً.

وبصوت متهدّج، شرح ذلك قائلاً: «كنت ببساطة تريدين حريتك. حرية لتختبري حسياً أموراً أخرى. ولم تضيعي أي وقت. ففي الوقت الذي وجدتك فيه، كنت قد وجدت لنفسك صديقاً آخر.»

مرت أمامها رؤية الرجل الذي يتحدث عنه وللطريقة التي رآهما فيها فالكو معاً. وتذكرت، كان التاجر يرشدها إلى سيارته الجاغوار بقلق أكثر من اللازم بقليل. قبل أن ينطلق بها إلى صالة العرض خاصته في شيلسي. كانت مصادفة سيئة، لكنها إثبات ضعيف بالتأكيد للنتائج اللعينة التي توصل إليها فالكو. الأمر الذي أعادهما تقريباً إلى نقطة الانطلاق. قد تكون أخطأت في حكمها عليه بافتراضها أنه لا يملك سبباً جوهرياً ليعتقد أنها أخذت المال. لكنها لم تخطىء في الحكم عليه بالنسبة لما يتعلق بتاجر الأشياء القديمة على ما لم يكن فعلياً برهاناً على الاطلاق. لقد صدق الاحتمال الأسوأ واتهمها على أساسه.

كان يتهمها الآن وفي نبرة صوته ازدراء بقوله: «ألم يكن في امكانك على الأقل أن تجدي لنفسك حبيباً جذاباً أكثر؟»

قالت: «لقد وجدته جذاباً جداً.» وخف شعورها بالذنب قليلاً، حين تلفظت بذلك الرد وكأنها تعنيه حقاً.

تأملها فالكو بدقة وقال: «أعتقد ان ذلك مفهوم. حيث انك كنت متحمسة جداً لتخبريني، ان لديه مواهب أخرى... لا بد وان كفاءته عالية جداً لتقنعك بأن تتغاضي عن ميزاته الأخرى غير المحببة.»

قالت: «نعم، لا بد أن الأمر كذلك.» وشعرت بعضلات وجهها تتصلب، وأحسّت بالغثيان من الطريقة التي أجبرتها على الاستمرار في تأكيد هذه الكذبة. لأن فالكو كان على حق، وأي عين ثاقبة يملكها ليحكم على التاجر بهذه الدقة من خلال نظرة خاطفة! فقد كان الرجل رخيصاً ومزعجاً وغير جذاب، وآخر رجل في العالم قد ترغب يوماً في أن يكون حبيبها.

قال فالكو: «آه، حسناً، قد يكون من المستحسن لك للتغيير لأن تحظي بحبيب جيد.»

قال لها تلك العبارة وكأن الأمر لا يعنيه. ولربما هو كذلك. فقد كان من المستحيل معرفة ذلك. لكن على كل الأحوال فالأمر يشعرها بالخجل، ما كان عليها أن تقول ذلك أبداً. فما كانت لتعرف حبيباً أفضل من فالكو.

قالت: «فالكو، أنا...»

لكن، قبل أن تتمكن من الكلام، نهض على قدميه بحركة فظة فجائية وكأنه لا يبالي بها وقال: «أقترح أن تذهبي وتحضري رسوماتك. سأراك في غرفة الجلوس. سنناقشها هناك.»

قالت: «فالكو...» وقد غمرها الندم، نهضت لتصبح في

مواجهته. كان هناك أخطاء من كلا الطرفين، لكنها جرحته بطرق عديدة أكثر بكثير مما كانت تعتزم.

كان ينظر إلى ساعته، متعمداً تجاهلها وقال: «أستطيع أن أمنحك ساعة من الوقت، وبعدها عندي أعمال أخرى عليّ القيام بها.»

قالت: «فالكو...» كان على وشك الابتعاد عن الطاولة وكان عليها إيقافه. فمدت يدها وأمسكته وقالت: «فالكو، اني آسفة.» وأطبقت بيدها على ذراعه وكررت قولها، «فالكو، إني آسفة.»

فقال: «آسفة على ماذا؟» وضاقت عيناه السوداوان وكرر بلهجة صارمة: «آسفة على ماذا؟»

قالت: «آسفة لأني عذبتك. لقد أسأت توجيه الأمور...»

فقال: «تعنين أنه كان عليك أن تتدبّري انفصالاً مهذباً وملائماً أكثر؟»

قالت: «لا، لم أقصد ذلك.» كان قلبها يضرب بقوة، وبرغم انها لم تتنبه له، وقد تصلبت قبضتها على ذراعه.

قال: «إذاً، ماذا تقصدين؟»

كانت تبكي في داخلها. لو انها تستطيع فقط أن تخبره القصة كاملة دون نقصان. فقالت: «آسفة لأني جرحتك. لم أقصد أبداً أن أجرحك. لقد كنت دائماً لطيفاً معي. كان عليّ أن أكون لطيفة أكثر.»

قال: «ألطف؟ ليس هناك من طريقة لطيفة لقطع علاقة حب. وذلك كان ما أردته. لربما كنت على حق لتكوني قاسية.»

هزت لورا رأسها. وقالت: «لقد جرحني ذلك أيضاً، أنت

تعرف أنه لم يكن ذلك سهلاً عليّ. لم يكن كذلك حقاً.»

استدار ليصبح في مواجهتها وقال: «لماذا، إن كان ذلك ما أردته؟ إن كان ذلك ما أردته فعلاً فيجب أن يكون سهلاً.»

قالت: «يجب أن...» ما كادت تستطيع تحمل النظر إليه. كانت تتوق لتقول. لم يكن ذلك ما أردته. وكان عندها احساس قوي بأنه كان يأمل أن تقول ذلك.

لكنها لم تستطع أن تقوله. فذلك سيفتح عليها أبواب الطوفان. عضت على شفتها ونظرت إليه ثانية بصمت وعيناها تعكسان الأسى الذي تعاني منه روحها.

عندها تجهم فالكو، وتحركت الذراع التي أمسكتها بقوة لتطوق خصرها فجأة.

هز رأسه وقال: «لا أستطيع ابعاد الشعور بأن كل هذا ليس له أي معنى.» ثم تنهد وأضاف: «هل يعني أي منها لك شيئاً؟»

هزت لورا رأسها، وتجرأت على النظر إليه. وقالت: «أحياناً أشعر بأن العالم كله لا معنى له.»

قال: «ما عدا الآن. في هذه اللحظة.» وضم نقنها بيده وأجبرها على النظر إليه وابتسم ابتسامة غريبة وأضاف: «هذه اللحظة، هناك امكانية، في أن يكون لها معنى نوعاً ما.»

فقالت: «هناك امكانية.» ووجدت نفسها ترد له الابتسامة. وشعرت باحساس دافيء يحيط بقلبها.

وقفا هناك للحظة، كل منهما ينظر في عيني الآخر. ثم قربها منه برفق آسر وانحنى ليقبلها.

كان بامكان لورا سماع دقات قلبه وأحست بحاجته

النفسية لها أكثر من أي شيء آخر، وبدا ذلك ملتقياً وحاجتها هي أيضاً. أرادت أن تدوم تلك القبلة إلى الأبد فقد بدا أن نعومتها الساحرة قد شغفت روحها.

فجأة شعرت في أعماق قلبها بشعور يتوق لأن يحطم ذاك الحائط من الأكاذيب وسوء التفاهم الحاصل والذي، على الرغم من هذه اللحظة، مازال يفصل بينهما. لكن عندها، وفي الوقت المناسب، واستجابة لحاستها السادسة، وجدت نفسها تنظر من فوق كتفه.

توقف قلبها كالميت عندما وجدت نفسها تنظر إلى عيني جانين الواسعتين المذهولتين.

الفصل التاسع

تجمدت جانين في مدخل الباب برهة، وكأنها غير قادرة على تصديق ما ترى. ثم استدارت على عقبيها مع صرخة صغيرة خافتة واندفعت وكأنها مطاردة، عائدة إلى داخل المنزل.

راقبت لورا خروج الفتاة باحساس مليء بالاشمئزاز. لقد أساءت ثانية، على الرغم من الوعود التي قطعتها، إلى جانين.

انتزعت لورا نفسها من عناق فالكو وقالت: «سألحق بها، لأعتذر.»

لكن فالكو أمسكها بقوة وقد أحكم قبضته حول ذراعها قائلاً: «دعيها تذهب فلا أهمية للأمر. توقفي عن اثارة الهرج من لا شيء.»

إنه يدعو ذلك لا شيء! وشعرت لورا بالاشمئزاز يتحول إلى غضب عارم. لقد ضبطته صديقته للتو يعانق امرأة أخرى ولديه الجرأة ليدعو ذلك لا شيء!

حررت ذراعها منه، وقد غمرتها موجة من الغضب الساطع وقالت: «إنك كاذب وبارد القلب!» لمعت عيناها الزرقاوان بغضب وهي تضيف: «لكني لا أهتم لما تقوله. سألحق بها. إنها تستحق تفسيراً واعتذاراً.»

ثم استدارت بعيداً عنه وأسرعت وراء جانين. وأخذت تصرخ: «انتظري، انتظري يا جانين!»

لكنها تأخرت كثيراً. فقد سمعت صفق الباب الأمامي. ثم، وبعد لحظة، عندما فتحته وأسرعت خارجة إلى الفناء الأمامي، رأت جانين خلف مقود سيارتها وهي تنطلق على الطريق وقد زعقت عجلات سيارتها.

صرخت: «جانين! ارجعي!» وبرغم أنها عرفت أن لا جدوى من ذلك، أخذت لورا تلوّح بذراعيها كالمسعورة وهرعت خلفها وهي تصرخ: «ارجعي! ارجعي! دعيني اشرح لك!»

«إنك تضيعين وقتك.» قال فالكو الذي كان يقف عند المدخل.

استدارت لورا في مكانها عند سماع صوته وأحست بالصدمة عندما رأته يبتسم قائلاً: «اعتقد أنها تتوجه نحو الميناء.» ونظر إلى ساعته بنوع من عدم الاهتمام ثم تابع: «هناك مركب على وشك الإبحار في غضون دقيقتين.»

سألته لورا: «هل يمكنني أن استعير سيارتك؟ أريد أن أحاول ايقافها. في حال قامت بأي عمل مجنون.»

قال: «لن تقوم بأي عمل مجنون.» واستمر فالكو يبتسم تلك الابتسامة اللامبالية، القاسية والعابثة. وأضاف: «لكن إن أردت، يمكنك استخدام السيارة، ستجدين المفاتيح في مكان تشغيل المحرك.»

قالت: «شكراً.» وكانت نبرة صوتها هشة كالبلّور، ومن دون أن تنظر إليه مرة أخرى، لأن منظره يثير غضبها، أسرعت عبر الفناء الأمامي إلى حيث تقف السيارة وقفزت إلى وراء المقود وأدارت المحرك. داست بقوة على دوّاسة الوقود واتجهت نحو الطريق.

من حسن الحظ أنها لم تلق أية سيارة على الطريق. لأن طرق الجزيرة كانت ضيقة، وليست مصممة للقيادة عليها بسرعة. وكانت لورا تقود السيارة بسرعة كبيرة عبر الكيلومترات الخمسة التي تفصلها عن الميناء.

كانت تلك الطريقة الأمل الوحيد لديها في الوصول إلى جانين وايقافها قبل أن يبحر المركب.

لقد شعرت أن فالكو كان صادقاً وذلك هو المكان الذي توجهت إليه جانين. فقد كانت تعرف ما قد تفعله امرأة هاربة.

كانت هناك، بالطبع، وقد صعدت إلى متن المركب وكأنها تركب غيمة غبار. أصبحت لورا بجانب المركب.

أنزلت زجاج الشباك وصرخت: «انتظري!» لكنها كانت قد تأخرت، فقائد المركب كان قد سحب المرساة والمركب الصغير أخذ يتحرك بسرعة بعيداً عن الشاطئ.

صرخ لها قائد المركب قائلاً: «سأعود خلال ساعة! استطيع أن أقلّك عندها!»

ساعة! أخذت لورا تلعن وتضرب بقبضتها على المقود. من يعرف أين ستكون جانين عندها؟

جلست في السيارة وقد تملكها احباط بائس وأخذت تراقب المركب يبتعد أكثر وأكثر. وأخذت تفكر ببؤس ماذا فعلت بتلك الفتاة المسكينة؟ إنها ملامة، بقدر ما هو فالكو ملام أيضاً.

لقد أصبح المركب الآن أكبر من نقطة في الأفق بقليل. وتساءلت لورا بينما كانت تراقبه، ماذا عليّ أن أفعل الآن؟ ماذا استطيع أن أفعل لأصحح هذه الفوضى؟

أدارت محرك السيارة واتجهت عائدة إلى الدارة. لو أني فقط استطيع المغادرة، وجدت نفسها تتمنى ذلك من جديد والدموع تلمع في عينيها. دموع اليأس. لقد اصبحت تلك اللحظات من التقارب بينها وبين فالكو تتكرر كثيراً كلما طالت مدة اقامتها هنا، وقد وجدت نفسها غير قادرة على فعل أي شيء لمنع حدوثها. وهو لم يفعل أي شيء أيضاً. لقد كان ذلك كالدم الذي يجري في عروقها. أمر لا تستطيع مقاومته. إنها ما زالت تستجيب لفالكو تماماً كما كانت تفعل في الأيام الخوالي.

كانت تلك الفكرة تؤلمها كوخز الابر الساخنة، فيما كانت تقود السيارة في طريق عودتها إلى الدارة. إنها لا تحبه بالطبع. إن المسألة ليست مسألة حب. لكنه شيء، شيء قوي ما زال موجوداً بينهما. شيء قد يقودها في لحظة طيش إلى الاعتراف له بسرها. وفوق كل ذلك انه شيء قد جرح جانين للتو.

تبلورت فكرة في رأسها، لربما الحل بالنسبة إليها هو الرحيل بالطبع. وإن فعلت، على أي حال، ما هو الشيء الأسوأ الذي قد يحدث؟ أن يبقي فالكو على تهديده ويسافر إلى لندن حيث يبدأ بتحريك الأقاويل بين زملائها. لكن إذا سبقته إلى هناك واتصلت بكل المقربين منها وجعلتهم يقسمون على عدم البوح بموضوع بيلي، فلربما لا يكون عندها ثمة حاجة للخوف.

هناك دائماً نوع من المخاطرة، بالطبع. فهناك اشخاص تحدوهم دائماً رغبة في الكلام، ولا يمكنك أبداً معرفة من يمكنك الوثوق به. ذلك السبب جعلها تتراجع عن اتخاذ ذلك القرار فوراً.

لكنها في هذه اللحظة لم تعد واثقة حتى من نفسها. إن المخاطرة موجودة، سواء غادرت أم بقيت، وبنفس المقدار. وبدأت تشعر بنوع من الاطمئنان وسيكون رحليها نوعاً من الارتياح الكبير.

كانت لورا قد توصلت إلى قرار عندما وصلت إلى الدارة. ستكتب رسالة لجانين وتغادر المكان حالاً. وإن فعلت ذلك بسرعة، قد تتمكن من اللحاق بالمركب التالي.

أوقفت السيارة وسحبت المكبح اليدوي. الوداع يا آلبا. الوداع يا فالكو. لقد اتخذت القرار الصحيح ولن تسمح لأحد بإيقافها.

«هل لي أن أسأل ماذا تظنين نفسك فاعلة؟» فجأة، كانت هناك عينان سوداوان تحدقان بها عند مدخل الباب، ثم تابع قائلاً: «يبدو لي وكأنك تحزمين حقائبك.»

أجابت: «ذلك بالضبط ما أفعله.» ولم تستدر لورا، بل تابعت تركيزها على مجموعة التنانير والبلوزات التي كانت تضعها دون ترتيب في الحقيبة التي على السرير.

«لماذا تحزمين حقائبك؟»

«لأنني مغادرة!»

«مغادرة؟ لماذا؟ لا يمكنك الرحيل الآن. فالأسبوعان لم ينقضيا بعد.»

«سأغادر على أي حال.» قالت ذلك دون أن تنظر إليه. أمسكت بمجموعة من القمصان ورمتها في الحقيبة ثم أضافت: «إني مغادرة على المركب التالي مباشرة.»

ساد صمت بينهما. أحست لورا أنه دخل إلى الغرفة. كان في إمكانها الشعور بقربه، ظالماً ومستبداً. قال: «أكرر، لا

يمكنك الرحيل بعد، بيننا اتفاق. عليك البقاء هنا لمدة اسبوعين.»

قالت: «إني أنقض الاتفاق. وأنا مغادرة الآن.» وضاقت عيناها الزرقاوان وهي تضيف: «لا تحاول منعي من ذلك.»

كان فالكو واقفاً في الوسط بين السرير والباب. يداه في جيبي سرواله المصنوع من قماش الكتان بلون الكريما، عندما قال: «هل يعني ذلك أنك تتخلين عن المهمة؟ هل ذلك ما تفعلينه؟ تخرقين اتفاقيتنا؟»

خطر فجأة على بال لورا خاطر، فقالت: «ليس بالضرورة، أنا مستعدة لاحترام اتفاقيتنا، لكن فقط تحت شرط واحد..»

«ما هو؟»

«شرط أن يكون المنزل لي. أعني... أن تعدني بأن لا تكون موجوداً خلال فترة عملي.»

ضحك فالكو عندها كما توقعت أن يفعل تقريباً وقال: «لماذا اوافق على شرط محال كهذا؟ لعلك نسيت أن هذا منزلي.»

قالت لورا: «إني أعرف ذلك.» واقفلت غطاء حقيبتها ثم أضافت: «لكن ذلك هو شرطي، وأخشى القول أني مصرة عليه تماماً.»

قال: «فهمت» وبينما كان يتكلم سحب يديه من جيبي سرواله ووضعهما على صدره وأضاف: «وهل هناك من سبب معينّ جعلك تفرضين فجأة هذا الشرط المرفوض كلياً؟»

قالت: «اعتقد أنك تعرف ما هي الأسباب. وإن كنت لا تفعل

فيجب عليك ذلك.» وبحركة لا يمكن وصفها إلا بالوحشية، أقفلت سحّاب حقيبتها وتابعت: «إني فعلاً لا أعتقد أن هناك أي أمر لمناقشته.»

قال: «آه، لا تعتقدين؟»

أجابته: «لا، لا اعتقد.» وأمسكت لورا بيد حقيبتها وسحبتها عن السرير إلى الأرض.

قال: «هكذا، قررت أن تنقضي اتفاقنا... قررت أن تغادري حتى دون أن تعطيني تبريراً لذلك... ولا تعتقدين أن هناك أي أمر للمناقشة...؟»

شعرت لورا بتغضن شفتيها. فقد كان يقف في طريقها إلى الخارج.

ابتسم فالكو، وقال: «هل تعتقدين حقاً أني سأسمح لذلك أن يحدث؟»

كان سؤالاً منمقاً. وكان الجواب يظهر من عينيه. اسقطت لورا حقيبتها على الأرض وأخذت تحدق به. ثم قالت بتبرّم: «إني مغادرة بسبب جانين.» كان ذلك جزءاً من الحقيقة وكل ما يحتاج إلى معرفته. وتابعت: «إني مغادرة بسبب تصرفك... وبسبب تصرفي.» ثم أضافت بسرعة: «لا تعجبني الطريقة التي تجري بها الأمور بيننا. ولا أريد أن أكون مسؤولة عن جرح جانين. إن كان عندك أية لياقة، فإنك ستفهم. إن ذلك أفضل. إن كان عندك ضمير لن تحاول أن تمنعني.»

أخذت نفساً عميقاً وأمسكت حقيبتها من جديد. وختمت كلامها بقولها: «هاك، لقد حصلت على نقاشك. والآن تنح جانباً ودعني أمر.»

ابقى فالكو ذراعيه ملفوفتين بثبات فوق صدره وقال: «ليس بعد. أخشى أن ذلك لم يكن ما أدعوه نقاشاً. النقاش هو أن يقول كل شخص ما عنده. وأنتِ لم تسمعي بعد ماذا اعتقد في كل هذا.»

نظرت لورا إليه بعينيها الزرقاوين العابستين وقالت: «هل حقاً عليّ أن أفعل ذلك؟ إن كلانا يعرف أن ما قلته لتوي هو صحيح.»

رفع فالكو حاجبيه الأسودين، وقال: «أتعنين بخصوص جانين؟ عن واجبنا تجاهها؟ هل ذلك ما كنت تشيرين إليه؟»

تغضنت شفتا لورا أكثر وقالت بعدها: «أنت تعرف أن ذلك ما أشرت إليه!»

قال: «في هذه الحالة...» ثم ابتسم وارخى ذراعيه.

شعرت لورا أن قلبها يرتفع من مكانه. ها هو على وشك التنحي جانباً! وبتردد، وكلها أمل في أن يفعل ذلك، تقدمت خطوة إلى الأمام.

اختار تلك اللحظة بالضبط ليمدّ يده ويسحب الحقيبة من يدها ثم قال لها، وهو يرمي الحقيبة إلى احدى الزوايا: «في هذه الحالة، وأنا آسف لقول ذلك، إن نقاشنا لم يبدأ بعد.»

قبل أن تستطيع التفاعل مع ما قاله، أمسك بذراعها وهو يبتسم لاهياً وينظر في عينيها. ثم قال: «إذاً، أين تفضلين أن نتناقش في الأمر؟ هنا أم في الطابق الأسفل في غرفة الجلوس؟»

قالت: «أي نقاش؟ ليس هناك ما نناقشه!» وقامت لورا بجهد عنيف لتحرر نفسها، لكن محاولتها باءت بالفشل

فقالت: «اترك ذراعي! ماذا بحق الشيطان تظن أنك فاعل؟»

دون أن يحرك قبضته أبداً ردد سؤاله: «هنا أو تحت في غرفة الجلوس؟» ثم، وبينما هي تتابع مقاومتها بغضب صامت، اعطى جوابه:

«أعتقد أن غرفة الجلوس قد تكون أفضل. تستطيعين تناول الشراب بينما نحن نتكلم. لديّ شعور أنك ستحتاجين إلى ذلك.»

وماذا من المفترض أن يعني ذلك؟ تابعت لورا مقاومتها دون جدوى ثم قالت بغضب: «اتركني! ليس هناك شيء لنناقشه! وكل ما ستفعله هو أنك ستؤخرني عن اللحاق بالمركب!»

قال: «عندها يمكنك أخذ مركب آخر.» لم يكن ينوي أن يتركها. وقد بدأ يسحبها إلى الرواق. ثم أضاف: «والآن، هل عليّ أن أحملك إلى الطابق السفلي، أم أنك ستسيرين على قدميك؟»

قالت: «سأسير، شكراً!» وأوقفت لورا المقاومة. فقد كانت مضيعة للجهد، وبالاضافة إلى ذلك، فإن ذراعها كانت تؤلمها. أخذت تحدق به، تتحداه في أن يوجه إليها اهانة وذلك بحملها بين ذراعيه وايصالها إلى غرفة الجلوس. فقالت له بحدة: «يمكنك القيام بدور البطل.»

بدا ذلك ببساطة مسلياً بالنسبة إليه. فقال: «إن ذلك عائد إليك كلياً. إن كنت تريدين التصرف مثل طفل مشاكس، تلك هي تماماً الطريقة التي سأعاملك بها.»

أحجمت لورا عن الاجابة، إلا أنها أخذت تنزل السلالم، ثم استدارت واتجهت نحو غرفة الجلوس. كانت خطتها الآن أن

تستمع إلى كل ما سيقوله لها، ثم المغادرة، كما كانت تنوي، على أول مركب متوفر.

جلست على احد المقاعد المغطاة بقماش الدمقس. وأخذت تنظر من تحت رموشها بينما كان فالكو يعبر الغرفة إلى حيث المنضدة. وكان الارتباك الشديد هو كل ما كانت تشعر به. ولم يخامرها ولا ومضة صغيرة من الفضول.

سألها فالكو: «ماذا ترغبين في أن تشربي؟ مرطباً؟»

نظرت لورا إليه بعدائية وقالت: «كوب من المياه المعدنية سيكون كافياً.»

قال وهو يبتسم: «إن كان ذلك ما ترغبين فيه... لكني أنصحك بشيء أقوى بقليل.» كان يستمتع بلعبته الصغيرة تلك.

نظرت لورا مباشرة إليه ثانية وقالت: «في هذه الحال تناول أنتَ شراباً أقوى. أنا متأكدة من أنني سوف اكتفي تماماً بكوب من المياه المعدنية.»

قال: «كما تريدين.» واستمر في الابتسام بحنق وهو يضع قطعاً من الثلج في كأسين، ثم وبحركة ناشطة أفرغ مياهاً معدنية في إحداهما فيما أفرغ المرطب في الكأس الأخرى. ثم عبر الغرفة واعطى لورا كأسها وقال: «نخب صحتك! أو كما يقولون في هذه النواحي، أهلاً بكِ!»

وكرّد موجه ضده لم ترد لورا النخب. بل أخذت رشفة من المياه المعدنية، وأخذت تتأمله بامتعاض وهو يجلس بهدوء على المقعد المقابل لها. قالت: «إذاً ما هو الأمر الحيوي الذي جعلك تبقيني هنا لسماعه؟»

نظر فالكو إليها للحظة. فلم يكن على عجلة من أمره.

وتناول جرعة من المرطب، الذي بدا أنه يتذوقه، ثم ابتلعه. بعدها استرخى إلى الوراء بارتياح أكبر على الكرسي. وقال لها: «هل كنت تخططين للرحيل دون أن تقولي لي كلمة؟ يبدو لي أن ذلك عمل منافٍ لأخلاق مهنتك، إن لم نقل فظاظة مؤسفة.»

استطاعت لورا بصعوبة اخماد تنهيدة امتعاض. ثم قالت: «أهذا ما أتيت بي إلى هنا لمناقشته.؟ إن كان هذا هو. استطيع أن اعطيك جوابي بخمس ثوان، نعم، كنت أخطط للمغادرة دون اعلامك. اعذر طباعي السيئة، لكني، حقيقة، اعتقدت أن ذلك سيكون أفضل.»

«أفضل لمن؟»

«أفضل لنا جميعاً. ولا تسألني لماذا. لقد سبق وشرحت لك أسبابي.»

قال: «وماذا عن العمل الذي أتيت إلى هنا للقيام به؟ ماذا يفترض بي أن أفكر عندما اكتشف أنك رحلت؟ أكان من المفترض أن أنتظر وأرى ان كنت ستزعجين نفسك وتعودين، أم كان من المفترض أن أبحث عن مصمم ديكور آخر؟»

أجابته: «كنت أخطط لأن أتصل بك، أو أن أبعث لك برسالة شارحة لك تماماً ما قلته في الطابق العلوي، وأنا مستعدة للقيام بالعمل، لكن تحت شرط واحد...»

قال منهياً كلامها: «بأن أغيب عن منزلي.» ونظر إليها نظرة لاهية ثم أضاف: «وكل ذلك لأن ضميرك فجأة أخذ يؤنبك بخصوص جانين!»

حدّجته لورا بنظرة قاسية وقالت توبخه بسخرية: «هيا،

اضحك! لم أتوقع لحظة واحدة أنك ستفهم هذه المشاعر.»

تفضّل عليها فالكو بالضحك، وقال: «يبدو هذا كله جميلاً جداً.» وترك عينيه تسافران ببطء عبر وجهها ثم انخفضتا إلى جسمها، ليتمكن من أن يمعن النظر فيها جيداً، ثم أضاف: «ما كنت تقولينه تقريباً هو، إن كان عليك البقاء هنا برفقتي ستجدين نفسك غير قادرة على ابعاد يديّ عنك.»

اتقد وجه لورا وقالت: «ذلك ليس ما قلته! إني أؤكد لك بأني لم أقل شيئاً من هذا القبيل!»

تظاهر فالكو بعدم الاستيعاب فقال: «بدا لي الأمر كذلك، بدا لي ذلك تماماً ما كنت تقولينه.»

قالت: «حسناً، إنه ليس كذلك!»

قال: «إذاً لِمَ الحاجة إلى الهروب؟ السبب الوحيد الذي يجعلك تهربين كان بسبب تلك الدوافع الجياشة.»

ضغطت أصابع لورا على كأسها، وفجأة تمنّت بعد كل هذا لو أن كأسها تحوي شيئاً غير الماء. شراباً حارقاً لترميه في وجهه!

قالت له بنبرة معتدلة، وهي تتنفس ببطء: «لست أنا من يعاني من دوافع جياشة. أنت الشخص الذي يبدو أنه يعاني من هذه المشكلة. في كل مرة نكون فيها معاً بمفردنا لا تنفك تقوم بإيماءات لي.»

قال: «والتي كنت تصدينها، بالطبع.»

قالت: «حاولت ذلك في بعض الأحيان.»

أخفضت لورا عينيها نحو حجرها عندما قالت ذلك. السخرية في نبرة صوته، برغم كل شيء، كانت محقة. لم تقاومه فعلاً بكل قوتها. إنها تنظر إليه الآن، ويخالجها

حزن مفاجيء، وقد حلّ الآن محل الغضب والخزي. ذات مرة، محادثة كهذه كانت عفوية بينهما. ذات مرة، كان كل منهما مغموراً بحب الآخر. وما زال ذلك الأمر يبدو طبيعياً نوعاً ما أكثر مما هو عليه الآن.

أخذ فالكو يدير قطع الثلج في كأسه، وبدا أنه غير متأثر بهذه الاعتذارات. بخلاف ذلك، لقد بدا أنه يستمتع بذلك كثيراً.

رفع ساقه ووضع رسغه فوق ركبة ساقه الأخرى وقال لها: «إذاً، لكي تتحاشي أن تظلي إلى جانبي، قررت أن الحل الوحيد هو أن تقطعي عملك وتهربي!»

هزت لورا كتفيها بلا مبالاة وقالت: «لست متأكدة مما تعنيه بقولك، تظلي.» وانتقدت احمراراً عندما قالت ذلك. وتساءلت، هل كان يستثني نفسه. وأنها كانت لتسمح له بأن يتمادى معها أكثر لو أنها بقيت؟ وأضافت بسرعة: «الظلم الوحيد الذي كنت أخشى القيام به هو ذاك الذي اقترفناه فعلاً.»

أومأ فالكو برأسه، وأخذ ينظر إليها، وهو يبتسم بلهو ثم قال لها: «إن احساسك الأخلاقي في المسؤولية تجاه الآخرين يمنحك فعلاً سمعة حسنة.»

إلا أن لورا قالت له بحزم: «الأمر الذي لا يمكن قوله عنك.» ان موقفه برمته تجاه هذه العلاقة شائن بكل معنى الكلمة.

استمر ببساطة يبتسم ابتسامته العابثة والقاسية تلك وقال: «يجب أن أخبر جانين عن كل هذا عندما تعود.»

ذهلت لورا للحظة. لقد كانت وقاحته فظيعة. وبرغم ذلك شعرت بارتياح شديد لأن موضوع المحادثة تغيّر.

قالت بلهجة ملأى بالاستهجان: «وكيف تعرف أنها سوف

تعود؟ لربما أغضبتها كثيراً لدرجة أنها لن تعود أبداً. أو أسوأ من ذلك، أرجو أن أكون مخطئة، لكن ماذا لو فعلت أي سوء لنفسها؟»

هزّ فالكو رأسه ببساطة وقال: «لا تقلقي بشأن ذلك.» ودون أي وميض للاهتمام في لهجته، أضاف قائلاً: «أنا متأكد أن آخر شيء تفكر به هو فعل أي سوء لنفسها.»

قالت: «وكيف يمكنك أن تكون متأكداً هكذا؟»

اتسعت ابتسامته وقال: «لأني أعرف لماذا رحلت وأعرف مع من هي.»

كان يتكلم ألغازاً الآن. وضعت لورا كأسها وانحنت نحوه، متجهمة، بينما كانت تسأل: «عمَ تتحدث؟ مع من هي الآن؟»

قال: «مع صديقها.»

«صديقها؟ أعتقد أنك أنت صديقها؟»

قال: «أعرف أن ذلك ما اعتقدته. لكن ذلك لم يكن الواقع ابداً. أنا وجانين لم يكن بيننا أبداً علاقة من ذلك النوع.»

قالت: «إني لا اصدقك!» وهوت لورا إلى الخلف على مقعدها، وعيناها مسمرتان على وجهه تبحث عن الحقيقة. وأضافت: «هي قالت لي أنك فعلت! أخبرتني أنها تحبك كثيراً! لقد رأيتكما معاً. لا تحاول نكران ذلك!»

قال: «لكني أنكر ذلك. أنكره تماماً.» وفجأة لم يعد فالكو يبتسم. وضع كأسه جانباً وتنهد بعمق، ثم قال: «إن اخبرتك جانين أنها تحبني كثيراً، فإن ذلك يحيرني فعلاً. لكني اعتقد أنها كانت تبالغ قليلاً في الأمور. إنها تشعر بالامتنان لي.» ابتسم وأضاف: «وتميل لأن تظهر ذلك بإفراط.» ثم،

وباتزان أكثر أضاف: «وأنا من جهتي، أشعر بعطف شديد تجاهها.»

كانت لورا مرتبكة تماماً. انحنت نحوه مرة أخرى، وعرفت دون أن تفهم، أنه كان يقول الحقيقة. وسألته بلطف: «عمَ تتحدث؟ ما السبب الذي يجعل جانين ممتنة لك؟»

لم يجب في الحال. بل أمسك بكأس المرطب وأخذ يحدق بمحتوياته للحظة. ثم شرب منه. وأحست لورا أنه يفكر بما عليه أن يخبرها وبما عليه أن لا يفعل. نظر إلى عينيها، بعد ذلك، وبنبرة قوية قال: «كانت جانين حبيبة والدي المنبوذة.»

نظرت لورا إليه ثانية وقد اعتراها شعور بالصدمة وبصمت استمعت إليه وهو يتابع كلامه.

«عرفت ذلك عنها من خلال صديق لي منذ نحو شهرين. كانت في حالة مزرية، انتحارية. لقد عاملها والدي معاملة سيئة جداً.» تنشق نفساً عميقاً وأضاف: «وهكذا، احضرتها إلى هنا واخبرتها أن في امكانها البقاء حتى تتعافى. لقد كان عملاً صعباً، محاولة اعادة ثقتها بنفسها. كانت قد فقدت ايمانها بنفسها كلياً. كانت معنوياتها محطمة. إلا أنها خرجت من كآبتها شيئاً فشيئاً.» ولمعت ابتسامة في عينيه عندما قال: «أعتقد أنها بخير الآن.»

فجأة وضعت كل النقاط على الحروف. الانجذاب الأبوي الذي أظهره فالكو تجاه جانين. وادعاء جانين بأنه قلب حياتها رأساً على عقب. شعرت لورا أن قلبها مفعم بالعاطفة في صدرها ولمعت الدموع في عينيها. لقد قام بعمل رائع.

ازدردت لعابها وقالت: «إذاً. من هو هذا الصديق الذي ذكرته؟ ذاك الذي قلت إنها ذهبت إليه؟»

جرع فالكو المرطب ووضع الكأس الفارغة جانباً. ابتسم وقال: «حب قديم. رجل كادت أن تتزوجه قبل أن تتورط مع والدي. لقد ظهر مجدداً على الشاشة منذ وقت قصير فقط. بعث أولاً برسالة، ثم اتصل هاتفياً...» توقف عن الكلام برهة ثم أضاف: «كنت هنا في تلك الليلة، عندما اتصل هاتفياً وقد أخبرها حينها بأنه قادم إلى ايطاليا لرؤيتها.»

لاكت لورا شفتيها خجلاً. لقد تذكرت تلك المكالمة الهاتفية وما الذي حصل بعد أن ذهبت جانين لتجيب عليها. كان ذلك عندما قذفت الشراب في وجه فالكو.

قالت الآن: «أي حمقاء كنت. لقد كانت كل استنتاجاتي خاطئة. واعتقد أن ما حصل هذا المساء أنها قد استلمت رسالة ما بأن صديقها هو في طريقه إليها، وجاءت لتخبرك أنها ستغادر لملاقاته...»

قالت منهية حديثها: «ثم وجدتنا نتشارك في لحظة خاصة، فقررت أن لا تقاطعنا وأسرعت لتلحق بالمركب...» وأوما فالكو برأسه ايجاباً وأضاف: «نعم تلك كانت تفسيراتي.»

قالت: «آه، يا إلهي. لا بد أنك تعتقد بأني حمقاء تافهة» غطت لورا وجهها بيديها وهزت رأسها. ثم أخذت تنظر إلى فالكو، من خلال اصابعها. وأضافت: «لكنك تعرف اني اعتقدت أنك وجانين على علاقة ببعضكما، وأنت تركتني أعتقد ذلك. لماذا لم تخبرني بأني مخطئة منذ البداية؟»

قال: «أتعتقدين أنه كان يجب عليّ القيام بذلك؟»

قالت: «بالتأكيد أنا اعتقد ذلك! تركتني اعتقد أنك تخون جانين!»

انحنى فالكو إلى الامام على مقعده وقد وضع الآن قدميه على الأرض وقد التفت يداه مجموعتين بين ركبتيه، وعيناه السوداوان تنظران في عينيها، وكأنهما تريدان أن تدخلا إلى أعماقها وقال: «بالتأكيد كنت تعرفين أن ذلك ليس أسلوبي. لقد ارتكبت عدة أخطاء لكني لم أكن يوماً زير نساء. هل خنتك يوماً؟»

هزت لورا رأسها نفياً وقالت: «لا، لا لم تكن كذلك.»

كان ينظر إليها بطريقة جعلت بشرتها تشتعل لهيباً. بدا قلبها وكأنه ارتفع وعلق في حنجرتها. واستمرت تقول ذلك لنفسها، كم هو رائع. وكم أخطأت في الحكم عليه، هذا الرجل الرائع المحب. هذا الرجل المحب الرائع هو والد طفلتي.

ارادت أن تقترب منه وتشعر بيديه تطوقانها، أن تلمس وجهه، تربت على شعره وتقبل ذلك الخال الداكن اللون عند زاوية عينه اليسرى.

كبحت نفسها وقالت: «اني آسفة على الطريقة التي تصرفتُ بها. كان يجب عليّ أن أعرف أنك غير مؤهل للتصرف على هذا النحو المخزي جداً.»

أومأ فالكو برأسه إيجاباً وقال: «نعم، كان يجب عليك ذلك. أنتِ من دون كل الناس.»

وبدت عيناه وكأنهما تريدان ابتلاعها، تانك العينان الرائعتان، وشعرت بروحها تذوب عندما انحنى نحوها أكثر. ثم تجمدت عندما قال، بنبرة قاسية ومتهمة: «أنتِ الشخص الذي يميل إلى الخيانة. لربما ذلك هو السبب الذي جعلك تفترضين كل تلك الافتراضات الخاطئة، لقد

اقترفت حكمك الخاطىء عليّ من خلال مفاهيمك الوضيعة.»

كان قوله ذلك وكأنه يرمي مياهاً باردة على وجهها. شعرت لورا بنفسها تتراجع وقد بدا قلبها وكأنه تجمدّ. وفجأة، فقدت السيطرة على نفسها وأخذت ترتجف كلها، ففي لحظة عاد وكأنه غريب من جديد.

استمر في النظر إليها وسألها: «ماذا تعتقدين؟ أيمكن أن أكون محقاً بذلك؟»

لم تستطع لورا الاجابة. لقد عقد لسانها، وكما توقعت اعتبر صمتها على ذلك موافقة.

نهض فالكو على قدميه وقال: «لقد انتهت مناقشتنا الآن. أنت حرة في أن تغادري متى شئت.»

ثم تركها جريحة تنزف على كرسيها، روحها محطمة وتبكي يائسة، استدار بعيداً برشاقة وخرج من الغرفة بخطوات واسعة.

في صباح اليوم التالي غادرت لورا على ظهر المركب إلى البر الرئيسي بعدما استقلت سيارة أجرة أوصلتها إلى المرفأ. على أن لا تعود أبداً. بينما كانت جانين وصديقها، وكذلك فالكو ما زالوا جميعهم نياماً.

الفصل العاشر

كانت لورا مستلقية تحدق في سقف غرفة نومها في الفندق الذي نزلت فيه. متمنية لو انها تستطيع أن تغفو. لكنها كانت تعرف انها لا تستطيع ذلك. فهناك أسئلة كثيرة تبحث عن أجوبة في رأسها.

السؤال الأول والأهم، لماذا بقيت هنا؟ لماذا لم تركب أول طائرة متجهة إلى لندن؟ لماذا، عوضاً عن ذلك، نزلت في هذا الفندق في نابولي؟ وأخيراً، عندما هربت من آلبا صباح هذا اليوم. كانت عازمة على العودة مباشرة إلى بلادها.

برغم ذلك فهي ما زالت هنا، رغماً عن ان ذلك لا معنى له اطلاقاً. لقد أنهت أعمالها في إيطاليا. وليس عندها سبب واحد لتبقى.

أغمضت لورا عينيها. لكنّ شيئاً ما كان يقول لها إنه من غير المناسب أن تغادر بهذه الطريقة.

شعرت بالأسى، طبعاً، لتخليها عن مهمتها. الطريقة التي انتهت إليها الأمور كانت منافية لأخلاق مهنتها تماماً. لكن أي خيار آخر كان أمامها؟ لم يترك لها فالكو أي خيار عندما رفض بشكل قاطع، قبول شرطها بأن يبقى بعيداً عن الدارة طوال مدة عملها فيها. وببساطة لم يكن في امكانها أن تقبل بأي اتفاق آخر. فوجوده بقربها كان أمراً خاطئاً وخطراً.

حسناً، ربما لم يكن خاطئاً، صححت لنفسها، وهي متجهمة، الآن وقد عرفت أنه لم يكن على علاقة مع جانين. لكن ذلك يجعل الأمر ببساطة أكثر خطورة من السابق.

لقد خرجت جانين من كونها عاملاً يجب أخذه بعين الاعتبار، كيف يمكنها مقاومة القوة التي تجمعهما معاً، والتي تستمر في دفعها إلى الاعتراف؟ لن تستطيع مقاومة ذلك. هذا هو الجواب.

أزعج ادراك ذلك لورا بعمق. لأنها علمت ان الانجذاب الذي تشعر به هو أعمق بكثير من مجرد الانجذاب الجسدي. إنه أمر عظيم ودافىء ومليء بالدهشة. كان هناك شيء كالسحر في فالكو، أو في تأثيره عليها. كان في امكانه أن يضيء قلبها كما لم يستطع أن يفعله أي رجل سواه.

سمحت لنفسها أن تتوقف عند تلك الفكرة للحظة. بالأمس، كان عليها أن تعترف له بالحقيقة. عندما أخبرها قصة جانين ووالده وكيف هو، أي فالكو، ساعدها. نظرت لورا إلى وجهه وشعرت بتقدير كبير حتى أنها للحظة اعتقدت تقريباً أنها ما زالت تحبه.

لا، ليس تقريباً! لقد اعتقدت ذلك، صححت لنفسها وفي تلك اللحظة، غمر قلبها سعادة واحساس بالكمال لم يخالجها منذ سنين.

إلا انه حطم ذلك الشعور فوراً، بالطبع، بذلك الهجوم المؤلم عليها. بذلك الاتهام الفظيع الذي كان دائماً يجرحها كالسكين. أنت الشخص الذي يميل إلى الخيانة! نظرة الكراهية في عينيه أو حتى طيفها.

عندها قالت لورا لنفسها إنها مخطئة. إنها لم تحبه. كيف

يمكنها أن تحب رجلاً يصرّ على الاعتقاد بأنها ارتكبت خطيئة؟ لم يكن عنده أولاً أي سبب أبداً ليعتقد انها قد ارتكبتها؟

أخذت نفساً عميقاً وتنهدت ثم حدقت من جديد في السقف. كيف يمكنها أن تحب رجلاً يشبه والده البغيض كثيراً لدرجة أنه بقي إلى جانبه بإخلاص طوال تلك السنوات، بينما هو يعرف تماماً أي نوع من الرجال هو والده؟

لكنه ليس مثل أوسكار. فقد رفضت في أعماق قلبها المقارنة بينهما. إنه ليس زير نساء، ولا يملك قلباً بارداً. أنظري إلى كل ما فعله من أجل جانين المسكينة! إنه يملك كل الصفات التي اعتقدت أنه يملكها بالأمس رجل حنون ومحب.

تنهدت لورا بامتعاض، كل هذا لا معنى له، وانها لن تستطيع النوم إن استمرت بالتفكير على هذا النحو! وجلست في سريرها ثم أضاءت المصباح إلى جانب السرير. ثم نهضت من السرير وسارت نحو النافذة وفتحتها على مصراعيها وأخذت تحدق في الليل.

كانت السماء ملأى بالنجوم المتلألئة فوق خليج نابولي وقد امتزجت رائحة مياه البحر وعبير أزهار الأقاسيا مع هواء الليل اللطيف. تنهدت لورا بعمق، وقلبها كتلة متشابكة من العواطف. كان هناك حل واحد. يجب أن ترحل غداً. أول شيء سأفعله، قالت لنفسها، هو السفر على أول رحلة متوفرة.

برغم ذلك، وبينما كانت واقفة هناك، تحدق في الظلام

المرصع بالنجوم. لم تستطع أن تكبت تماماً ذلك الصوت في داخلها الذي دأب على القول إنه من غير المناسب لها أن تغادر على هذا النحو.

خطرت لها فكرة فجأة، قبل الفجر بقليل.

كانت لورا قد غطت في النوم للحظة فقط، ثم فجأة استيقظت ثانية، تفكيرها صاف وفعّال. وعرفت فجأة لماذا من غير المناسب لها أن تغادر الآن. وبرغم ان الأمر أخافها، فقد عرفت، أيضاً ما عليها فعله.

جلست تحدق في الظلام، وقبضتا يديها مطبقتين إلى جانبيها وقلبها يخفق في داخلها.

كانت مخاطرة، لكنها مخاطرة من واجبها أن تقوم بها.

كان فالكو يجلس على الصخرة، ينظر إلى البحر، وقد ارتدى سروالاً أبيض اللون وقميصاً زرقاء فاتحة اللون وهو منحنٍ قليلاً وقد التفت ذراعاه القويتان حول ركبتيه.

ترددت لورا للحظة وقد شعرت بتوتر مفاجيء. لم يرها عندما وصلت وسيكون من السهل جداً أن تعود على دراجتها وتتجه إلى الدارة.

لكن ذلك سيكون ضعفاً وجبناً وغير مناسب. وضعت دراجتها على الأرض واتجهت نحوه بقدها الأهيف المتوتر وقد ارتدت ثوباً قطنياً خفيفاً زهري اللون وقالت: «فالكو! أتمانع في أن أنضم إليك؟»

استدار إليها، بفظاظة، وأخذ يدور في مكانه ليصبح في مواجهتها. وتأملها للحظة بصمت تام. ثم استدار نحو البحر مرة أخرى وسألها: «ما الأمر؟ لماذا عدت؟ هل نسيت شيئاً؟»

كان في امكان لورا أن تشعر بخفقات قلبها. إنه لن يجعل

الأمر سهلاً. لكنها لم تتوقع انه قد يفعل، وهذا يعني ان ذلك لن يغيّر شيئاً.

تسلقت الصخرة حتى أصبحت على بعد بضع خطوات منه وأجابته: «لا، لم أنس شيئاً. جئت لأني أريد أن أتكلم معك.»

استعاد وضعه السابق، ذراعاه ملتفتان حول ركبتيه، وعيناه تحدقان بثبات نحو الأفق.

سألها: «كيف عثرت عليّ؟ من أخبرك أني هنا؟»

قالت: «آنا أخبرتني انك خرجت. وانك استقليت السيارة.»

شعرت لورا بالارتباك فجلست على الصخرة إلى جانبه وبانتباه طوت ساقيها تحتها ثم تابعت: «توقعت أن تكون هنا.» وضحكت بثقة وأضافت: «توقع جيد.»

أبقى فالكو عينيه بعيدتين عنها وقال: «ذلك متوقف على ما سنراه.» ثم سألها: «هل هناك شيء معيّن تريدين التحدث عنه؟»

قالت لورا: «في الواقع، نعم.» دون أن تطرف عينيها. فقد بقيت نظرتها على شخصه الغائب والعنيد، والذي كان عازماً على مجابهتها. لكنها كانت تفكر في أنه على الأقل، يبدو مستعداً للاستماع. كانت تخشى أن يرفض ذلك أيضاً.

قال: «إذاً، ما الأمر؟ هل الأمر يتعلق بالدارة؟» وحدجها بنظرة غاضبة وقد ضاقت عيناه ثم أضاف: «إن كان الأمر كذلك، فإن ذلك سيكون مضيعة للوقت. لقد قررت أن أجد مصمم ديكور آخر.»

قالت: «نعم، إني أفهم ذلك تماماً... لكن الأمر لا يتعلق بالدارة...»

ابتلعت لورا لعابها بتوتر، ثم أخذت نفساً عميقاً

واستجمعت قواها بسرعة. فهي لم تتكبد مشاق الطريق إلى هنا لينعقد لسانها في اللحظة الحاسمة. وقالت له بلهجة واضحة: «لا شأن للدارة بالأمر. إنه بشأننا.»

قال: «نحن؟» وقد رفع حاجبيه واستدار ليواجهها ثم أضاف: «لم أدرك ان هناك شيئاً ككلمة نحن بعد.»

لمعت للحظة في عينيه ابتسامة ساخرة عندما قال ذلك. ووجدت لورا نفسها تبتسم ابتسامة مماثلة وهي تقول موافقة: «لا، لا أعتقد أنها موجودة بعد. لكن كلمة نحن التي كنت أشير إليها، هي حقيقة تلك الكلمة التي وجدت قبل ثلاث سنوات.»

قال: «أوه، كلمة نحن تلك.» وبدا كأنه يتنهد وهو يستدير نحو البعيد مجدداً. وخامر لورا الشك بأن يقول لها إن ذلك الموضوع لم يعد يعنيه. لكنه قال، عوضاً عن ذلك: «اعتقدت اننا قلنا كل ما كان يجب قوله بشأن ذلك.»

قالت: «ليس تماماً. في الواقع هناك الكثير الذي لم يقل بعد.» وأطرقت هنيهة، بتوتر، وكأنها على شفير كارثة ثم أضافت: «هناك نقطة معيّنة تحتاج إلى توضيح.»

قال: «وأية نقطة هي تلك؟»

قالت: «النقطة التي تتعلق بخيانتي.»

سادت بينهما لحظة صمت تام. لم يتكلم أي منهما حتى الأمواج بدت وكأنها توقفت عن الارتطام بالصخور. أسقط فالكو ذراعيه حول ركبتيه وأدار وجهه نحوها ثم قال، أخيراً: «تعنين خيانتك مع تاجر الأشياء القديمة ذاك؟»

أومأت لورا برأسها إيجاباً. كانت تشعر بقلبها يخفق بقوة في صدرها ووجدت نفسها تتساءل فجأة، وقد جاء

تساؤلها متأخراً. كيف عرف ان الرجل كان تاجر أشياء قديمة؟

لكن ذلك كان استطراداً. وجمعت كل شجاعتها لتبقي انتباهها مركزاً على وجه فالكو الذي بدا يتأرجح بين التركيز وعدمه.

قالت له: «ما عدا انه لم يكن هناك من خيانة. لم يكن هناك حتى أي شيء قريب من الخيانة. لقد كان بيني وبين ذلك الرجل عمل، وحتى ذلك لم أستسغه.»

سادت بينهما فترة صمت أخرى طويلة. ثم تكلم فالكو: «اعتقدت أنه كان من المفترض ان يكون أفضل حبيب التقيته؟»

لا، ذلك كان أنت. كادت أن تقول ذلك. الحبيب الوحيد والأفضل الذي أحببته دائماً هو أنت. لكنها بلعت تلك الكلمات. لم يكن سبب مجيئها إلى هنا لتقول كلمات كهذه.

أخذت لورا نفساً عميقاً وقالت: «قلت ذلك لأجرحك فقط. كي أجرح كبرياءك كما جرحتني بطريقتك في الكلام. لقد اتهمتني بعدم الاخلاص دون أي سبب على الاطلاق. أخذت تصرخ وتصيح بي وناديتني بالفاسقة بينما القصاصة الوحيدة لدليلك المزعوم، هي رؤيتك لي أصعد إلى سيارة ذلك الرجل.»

فجأة، وبانفعال، قالت كل شيء: «لا بد انك أردت أن تصدق ذلك حتى اقتنعت به بهذه السهولة. وكيف يمكنك ذلك؟ كيف في امكانك ان تصدق شيئاً كهذا عني؟»

ضاقت عينا فالكو وأخذ يهز رأسه وقال: «أوه، لا، لم تجر الأمور هكذا. أؤكد لك ان الأمر يتعدى ذلك بكثير.» ثم

أطرق هنيهة وبدا كأن فكرة قد خطرت له فجأة. فانحنى نحو لورا، وقد ضاقت عيناه السوداوان وسألها: «كيف التقيت بتاجر الأشياء القديمة ذاك؟»

أي سؤال غريب! لكن لورا أجابت عليه. فقد أحست ان عنده سبباً مهماً ليسأله.

قالت: «لقد اتصل بي فجأة وقال لي انه سمع بأنني أبحث عن أثاث، وقال إنه مستعد لأن يقدم لي حسماً.»

قال: «لم تسمعي به من قبل؟»

قالت: «أبداً. المرة الأولى التي رأيته فيها كانت عندما جاء ليأخذني بسيارته لأرى صالة العرض لديه.»

بدا فالكو شاحباً تحت لونه البرونزي واستطاعت لورا أن تدرك ان عقله يعمل بإلحاح اليائس المعذب خلف تلك العينين السوداوين.

انحنت نحوه، وقد عيل صبرها فجأة. وسألته: «لماذا تسأل كل هذه الأسئلة؟ أي فرق ينتج عن كيفية التقائي بذلك الرجل الحقير؟»

قال: «تفرق كثيراً. تفرق كثيراً.» أغمض عينيه وهز رأسه. وكان في امكان لورا أن تشعر بالألم الذي يعتصر قلبه. ثم تنهد تنهدة هزت جسمه كله. واتكأ إلى الوراء على الصخرة، ورفع وجهه نحو السماء.

قال: «ذلك الرجل جاء إليّ في الفندق الذي كنت أنزل فيه عندما قصدت لندن لأبحث عنك.» وتابع قائلاً: «وأخذ يلعب دور العاشق الغيور وجعل المشهد مؤثراً جداً. ثم قال لي ان عليّ العودة من حيث أتيت، وبأنك لا تريدين رؤيتي وبأنكما مغرمان ببعضكما...»

قالت: «هو ماذا؟» وتصلبت كل عضلة في جسم لورا واهتاجت معدتها وشعرت انها قد تكون مريضة.

تابع فالكو، وما زالت عيناه مسمرتين نحو السماء، وكأنه لا يستطيع تحمل النظر إلى وجهها: «حصل ذلك قبل أن تتاح لي الفرصة لآتي وأراك. كانت وكالة التحريات قد اتصلت بي للتو وأخبرتني عن مكان وجودك. كنت تقريباً في طريقي إلى هناك عندما وصل متباهياً ببطاقة عمله، وملفقاً قصته. أخبرني ان لديه صديقاً في وكالة التحريات وأخبره بانني أحاول أن أجدك.»

بإيماءة ملأى بالاحباط اليائس مرر فالكو أصابعه في شعره وتابع قائلاً: «وصدقته، كالمجنون. لقد كان اللعين مقنعاً جداً.» وأطلق قسماً ثم أضاف: «لكني أراهن على أنني أعرف من جعله يفعل ذلك... إني أراهن على اني أعرف من لفق كل هذه الأمور... من أعطاه رقم هاتفك ودفع له المال كي يأتي إلى الفندق حيث أنزل ويتأكد من أني رأيتكما معاً.»

توقف عن الكلام ليتنهد تنهدة غاضبة. وأكمل قائلاً: «أراهن على اني أعرف تماماً من كان وراء كل هذا. كان عليّ أن أتكهن بذلك منذ وقت طويل. منْ من الممكن أن يكون سوى والدي؟»

عندما استدار فالكو بعد ذلك لينظر إليها، فجأة، فهمت لورا ما حصل، أيضاً. لقد كانا ضحيتين، كلاهما. ضحيتان بريئتان لبراعة أوسكار روث الحاقدة.

أضاف فالكو: «لا بد وأنه اشترى وكالة التحريات.» فجأة، بدا كل شيء براقاً وواضحاً بشكل يقزز النفس.

وتابع: «لا بد وأنهم أخبروه عن مكان وجودك قبل أن يخبروني، حتى يتمكن من ترتيب الأمور مع تاجر الأشياء القديمة. آه، يا إلهي.» هزت لورا رأسها ووضعت وجهها بين يديها وقالت: «أي رجل خبيث، حقود هو والدك.»

قال: «أعرف. أعتقد اني قد عرفت ذلك دائماً.» وأغمض فالكو عينيه. وكان جسده يرتجف كله. وتابع: «في البداية قاومت ذلك. حاولت ألا أصدّق ذلك. إنه ليس بالأمر الذي يرغب الابن في تصديقه عن والده. لكن، في النهاية لم يكن عندي خيار سوى مواجهة ذلك...»

عندها رفعت لورا وجهها وقالت: «وبقيت حتى الآن مخلصاً له. ذلك هو الأمر الذي لا أفهمه.»

ألقى فالكو بعينيه نظرة شاملة إليها وتساءل: «مخلصاً؟» ثم ابتسم ابتسامة ساخرة وهز رأسه ببطء وقال لها: «لا، يا لورا. لقد افترقنا أنا ووالدي منذ زمن بعيد. حتى اننا لا نكلم بعضنا البعض منذ سنوات.»

سألته: «لكن ماذا عن الأعمال؟ شركة روث؟ بالتأكيد مازلت معنياً بذلك؟»

أجابها: «بالتأكيد لا، لا أريد المشاركة بها. لم أشارك بها منذ سنوات. إني أعمل هذه الأيام طوال الوقت كتاجر لوحات فنية.»

توقف لحظة عن الكلام وعيناه تبحثان في وجهها. ثم قال لها بنبرة معبرة من شدة الانفعال: «لقد قطعت كل علاقة بوالدي والأعمال منذ ثلاث سنوات، بعد الكارثة التي حصلت لي معك. لم أكن أعرف عندها انه هو من دبّر كل ذلك، لكن

كان كافياً بالنسبة لي أن أعرف أنه قدم لك المال لتتركيني. لم احتمل النظر إليه بعد ذلك.»

سادت لحظة صمت عارمة بينهما. كم أخطات بشكل مروع في حكمها عليه! وبدا قلب لورا في عينيها وهي تقول: «آه، فالكو، إني آسفة.»

مدّ يده ليمسك بيدها وقال: «ليس هناك من سبب لتشعري بالأسف. فلم يكن أي من الأخطاء خطاك أنت. لقد كانت غلطتي، ان كان هناك أي شيء. لقد كان لك كل الحق في أن تغضبي مني.»

قالت: «نعم، كنت غاضبة منك...» وأطرقت لورا ثم نظرت إلى البعيد. وكان قلبها يدق وكأنه قنبلة موقوتة في صدرها، بينما كانت تستجمع شجاعتها للاعتراف الأخير حيث قالت: «لكني لم أكن غاضبة فقط. لقد كنت خائفة أيضاً.»

تجهم فالكو وتساءل: «خائفة؟ ما الذي يمكن أن يخيفك؟»

أخذت لورا نفساً عميقاً وتذكرت ثانية ما قد أدركته هذا الصباح عند الفجر. ليس هناك من شيء تخشاه. ففالكو رجل طيب. لن يحاول أبداً أن يأخذ ابنتها بعيداً عنها ولديه كل الحق في أن يعرف ان بيلي تخصه، تماماً كما ان بيلي تملك الحق في أن تعرف ان عندها والداً رائعاً.

بكت لورا وهي تواجه أخيراً هذه الحقائق. لقد كان رجلاً طيباً، رجلاً رائعاً. وفي أعماق قلبها، برغم كل شيء لم تتوقف عن حبه أبداً.

أخذت تلوك شفتها، وما كادت تجرؤ على النظر إليه. وبصوت حاولت بجهد أن يكون أعلى قليلاً من الهمس قالت: «كنت خائفة بخصوص بيلي. بيلي، ابنتي...»

لكن تلك كانت الكلمات التي استطاعت أن تتلفظها. كان فالكو منحنياً نحوها وأدرك فجأة كل المعاني الضمنية وراء ما أخبرته إياه.

قال: «إن لم يكن ذلك الرجل حبيبك أبداً. إذاً، لا يمكن أن يكون والد ابنتك... إذاً من هو والدها؟ هل كان هناك رجل آخر؟»

قالت: «أبداً. لم يكن هناك رجل آخر أبداً.»

قال: «إذاً...» وتوقف فالكو برهة عن الكلام وكأنه غير قادر على تصديق الحقيقة التي ظهرت أمامه فجأة. ابتسم كرجل ربح الجائزة الكبرى للتو، وبرغم ذلك خشي أن تخطف منه. فقال: «أتعنين...؟» وتوقف عن الكلام ثانية وهز رأسه. لأول مرة منذ أن عرفته لورا. خانته الكلمات.

ابتسمت لورا له وأمسكت بيديه اللتين أمتدتا إليها وقالت: «أعني انك والد بيلي. لديك فتاة صغيرة.»

في اللحظة التالية، ومع صرخة ملأى بالسعادة والدهشة، حملها فالكو بين ذراعيه وقال: «لا أستطيع تصديق ذلك. لقد تضرعت مراراً أن يكون الأمر كذلك. لم يكن في إمكاني تحمل فكرة أنك قد أنجبت طفلاً من رجل غيري.»

ثم ابتعد وقد بدت في عينيه نظرة الم وأخذ يحدق بها وقال: «لكن كيف استطعت اخفاء هذا السر طوال هذا الوقت؟ حتى في آخر مرة التقينا فيها في لندن... كنت تعرفين ذلك حينها؟»

هزت لورا رأسها بظرف وقالت: «لا، لم أكن أعرف. كانت تنتابني تلك العوارض، أعني عوارض الحمل. لكني أرجعت

سبب ذلك إلى الأزمة العاطفية التي كنت أمر بها. ولم أشتبه بالأمر إلا بعد مضي نحو اسبوعين.»

عندما توقفت عن الكلام، أمسك بها وضمها إليه وقال: «لا بد ان الأمر كان رهيباً بالنسبة إليك. في لندن. وحدك. آه، يا حبي، سامحيني على كل الآلام التي سببتها لك خلال تلك السنوات. لو أني عرفت فقط...» نظر إلى وجهها، وقد امتلأت عيناه السوداوان بالندم وأضاف: «أكان هذا ما قصدت فعلاً ان تخبريني به عندما أرسلت لي تلك الرسالة؟»

أومأت لورا برأسها إيجاباً وقالت: «نعم.»

بدا وكأن قلبه يتحطم عندما قال: «وأنا خذلتك.»

قبلت لورا وجهه برفق وقالت: «لا تلم نفسك. كلانا يعرف ان الشخص الوحيد الذي يجب أن يقع عليه اللوم هو والدك.» ثم ابتسمت وأضافت: «ان بيلي في الثانية من عمرها فقط وأمامها الحياة كلها، ويمكنك أن تكون جزءاً من تلك الحياة الآن ويمكننا تدبّر ذلك.»

نظر إليها نظرة طويلة وسألها: «نتدبّر ذلك؟»

«نعم يمكنك زيارتها. ورؤيتها متى شئت.»

بقيت عيناه مركزتين عليها وقال بنبرة هادئة: «أخشى اني أريد جزءاً أكبر من ذلك في حياتها.»

غار قلب لورا عندئذ. وغمرها الخوف. هل كانت مخطئة، بعد كل ذلك؟ هل سيحاول أن يأخذ بيلي بعيداً عنها؟

تراجع فالكو قليلاً إلى الوراء، دون أن يترك يديها وقال: «عليّ أن أعترف لك بشيء.»

اصطنعت لورا ابتسامة خائفة وقالت: «أي نوع من الاعتراف؟» وتمنت فجأة، لو أنها لم تعد أبداً.

قال: «لقد كذبت عليك.» وعيناه السوداوان تتأملانها بشوق.

قالت لورا بجفاف: «كذبت؟ عن ماذا؟»

ضغط على يدها أكثر وقال: «بشأن الطريقة التي أحضرتك بها إلى هنا. لقد كنت محقة، لم يكن مصادفة استخدام جانين لك. أنا أرسلتها إلى لندن لتفعل ذلك تماماً. دون أن تذكر لك اسمي مهما كان السبب.» ابتسم وأضاف: «لم تعرف جانين شيئاً مما كان يجري، ولا حتى اني كنت أعرفك في الماضي...»

فيما توقف عن الكلام، شعرت لورا بقلبها ينقبض في صدرها وسألته: «وما الذي كان يجري؟ لماذا أردت استخدامي؟»

ابتسم فالكو وأجابها: «جزء من ذلك يعود لأنك مصممة ديكور بارعة...» ومن جديد بدت في عينيه نظرة جدية، وتابع قائلاً: «لكن الأهم هو لأني أردت، أخيراً، أن أصل إلى حقيقة الأمور. لم أكن سعيداً أبداً من النهاية التي آلت إليها الأمور بيننا. برغم كل الاثباتات فان ذلك لم يقنعني كلياً.»

تنهد وأضاف: «لقد شعرت دائماً بالندم لأني أجبت على رسالتك بتلك الكلمات. لقد وصلتني في يوم تعس فتصرفت بسرعة ودون تفكير. ومنذ ذلك الحين، وأنا أتساءل ما الذي كنت تريدين قوله لي. وقررت أن الوقت قد حان أخيراً لمعرفة ذلك. ولهذا السبب وضعت خطتي الصغيرة الملتوية لأحضرك إلى هنا.»

لم تستطع لورا الحراك. وقد تسمرت في مكانها. نظرت إلى وجهه واستمعت في صمت وهو يتابع قائلاً: «لكنك لم

تتجاوبي معي أبداً.» وقطب حاجبيه وأضاف: «لقد استفززتك ودفعتك وحاولت معك كل طريقة أعرفها لتخبريني ما كنت تخفينه عني. وقد أجبرتني في بعض الأحيان لأتصرف معك كالوحش.» ابتسم ابتسامة ساخرة وأضاف: «لكني كنت مصمماً على معرفة ذلك. وهل تريدين أن تعرفي لماذا؟»

فيما قلبها يقرع كالطبل. أومأت لورا برأسها إيجاباً. فلم تكن قادرة على الكلام.

قال: «كنت مصمماً، لأني عرفت أني لن أرتاح إلا إذا نجحت بذلك. فمهما حاولت لم أستطع أن أنساك.» توقف للحظة وعيناه تنظران في عينيها. ثم أضاف: «أنت المرأة الوحيدة التي أحببتها حقاً. المرأة الوحيدة التي أحبها حتى آخر يوم في حياتي.»

فجأة كادت خفقات قلب لورا أن تتوقف في صدرها. فلطالما حلمت في سماع تلك الكلمات، برغم انها لم تجرؤ أبداً على الاقرار بذلك. أضاءت الفرحة وجهها ونظرت إلى عينيه وهو يتابع كلامه: «لذلك السبب أخشى اني أصر على أن أحتل جزءاً أكبر مما اقترحت في حياة ابنتنا.» وبينما حبست لورا أنفاسها، قبلها برفق وأضاف: «ما أخشى، واني مصرّ عليه، هو ان تتزوجي مني وتسمحي لي أن أكون والداً شرعياً لابنتنا.»

عاودت لورا النظر إليه وقلبها يرقص في صدرها من شدة السعادة. وقالت: «سأتزوج منك. إني أحبك، يا فالكو وأعرف انك ستكون والداً رائعاً.»

كانا بعد لحظة غارقين كل واحد بين ذراعي الآخر.

متحدين، يتبادلان القبل وقلباهما يسموان إلى السماء، وأخيراً أصبح الماضي وراءهما وهما يعرفان انه من الآن وإلى الأبد لا يستطيع أي شيء ولا أي شخص أن يفرق بينهما ثانية!

أدار فالكو رأسه لينظر إليها وقال: «هناك أمر لم تفسريه لي بعد. تلك الشقة في شارع سان جونز وود كيف حدث أن تواجدت هناك؟»

كانا مستلقيين معاً على الرمال الدافئة الصفراء فيما امتداد الشاطىء مباشرة تحت حدائق الدارة وقد أخذ قرص الشمس الأحمر يغرق ببطء عند الأفق.

ابتسمت لورا وقالت: «حدث ان تواجدت في تلك الشقة بقليل من الحظ الموفق.»

مدت يدها ولمست وجهه، ثم أبعدت بأصابع حنونة الشعر الأسود عن جبهته. كانت تفكر ان العالم كله قد تغيّر في خلال ساعات قليلة. لأنه مضى بضع ساعات فقط على محادثتهما على الصخرة. برغم ان اللحظات قبل ذلك بدت انها تابعة الآن إلى زمن آخر.

عادا إلى الدارة بسيارة فالكو، وقد نامت دراجة لورا بأمان في صندوق السيارة. ولم يتكلما أية كلمة طوال الطريق إلى الدارة. لم يكن هناك من حاجة للكلام. فقد كانت تحيط بهما هالة من السعادة، وهما يتبادلان النظرات والابتسامات، بعد أن انتقلا من الكابوس إلى الحلم. أصبحا شخصاً واحداً، متحدين برباط الحب الذي لم ينقطع أبداً.

في المساء، بعد عشاء خفيف، ذهبا إلى الشاطىء حيث جلسا معاً يراقبان الغروب.

أمسك فالكو بيدها وقبلها سائلاً: «أي نوع من الحظ الموفق؟ هيا اشرحي لي. كيف حدث ان وصلت إلى ذلك المنزل؟»

بينما سحبها فالكو إلى ذراعيه. ألقت لورا نقنها على كتفه ونظرت إليه ثم أخبرته قصتها: «إنك على الأرجح لا تذكر السيدة هاملتون؟ سيدة عجوز وهي جارة لوالديّ.»

قال: «بالطبع أذكرها. إني أذكر على الأقل، انك تحدثت عنها. لقد اعتدتِ على نقل رسائل شفهية لها وأشياء من هذا القبيل.»

قالت: «رائع انك تذكرت!» ودفعته لورا ممازحة.

قال: «إني أذكر كل شيء يتعلق بنا.» ولثم أنفها وأضاف: «والآن تابعي قصتك لطفاً.»

قالت: «حسناً، السيدة هاملتون كان لديها شقيقة، أرملة ثرية، كانت تعيش في لندن، في تلك الشقة في شارع سان جونز وود. لم أكن أعرف شيئاً عن شقيقة السيدة هاملتون حتى ماتت. حصل ذلك عندما كنت أنت في رحلة العمل تلك في بروكسل...»

وارتجف صوتها للحظة. شعرت ببرودة في داخلها. ثم، وبعد ان ضمها فالكو لحظة، تابعت قائلة: «تركت شقيقة السيدة هاملتون كل أموالها والشقة لشقيقتها. وحقيقة كخدمة لي، ولأنها تعرف مدى طموحي لأصبح مصممة ديكور، طلبت مني السيدة هاملتون أن أزيّن لها الشقة...»

تنهدت، فهذا الجزء كان مؤلماً حيث قالت: «حدث كل ذلك تقريباً في الوقت الذي أصدر فيه والدك انذاره وطلب مني أن أبتعد عن المدينة. بدت لي الفرصة الأنسب ولم يكن عندي

مكان آخر ألجأ إليه، وهكذا قلت لها اني سأقوم بذلك.» ابتسمت وأضافت: «وذلك ما كنت أفعله هناك.»

مرر فالكو يده على شعرها برفق وقال: «مجرد تفسير بسيط.» كان صوته مليئاً بالندم وأضاف: «لو اني عرفت ذلك فقط!»

قالت: «وكيف لك أن تعرف؟ أنا لم أخبرك وجعلت والديّ يقسمان على الكتمان التام. لو أنهما أعلماك بمكان وجودي أو أي شيء على الاطلاق، بخصوص ما جرى معي، لكان ذلك انعكس على أبي بالسوء.»

تنهدت لورا وأضافت: «أفكر أحياناً أن تلك المهمة في شقة سان جونز وود كانت لعنة أكثر منها فرصة جيدة. لو انك وجدتني أعيش في احدى الغرف في لاد بروك غروف، لما صدقت اني قد أخذت المال ولربما لم نفترق أبداً.»

قال: «أعتقد انك تستخفين بوالدي.» هزّ فالكو رأسه وبدت ملامحه حزينة وتابع قائلاً: «لكان أرغم على اختلاق سيناريو مختلف كلياً، لكنه كان سيفكر بشيء يضمن فيه افتراقنا. لكن دعينا لا نتكلم عن والدي.» قال ذلك وأمال نقنها وقبلها قائلاً: «أخبريني عن شقة سان جونز وود. كانت تلك كما أعتقد بداية عملك؟»

أومأت لورا برأسها إيجاباً، ثم اعترفت له قائلة: «لقد كذبت عليك بشأن ذلك. قلت لك إني حصلت على أول مهمة لي ببساطة باخباري النزلاء الآخرين أني مهندسة ديكور.» وظهرت على وجهها ملامح الاعتذار. وتابعت: «الحقيقة هي، عندما رأت المرأة في الشقة المجاورة العمل الذي أنجزته في شقة السيدة هاملتون، طلبت في الحال أن أزيّن

لها شقتها أيضاً. ومن هناك تضاعفت الأعمال بسرعة. وفجأة طلب مني كل أصدقاء تلك المرأة أن أزيّن لهم منازلهم.»

ضحك فالكو وقبلها ثم قال: «المحطة التالية ستكون في قصر باكنغهام!» وكانت نبرة صوته فخورة. ضمها بحرارة وأضاف: «لن أفاجأ ان حصل ذلك يوماً فعلاً.»

كان رائعاً أن تشعر بذراعيه حولها. وطمرت لورا وجهها في عنقه وقبلته. كانت قد نسيت كيف يشعر المرء بهذا القدر من السعادة.

ثم رفعت عينيها ونظرت في عينيه وقالت: «لكن الأولويات تأتي أولاً. أولاً عندي مهمة صغيرة في ألبا عليّ اكمالها.» وأضافت وهي تبتسم: «إلا إذا ما زلت مصمماً على أن تجد مصمم ديكور آخر؟»

قال فالكو ضاحكاً: «لا، لقد تخليت عن تلك الفكرة.» ثم قال بجدية أكثر: «ستفعلين ذلك وزوجك وابنتك الصغيرة هنا ليراقباك ويتأكدان من انك تقومين بأفضل ما عندك.»

بينما هما ينظران إلى بعضهما البعض. اختفت الشمس فجأة وبقي شعاع قرمزي فقط عند الأفق.

لم يلحظ أي منهما ذلك. فقد كانا غافلين عن كل ما يجري حولهما.

«لكن قبل ذلك...» انحنى فالكو فجأة نحوها وأضاف: «أريد أن أعيدك إلى الدارة وأجلس معك هناك. مازال أمامنا الكثير من الأمور لنقوم بها.»

قالت لورا وهي تبتسم بسعادة: «لنذهب إذاً. ماذا ننتظر؟» وبينما كان فالكو ينهض على قدميه ويرفعها معه. ألقت

بذراعيها حول عنقه ووقفت على رؤوس أصابعها وقبلت الخال الصغير عند زاوية عينه.

بينما كانت متعلقة به. كادت أن تبكي من فرط السعادة التي تملكتها، وللسعادة التي كانت تستطيع رؤيتها تشع من عيني فالكو.

عندما تلألأت النجوم وظهر القمر بلونه الشاحب وكأنه فأل خير لكل الفرح والاطمئنان اللذين يظهران أمامهما، انحنت نحوه بينما وضع ذراعه حول كتفيها وقادها فوق الرمال التي ما زالت دافئة باتجاه الدارة حيث السعادة تنتظرهما.

تمت